

رؤى

ROUYA TURKIYYAH

تركيية

WINTER 2024 VOL 13 NO. 1



قراءة لتداعيات العدوان الإسرائيلي على غزة

مصطفى البرغوثي

عملية طوفان الأقصى: منعطف في تاريخ المقاومة

محمد حسين مرجان

مآلات المشهد الإسرائيلي في معركة طوفان الأقصى

ساهر غزاوي

«إسرائيل» من الاستعمار الاستيطاني إلى الإبادة الجماعية

بردال آرال

العدوان على غزة:

الإبادة الجماعية وأمل التحرير

سلمان أبو ستة - شعله البيرق - بدران بن لحسن - جان أجون - محمد

عبد الرحمن محمد علي - صالح حمد صالح حديد - مراد فياض

TÜRKİYE YOUR RESILIENT PARTNER



المرونة والقوة لدعمكم

يحتل الاقتصاد الحادي عشر في العالم (الناتج المحلي الإجمالي على أساس تعادل القوة الشرائية) الذي قفز 7 مراتب في 18 عاماً.

قصة نجاح أدت إلى خفض نسبة إجمالي الدين العام إلى الناتج المحلي الإجمالي من 71% في عام 2002 إلى 38% في عام 2021.

أداء لافت للنظر أدى إلى زيادة الناتج المحلي الإجمالي من 238 مليار دولار إلى 803 مليار دولار في 19 عاماً

مكتب الاستثمار التابع لرئاسة الجمهورية التركية، الهيئة الاستشارية للاستثمار في تركيا، هو مركز معرفة للاستثمارات الأجنبية المباشرة وشريك حل لمجتمع الأعمال العالمي في جميع مراحل الاستثمارات يقدم إرشادات مخصصة واستشارات مؤهلة قبل وأثناء وبعد الدخول إلى تركيا.

رئاسة الجمهورية التركية
مكتب الاستثمار



رؤية تركية

رئيس التحرير

رمضان يلدرم

Ramazan Yıldırım

İstanbul University

الهيئة التحريرية

المصحح اللغوي

محمد نور يوسف

Muhammad Nur Yusuf

İnönü University

الإخراج الفني والتنفيذ

مركز حرف

Harf Merkezi

رئيس التحرير التنفيذي

محمود الرنتيسي

Mahmoud Alrantisi

SETA

الترجمة

مصطفى حمزة

Mustafa Hamza

الناشر / Publisher

مركز ستا للأبحاث السياسية، الاقتصادية والاجتماعية

SETA Foundation for Political, Economic and Social Research

Basım Yeri / Printing House: Turkuvaz Haberleşme ve Yayıncılık A.Ş.

Güzeltepe Mahallesi Mareşal Fevzi Çakmak Caddesi, B Blok No: 29/1/1, Eyüpsultan, İstanbul / Türkiye

Yayın Sahibi/Owner : Burhanettin Duran, on behalf of (adına) SET VAKFI İktisadi İşletmesi / ISSN: 2458-8458

Sorumlu Yazı İşleri Müdürü/ Managing Editor : Mehmet Nuri Altun

The views expressed therein, remain the sole responsibility of the authors; they do not represent the view of the Editorial Board or the SETA Foundation. All Rights Reserved.

كل ما يكتب أو ينشر في هذه المجلة من صميم رأي صاحبه وعلى مسؤوليته الشخصية ولا تمثل وجهة نظر هيئة التحرير أو مركز ستا
كل الحقوق محفوظة

رؤية تركية مجلة محكمة، و مدرجة في مؤشرات التصنيف الدولية:

Rouya Turkiyyah is a peer-reviewed journal that is international indexes and databases:

International Political Science Abstracts (IPSA), EBSCO, Arab Impact Factor

Marefa Database (E-Marefa) / قاعدة بيانات معرفة / Dar Al-Mandumah / دار المنظومة

الهيئة الاستشارية

برهان الدين ضوران جامعة أنقرة للعلوم الاجتماعية، كمال إنات جامعة سكاريا، محيي الدين أتامان جامعة أنقرة للعلوم الاجتماعية، مراد يشلطاş جامعة أنقرة للعلوم الاجتماعية، نبي ميش جامعة سكاريا، طلحة كوسيه جامعة ابن خلدون، بشير نافع مركز الجزيرة للدراسات، خيرى عمر جامعة سكاريا، رجب شان تورك جامعة ابن خلدون، السنوسي بسيكري المركز الليبي للبحوث، صلاح الدين الزين مركز الجزيرة للدراسات، علي أصلان جامعة ابن خلدون، محمد الحبيب العلاني مركز القيروان للدراسات الإسلامية، مروان قبلان المركز العربي للأبحاث، نور الله غور جامعة ميدبول و سسل كورت جامعة إسطنبول مدنيات، يوسف أبو وفاس مركز البحوث والدراسات الإفريقية، إبراهيم فريحات معهد الدوحة، محمد معزز الحديثي الجمعية العراقية للعلوم السياسية

EDITORIAL OFFICE / YAYIN İDARE ADRESİ

Nenehatun Caddesi No: 66 GOP/Çankaya. 06700 Ankara/Türkiye

Tel: +90312551-2100 • Fax: +90312551-2190

rouyaturkiyyah@setav.org • www.rouyaturkiyyah.com

Contents

WINTER 2024 · VOLUME 13 NO.1

Editor's Note

4 - 7

ARTICLES - COMMENTARIES

A Reading of the Israeli Aggression on Gaza

MUSTAFA BARGHOUTI

9 - 20

Al-Aqsa Flood Operation: A turning point in the
History of the Palestinian

MUHAMMED HÜSEYİN MERCAN

21 - 34

The fate of the Israeli Scene
in the Battle of “Al-Aqsa Flood” and Beyond

SAHER GHAZZAWI

35 - 50

Israel’s Fateful March to Genocidal State

BERDAL ARAL

51 - 70

Right of Return:

The only Future for Palestine

SALMAN ABO SETTA

71 - 92

Christian Zionism

ŞULE ALBAYRAK

93 - 110

The Jewish Question from the Perspective of
Malik Bennabi: Analytical Study

BADRAN BINLAHSAN

111 - 144

The Turkish-Egyptian Rapprochement:
Challenges and Common Interests

CAN ACUN - MOHAMED MOHAMED ALİ

145 - 160

The American War in Afghanistan

SALEH HADEED

161 - 188

The Climate Disaster in Libya:

Storm Daniel and the Derna flood

MURAD FAYAD

189 - 208

BOOK REVIEWS

Israeli Exceptionalism: The Destabilizing Logic of Zionism

Mohammad shahed alam / Reviewed by Asem Mahammed

209 - 216

المحتويات

شتاء 2024 السنة 13 العدد 1

كلمة رئيس التحرير
4 - 7

المقالات - الدراسات

- | | |
|--|---|
| الصهيونية المسيحية | قراءة لتداعيات العدوان الإسرائيلي على غزة |
| شعلة البيرق | مصطفى البرغوثي |
| 93 - 110 | 9 - 20 |
| المسألة اليهودية من منظور مالك بن نبي: دراسة تحليلية | عملية طوفان الأقصى: منعطف في تاريخ المقاومة الفلسطينية |
| بدران بن لحسن | محمد حسين مرجان |
| 111 - 144 | 21 - 34 |
| التقارب التركي المصري: | مآلات المشهد الإسرائيلي |
| التحديات والمصالح المشتركة | في معركة طوفان الأقصى وما بعدها |
| جان أجون - محمد عبد الرحمن علي | ساهر غزاوي |
| 145 - 160 | 35 - 50 |
| الحرب الأمريكية في أفغانستان: تطوّر طبيعة الحرب ونسق القوة | مسيرة «إسرائيل» من الاستعمار الاستيطاني إلى دولة الإبادة الجماعية |
| صالح حمد صالح حديد | بردال آرال |
| 161 - 188 | 51 - 70 |
| الكارثة المناخية في ليبيا وأثرها السياسي | حق العودة: المستقبل الوحيد لفلسطين |
| مراد فياض | سلمان أبو ستة |
| 189 - 208 | 71 - 92 |

مراجعات الكتب

الاستثنائية الإسرائيلية: منطق الصهيونية الهدّام
محمد شهيد عَلم / عرض: عاصم محاميد
209 - 216

ويتناول البحث الثاني في هذا العدد: «عملية طوفان الأقصى: منعطف في تاريخ المقاومة الفلسطينية وتداعياتها» للأكاديمي التركي محمد حسين مرجان- عملية طوفان الأقصى بشكل مركز، حيث يرى أن عملية طوفان الأقصى التي شنتها كتائب عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة حماس، صباح 7 أكتوبر 2023م- أدت إلى تمزق نفسي ومعرفي في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي وسياسات الشرق الأوسط، وشكلت نقلة نوعية في فلسفة المقاومة، وأن تسلل صواريخ القسام إلى الأراضي المحتلة برًا وبحرًا وجوًّا كان إشارة واضحة إلى تغير في إستراتيجية المقاومة لمواصلة النضال النشط ضد الاحتلال والتوسع العدواني للحكومة الإسرائيلية الصهيونية. وفي هذا السياق سعت الدراسة إلى تأطير عملية طوفان الأقصى، وتحليل أبعاد الانكسارات التي أدت إليها. وتناولت كذلك التأثير المحتمل للعملية في السياسة العالمية والإقليمية، وأنها ستغير التوازن السياسي في الشرق الأوسط.

ونظرًا للتطورات الدراماتيكية والتشكلات في المشهد الإسرائيلي يسلط بحث الأكاديمي ساهر غزاوي الضوء على مآلات المشهد الإسرائيلي في معركة طوفان الأقصى وما بعدها، ويرى أن

يتابع العالم كله تفاعلات العدوان الإسرائيلي وتداعياته على قطاع غزة منذ 7 أكتوبر (تشرين الأول) 2023م؛ هذا العدوان الذي وصل إلى مستوى الإبادة الجماعية والتطهير العرقي، وأودى حتى الآن بحياة أكثر من 30 ألفًا من المدنيين جلهم من النساء والأطفال. وفي هذا الإطار خصّصت مجلة (رؤية تركية) عددها الجديد بشكل رئيس لدراسة ملف العدوان على غزة والقضية الفلسطينية من أبعادها كافة، إذ إن ما يجري في غزة حاليًا تطور غير مسبوق، وله تداعيات تتجاوز البعد المحلي إلى الإقليمي والعالمي.

في هذا السياق نفتتح بحوث العدد بدراسة الأمين العام للمبادرة الوطنية الفلسطينية مصطفى البرغوثي الذي تناول قراءة لتفاعلات العدوان الإسرائيلي وتداعياته على غزة بعد 7 أكتوبر 2023م، وأشار أن الاحتلال الإسرائيلي سعى إلى نزع إنسانية الشعب الفلسطيني في ظلّ عدوان شمل الحصار والقتل والتجويع. وترى الورقة أن ما حدث في 7 أكتوبر لم يأت من فراغ، بل من خلفية استمرار التطهير العرقي منذ 75 عامًا، والاحتلال الذي بلغ 56 عامًا، ومنظومة أبارتهايد، والتمييز العنصري... ولم يكن رد الفعل الإسرائيلي وليد الحدث، بل هو تنفيذ لمخطط مسبق.

عملية طوفان الأقصى في 7 أكتوبر 2023م شكّلت صدمة كبيرة لدى الإسرائيليين، وتحولاً إستراتيجياً في مرتكزات تفكيرهم، ووضعتهم أمام معضلات ذات أبعاد وجودية، وأدخلت أجهزة الدولة والمجتمع الإسرائيلي كافة في حالة من اختلال التوازن لم تعهده «إسرائيل» من قبل. جاءت العملية في سياق مختلف لم تشهد «إسرائيل» مثيلاً له، ولاسيما حالة التصدع داخل المجتمع الإسرائيلي، ما ينطوي عليها من تداعيات عميقة شتّى بدأت تظهر ملامحها حتى قبل انتهاء الحرب. من ناحية أخرى، تُعدّ عملية طوفان الأقصى حدثاً مؤسساً في تاريخ الصراع على أرض فلسطين؛ لن يكون أثرها آنياً فقط، بل ستمتد مآلاتها سنوات طويلة.

وفي دراسة أخرى حول مسيرة الاحتلال تناول الأكاديمي التركي بردال آرال مسيرة «إسرائيل» من الاستعمار الاستيطاني إلى دولة الإبادة الجماعية، حيث ركّز على المناقشات القانونية المحيطة بالأزمة التي أطلقتها العملية العسكرية التي شنتها قوات المقاومة الفلسطينية المتمركزة في غزة في 7 أكتوبر 2023 نحو جنوب «إسرائيل». عدّت «إسرائيل» هذه العملية «هجومًا إرهابيًا»، وأكدت حقها في الدفاع عن النفس، وأعلنت الحرب على سكان غزة، وبدأت بالقصف المستمر والعشوائي لغزة. نتيجة لذلك، أصبحت غزة بمثابة مدينة دريسدن الجديدة، حيث قُتل الآلاف وجُرح عشرات الآلاف. يحاول هذا البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية لإلقاء الضوء

على القضايا القانونية المحيطة بالأزمة الحالية والسياق الأوسع للوضع القانوني لـ «إسرائيل» كدولة ومطالباتها الإقليمية: هل كان الهجوم الفلسطيني في جنوب «إسرائيل» عملية إرهابية أو عملاً عدوانياً؟ أيّ جانبٍ من الصراع يمكنه أن يطالب بحق الدفاع عن النفس؟ هل ارتكبت «إسرائيل» إبادة جماعية في غزة؟ هل تركز «إسرائيل» ومطالباتها الإقليمية على أسس قانونية راسخة؟ وهل من المعقول قانونياً القول: إنّ «إسرائيل» تشكل تهديداً للسلم والأمن الدوليين؟

وفي مقابل خطط التصفية للقضية الفلسطينية رأى الأكاديمي الفلسطيني سلمان أبو ستة أن حقّ العودة هو المستقبل الوحيد لفلسطين، حيث يعيش العالم منذ 7 أكتوبر 2023، وطأة الصراع العنيف المستمر في غزة الذي أدّى إلى خسارة مأساوية لعدد لا يُحصى من الأرواح البريئة. والفهم الشامل للوضع الحالي في غزة يحتاج إلى الخوض في جذوره التاريخية. والدراسة التي بين أيدينا تقدّم فحصاً نقدياً دقيقاً للنكبة الفلسطينية والصراع الإسرائيلي الفلسطيني المستمر، وتسلط الضوء على التداعيات العميقة والدائمة للأحداث التاريخية، مثل وعد بلفور، والانتداب البريطاني على فلسطين، والنزوح العميق، ومعاناة السكان الفلسطينيين. علاوة على ذلك، تدعو هذه الدراسة إلى الحق الأساسي للاجئين الفلسطينيين في العودة إلى وطنهم، وتقدمه

على أنه عنصر محوري في الطريق نحو حل الصراع والسلام الدائم. وأخيرًا، تتناول الأدوار التي تؤديها القوى الدولية وسياساتها، وتسلط الضوء على تأثيرها في استمرارية الصراع.

وفي الوقت الذي تُوجّه سهام النقد إلى الدعم الأمريكي غير المشروط لـ«إسرائيل»، يسلط بحث شعلة البيرق من جامعة مرمرة الضوء على الصهيونية المسيحية وتطورها وخصائصها وموقعها في السياسة الأمريكية، ويشير البحث إلى أن استخدام المقاربة اللاهوتية للصهاينة المسيحيين في السياسة الأمريكية تزايد في الفترة الأخيرة، سواء في قرارات الرئيس السابق ترامب الخاصة بالاعتراف بالقدس عاصمة لـ«إسرائيل» أم في سياسة بايدن الداعمة للإبادة الجماعية التي تقوم بها «إسرائيل» في غزة.

ومن منظور فكري يتناول الأكاديمي بدران بن لحسن المسألة اليهودية من منظور مالك بن نبي، في دراسة تحليلية تتناول كتاب مالك بن نبي «وجهة العالم الإسلامي: المسألة اليهودية»، وتهدف إلى استخلاص المنظور الذي عالج به بن نبي الموضوع، والخلاصات التي توصل إليها؛ لذلك اعتمدت الورقة على منهج تحليل مضمون الكتاب. وقد توصلت إلى مجموعة نتائج، أهمها: أن بن نبي درس المسألة اليهودية ضمن أطروحته العامة لمعالجة مشكلات الحضارة، وفي سياق دراسته ظاهرة الاستعمار والعنصرية الغربية

وأثرها في مشروع التحضر الإسلامي. كما أن بن نبي اعتمد على التحليل التاريخي والاجتماعي النفسي لتطور النفوذ اليهودي في أوروبا، ورأى أن النفوذ اليهودي هو سبب الرؤية المادية والعنصرية والاستعمار الغربي، وأن الإسلام يمثل الملاذ الروحي للحضارة الإنسانية؛ لإنقاذها من وضعها الحالي، ولكن ذلك يحتاج من المسلمين إلى إستراتيجية واضحة، وتخطيط، وقيادة مركزية.

وحول التطورات الإقليمية يضم العدد بحثًا أخرى ليست بعيدة عن الحراك الجاري في الإقليم، على رأسها دراسة جان أجون ومحمد عبد الرحمن محمد علي بعنوان: «التقارب التركي المصري: التحديات والمصالح المشتركة» التي ترى أن تركيا ومصر دولتان تولىان دائمًا أهمية للعلاقات المتبادلة، وعلى الرغم من أن العلاقة بينهما شهدت صعودًا وهبوطًا فإن التاريخ والثقافة/ الحضارة المشتركة والقرب الجغرافي بين مصر وتركيا؛ كل ذلك يجعل العلاقات بين البلدين حتمية. تُعدّ العلاقات التركية المصرية من أهم العوامل المؤثرة في التطورات الجيوسياسية في الشرق الأوسط؛ لأن البلدين يمتلكان إمكانات لا يمكن تجاهلها في قيادة المنطقة، ورغم ذلك شهد العقد الماضي مواجهة خطيرة بين البلدين، حيث جُمّدت العلاقات، واصطدم الطرفان وجهًا لوجه بشأن القضايا الجيوسياسية الحاسمة، مثل شرق المتوسط وليبيا. وقد تكون زيارة الرئيس أردوغان مصر بعد 12 عامًا، نقطة

تحول تاريخية ستؤثر بشكل إيجابي في العلاقات بين البلدين.

ومن جانب آخر تناول الباحث صالح حمد صالح حديد في بحثه: «الحرب الأمريكية في أفغانستان: تطوّر طبيعة الحرب ونسق القوة» ميزان القوة بين الجيش الأمريكي ومقاتلي طالبان بعد عشرين عامًا من الحرب في أفغانستان، إذ كان الصراع بينهما صراعًا مركّبًا انطوى على تغيير مهمّ في طبيعة الحرب، وتحول في ديناميات ميزان القوة بين قوى عظمى «الولايات المتحدة وحلفائها»، وحركة اجتماعية ذات مرجعية دينية «طالبان»، وذلك على مستويين: أوّلها المواجهة المسلحة غير المتماثلة بين قوّات الطرفين، وثانيهما التنافس الثقافي والفكري بين الجانبين خلال عشرين عامًا من أوج مكافحة الإرهاب وفق التّصوّر الأمريكي، وذروة الجهاد في أبعاده الدينية والوطنية والثقافية وفق المعتقد الطالباني... وتخلص الورقة إلى مجموعة استشرافات عن طبيعة القوة الحاسمة في الحرب المعاصرة.

وفي آخر دراسات هذا العدد تناول الباحث مراد فياض تداعيات الكارثة المناخية التي حلّت بليبيا في شهر أيلول (سبتمبر) سنة 2023، وما نتج عنها من سيول وفيضانات أحدثت دمارًا غير مسبوق، تجاوزت ارتداداتها البعد الإنساني المحض لتمتد إلى أبعاد سوسيو سياسية لا تزال تبعاتها تنكشف يومًا بعد يوم. تكشف الدراسة عن المستويات المتعددة لآثار

الحدث المدوّي؛ سواء الإنساني منها أم الاقتصادي أم الخدمي وفق منظور سياسي. هذا المنظور الذي بيّن جذور الأزمة وما يتعلق بها بغياب الحوكمة، الذي لولاه ما كانت نتائج الإعصار لتكون بهذه الكارثية. كما أن هذه الحادثة أفرزت تفاعلات سياسية تجاوزت المستوى المحلي إلى مستويات إقليمية ودولية كانت تركيا أحد أبرز عناصرها.

وبالإضافة إلى الدراسات القيّمة يضم العدد عرضًا لكتاب الاستثنائية الإسرائيلية للكاتب محمد شهيد علّم، قدّمه الباحث اليمني عاصم محاميد. يحلّل هذا الكتاب السياق التاريخي لظهور الأساطير الصهيونية عن «الفردة اليهودية» أو «الاستثنائية الإسرائيلية»، ويوضح الدور الحقيقي لـ«معاداة السامية» في دعم المشروع الاحتلالي الإسرائيلي، كما يشرح علاقات الصهاينة بالقوى الكبرى، وطبيعة تناقضات هذه العلاقات وتوازنها ونجاحاتها منذ القرن التاسع عشر حتى بدايات القرن الواحد والعشرين، ويتنبأ بإخفاقاتها ومخاطرها المستقبلية.

وختامًا ندعوكم إلى قراءة بحوث العدد ودراساته كاملة؛ للوقوف على تحليلاتها بالتفصيل، فهي مهمّة لفهم بعض الأحداث المصرية التي تمر بها منطقتنا... وسيدوم التواصل بيننا في الأعداد القادمة -إن شاء الله- من خلال تناول المزيد من المسائل والأحداث والتطورات في عالمنا بالبحث والتحليل والدراسة.





المقالات - الدراسات

مآلات المشهد الإسرائيلي في معركة طوفان الأقصى
ساهر غزاوي

قراءة لتداعيات العدوان الإسرائيلي على غزة
مصطفى البرغوثي

مسيرة «إسرائيل» من الاستعمار الاستيطاني إلى الإبادة
بردال آزال

عملية طوفان الأقصى: منعطف في تاريخ المقاومة
محمد حسين مرجان

قراءة لتداعيات العدوان الإسرائيلي على غزة

مصطفى البرغوثي*

ملخص: يتناول هذا البحث قراءة لتفاعلات العدوان الإسرائيلي وتداعياته على غزة بعد 7 أكتوبر 2023، ويذكر أن الاحتلال الإسرائيلي سعى إلى نزع إنسانية الشعب الفلسطيني في ظل عدوان شمل الحصار والقتل والتجويع. وترى الورقة أن ما حدث في 7 أكتوبر لم يأت من فراغ، بل من خلفية التطهير العرقي خلال 75 عامًا، واحتلال عمره 56 عامًا، ومنظومة أبارتهيد، وتمييز عنصري، ولم يكن رد الفعل الإسرائيلي وليد الحدث، بل كان تنفيذًا لمخطط مسبق.

الكلمات المفتاحية: العدوان الإسرائيلي، غزة، التطهير العرقي، الشعب الفلسطيني.

* الأمين العام
للمبادرة الوطنية
الفلسطينية.

A Reading of the Dynamics of the Israeli Aggression on Gaza

MUSTAFA BARGHOUTI*

ABSTRACT: The current paper examines the interactions and repercussions of the Israeli aggression against Gaza after October 7, 2023, and indicates that the Israeli occupation sought to dehumanize the Palestinian people under an aggression that included siege, killing, and starvation. The paper believes that what happened on October 7 did not come out of nowhere, but rather from the background of 75 years of ethnic cleansing, a 56-year-old occupation, and a system of apartheid and racial discrimination. The Israeli reaction was not the result of the event, but rather was the implementation of a prior plan.

Keywords: Israeli aggression, Gaza, ethnic cleansing, the Palestinian people.

* Palestinian
National
Initiative General
Secretary,

لايسة فريكية
2024-(1/13)
9 - 20

محاولة نزع إنسانية الشعب الفلسطيني

تتركز سياسة حكومة الاحتلال الإسرائيلي في قطاع غزة ضمن 4 عمليات خطيرة يمارسها جيش الاحتلال في قطاع غزة؛ هي: محاولة نزع إنسانية الشعب الفلسطيني وشيئته، «وهو عمل تتشارك فيه (إسرائيل) وأطراف دولية أخرى»، والحصار بشكل «رهيب وقاتل وإجرامي» على غزة، بموازاة القصف الهمجى، إضافة إلى لجوء الاحتلال إلى قطع المياه والكهرباء والطعام عن السكان، رغم أنه من المؤكد أن أطفالاً سيموتون بسبب انقطاع الكهرباء، وكذلك مرضى الكلى بسبب افتقارهم للعلاج.

ولا تزال دولة الاحتلال الإسرائيلي تحاول الوصول إلى إكمال خطتها المتعلقة بالتطهير العرقي ضد الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، وهي خطة تهدف إلى تكرار نكبة 1948، وهذا التطهير العرقي يُنفَّذ اليوم في غزة، وغداً سيكون ضد الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية، وهو ما قصده نتنياهو بقوله: «سأغير خريطة الشرق الأوسط لخمسين سنة قادمة»، ولا يخفي الإسرائيليون ذلك، بل يدعون علناً للتطهير العرقي ضد الشعب الفلسطيني بأكمله، ويستندون في ذلك إلى دعم الولايات المتحدة الأمريكية التي تُعدّ شريكاً مع «إسرائيل» في الدعوة إلى التطهير العرقي ضد الفلسطينيين، ولذلك على دول العالم أن تتحمل مسؤوليتها إزاء ما تخطط له «إسرائيل» ضد الفلسطينيين، وإزاء العقاب الجماعي الذي تمارسه ضدهم.

قامت حكومة الاحتلال بقصف مستشفى المعمداني في «مجزرة ومذبحة وحشية» ارتكبتها «إسرائيل» ضد سكان آمنين في قطاع غزة، وقد بلغ عدد الذين استشهدوا في هذا القصف ضعف من قامت «إسرائيل» بذبحهم في مجزرة دير ياسين التي كانت أحد الأسباب في التطهير العرقي ضد الفلسطينيين، وفي هذا السياق كما فعل جيش الاحتلال الإسرائيلي وحكومته بنشر روايات كاذبة بعد 7 أكتوبر، فإنهم استمروا في الكذب مراراً، وبتغيير روايتهم باستمرار، كما حدث في حالة مراسلة الجزيرة شيرين أبو عاقلة التي اغتيلت برصاص الاحتلال يوم 11 مايو/ أيار 2022، في أثناء تغطيتها الهجوم الإسرائيلي على جنين، إذ غيروا روايتهم 4 مرات، وواصلوا إنكار جريمتهم، وقد استغرق التحقيق الإسرائيلي في جريمة اغتيال شيرين أسابيع طويلة، في حين أنهم توصلوا في جريمة قصف مستشفى المعمداني إلى استنتاجاتهم الكاذبة في غضون 5 ساعات فقط. في أول ردّ فعل لهم اعترف الإسرائيليون بقصف مستشفى المعمداني بحجة أن مقاتلين من حركة المقاومة الإسلامية (حماس) كانوا يختبئون بداخله، ثم اضطروا لتغيير روايتهم باتهام حركة الجهاد الإسلامي بقصف المستشفى بصاروخ.

مخطط التهجير

إن مخطط التهجير واضح لا لبس فيه، وقد تحدّث عنه بنيامين نتنياهو عندما وصف الأمر بأنه حرب استقلال ثانية للإسرائيليين، وهو مصطلح يعني النكبة الثانية للفلسطينيين. وإلى جانب ذلك، كانت هناك وثيقة إسرائيلية سُرّبت مؤخراً تحدّد 3 سيناريوهات مستقبلية لغزة، لكنها تفضل واحدًا منها، هو التهجير إلى مصر. إن التهجير ليس هدفًا إسرائيليًا فحسب، لكنه هدف أميركي أيضًا؛ لأن وزير الخارجية الأميركي أنتوني بلينكن حاول الحصول على موافقة عربية لهذا المخطط خلال جولته الأخيرة، لكنه قوبل برفض كبير.

وبالنظر إلى ما هو حاصل على الأرض، فإن على العرب «مواصلة الرفض والبدء في استخدام ما لديهم من أوراق يمكنهم من خلالها قلب الأوضاع على الأرض، وذلك من خلال التهديد بوقف إمدادات الطاقة كافة إلى الغرب ما لم توقف (إسرائيل) مخططاتها وحرّبتها على غزة». ويمكن الخطر في أن نجاح مخطط تهجير الغزيين إلى مصر سيتبعه تهجير سكان الضفة الغربية إلى الأردن، ومن هنا، فإن على الدول العربية الانتقال من مرحلة الرفض إلى مرحلة الفعل من خلال إدخال المساعدات إلى قطاع غزة رغمًا عن «إسرائيل».

وبسبب إخفاق المشروع الأوّل نتيجة صمود الفلسطينيين ورفض الدول العربية، فإنّ الاحتلال استبدل به تهجير سكان الشمال إلى الجنوب، عبر تدمير كل مقوّمات الحياة في الشمال. قامت «إسرائيل» بتدمير مقوّمات الحياة في شمال غزة بشكل وحشي، وبطريقة نازية غير مسبوقة، يؤكد ذلك انفجار أكثر المشاعر همجية لدى الإسرائيليين الذين يريدون إبادة كل ما هو فلسطيني فعليًا؛ والدليل على ذلك أنهم يمارسون تدميرًا وعنفاً كبيرين في الضفة الغربية المحتلة.

وبخصوص طريقة إدخال المساعدات من دون موافقة «إسرائيل» لا بد من تكوين قافلة عربية تضم مؤسسات دولية من تلك المتكدسة عند المعبر من أجل دخول القطاع بشكل جماعي، ولنفعل تل أبيب ما تريده، حتى لو قامت بقصف القافلة. كما أنه لا بد من تحرك عربي لفرض عقوبات على «إسرائيل»، مع التأكيد أن العرب يمكنهم تغيير المعادلة لو أنهم غادروا مرحلة الكلام إلى مرحلة الفعل.¹

وبهذا الصدد تحديداً، وبخصوص موقف الدول العربية والإسلامية التي اجتمعت في الرياض بتاريخ 11/11/2023، فإن عليها الاجتماع مرة أخرى للنظر فيما حدث بعد القمة الأولى؛ «لأنها لم تتحرك خطوة واحدة لكسر الحصار، تنفيذاً لمقررات اجتماع الرياض».

إنّ القمة العربية الإسلامية المشتركة أخفقت بشكل واضح؛ لأن ما خلصت إليه من قرارات لم يتجاوز الحديث الإنشائي، وأنه كان من الأجدى بها الاتفاق على إرسال قافلة ممثلة لجميع الدول المشاركة وتحديّ «إسرائيل» عبر إدخالها من معبر رفح. كما أن رسالة رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو التي وجهها بعد القمة للزعماء العرب بـ«أن يصمتوا إذا كانوا يريدون حماية مصالحهم»، هي وقاحة تظهر عجزاً أمام إخفاقه في قهر الشعب الفلسطيني.

الوحدة أولاً

على المستوى الوطني تُعدّ كل التحركات «ناقصة» ما لم تقم السلطة بتوحيد البيت الفلسطيني لمواجهة «المؤامرة الكبيرة» التي تُحاك ضدّ الفلسطينيين وقضيتهم. كما أن أخطر مواجهة حالياً هو التصدي لمحاولات شيطنة الفلسطينيين، وعدم السماح لـ«إسرائيل» بتشتيتهم، حيث إن «الحرب ليست على حماس وحدها». وفي هذا السياق ثمة تساؤل كبير عن سبب عدم دعوة القيادة إلى اجتماعات للأمناء العامين للفصائل أو اجتماعات على مستوى منظمة التحرير الفلسطينية، لتوحيد الموقف الفلسطيني ووضع إستراتيجية مواجهة سياسياً وشعبياً. وللأسف هناك غياب كبير للقيادة الفلسطينية، وهذا يجعلها ضعيفة أمام الضغوط الدولية والإقليمية التي تُمارس عليها لمزيد من التنازلات.²

ومن هنا لا بدّ من استمرار النداءات التي تقول: إن على قيادة منظمة التحرير الفلسطينية الدعوة إلى اجتماع فوري لجميع القوى الفلسطينية، وتشكيل قيادة وطنية موحدة لمواجهة الحرب الإسرائيلية على غزة بدعم أميركي وغربي. ومن واجب السلطة الفلسطينية وقيادة منظمة التحرير الرسمية، «إغلاق الباب بحزم أمام محاولة «إسرائيل» والولايات المتحدة تنفيذ مبدأ الاستعمار الدائم: «فرّق تَسُد»، وكذلك أمام «هدف الاحتلال تنفيذ تطهير عرقي كامل لقطاع غزة، وتدميره، ثم ضمه إلى «إسرائيل»، ثم الانتقال إلى تنفيذ تطهير عرقي، ونكبة جديدة للشعب الفلسطيني في الضفة الغربية، وهي عملية بدأها الإرهابيون المستوطنون».

وفي هذا السياق لا بدّ أن يُواجه الاحتلال بصفّ فلسطيني موحد وصلب ضدّ مؤامراته، ومحاولاته الاستفراد بالفلسطينيين قوة تلو أخرى، ومنطقة تلو أخرى، ومثلما هبت غزة لنصرة الضفة الغربية والقدس، فإن من الواجب على قوى الشعب الفلسطيني ومكوناته كافة أن تهبّ وتنهض لحماية غزة وأهلها.³

الشارع الأوروبي والعربي

فشل قادة «إسرائيل» في
الحروب السابقة بتحقيق
الأهداف وإخضاعهم
المتكرر لعدم فهمهم
إرادة الشعب الفلسطيني
المصمم على الحياة

إن تغيير مواقف الدول الداعمة لـ «إسرائيل»
وارد في حال استمرت الشعوب في حراكها
الضغوط على حكوماتها، ويشار في هذا السياق إلى
ما يُعدّ إجباراً من الشعب الفرنسي لرئيسهم إيمانويل
ماكرون، على تغيير موقفه بشأن الوضع في غزة،
واضطراب رئيس الوزراء البريطاني لـ «طرد» وزيرة الداخلية التي انتقدت سماح الشرطة
للمظاهرات الداعمة لفلسطين.⁴

أسقطت غزة رئيسي الوزراء أرييل شارون وإيهود أولمرت، ووزيرة الخارجية السابقة
تسيبي ليفني، وسقط بعضهم لإخفاقه، وسقط غيرهم لأنه أصبح مردوعاً، وتنتاهاو على
الطريق نفسه.

ويمكن القول: إنّ غزة عقدة مزمنة ومعضلة كبيرة لـ «إسرائيل»، بعدما شنت الأخيرة
حروباً عليها أعوام 2006 و2008 و2012 و2014 و2021 و2023، وإن مقاومة الشعب
الفلسطيني في غزة والضفة والقدس المحتلة وإصراره على نيل الحرية هما العقدة
الكبرى لتل أبيب.

إن قادة «إسرائيل» لم ينجحوا في الحروب السابقة بتحقيق الأهداف، وإخفاقهم
يتكرر؛ لأنهم لم يفهموا إرادة الشعب الفلسطيني المصمم على الحياة، وإرادة المقاتل
الذي يفضل التضحية على الاستسلام. وهم لم يتمكنوا من اقتلاع المقاومة، وأخفقوا
في بسط سيطرتهم سابقاً، وعجزوا الآن عن استعادة الأسرى بالقوة، أخفقوا في مخطط
التطهير العرقي؛ بسبب صمود الفلسطينيين.

إن «إسرائيل» حالياً بحالة ارتباك وإخفاق في ظل خسائر بشرية واقتصادية كبيرة،
ونزوح مئات آلاف الإسرائيليين من جبهتي الجنوب والشمال، علاوة على التحول
العالمي الذي وضع تل أبيب وواشنطن في حالة عزلة.⁵

الدعم الأمريكي غير المسبوق

إن «إسرائيل» تواجه مشكلة أن الفلسطينيين لم يهادنوا، ولم يتنازلوا عن أرضهم، ومن ثمّ
لم يعد أمامهم إلا القضاء على كل ما هو فلسطيني تماماً؛ لإقامة دولتهم اليهودية المأمولة.

ومن هذا المنطلق، فإن ما تقوم به «إسرائيل» حاليًا ليس للرد على هزيمة السابع من أكتوبر/ تشرين الأول فقط، بل لتطهير الفلسطينيين عرقياً.

إلى جانب ذلك، فإن الولايات المتحدة تعتمد على «إسرائيل» في أمور كثيرة تتعلق بحماية مصالحها وتأمينها في المنطقة كما يقول مكي، مضيفاً «بالتالي فإن الدعم الأمريكي ليس فقط للقضاء على حماس، وإنما لإعادة الصورة الأسطورية التي انهارت».

«إسرائيل» فقدت الحصانة أمام القانون الدولي

لا بدّ من الإشارة إلى أهمية قرار محكمة العدل الدولية، إذ إن دولة الاحتلال الإسرائيلي فقدت -أول مرة- ما امتلكتها طوال 75 عامًا، وهو الحصانة أمام القانون الدولي، التي منحها إياها الولايات المتحدة الأميركية ودول غربية أخرى.

كما أن المحكمة عرّت الجرائم الإسرائيلية، فضلاً عن أن القرارات التي أصدرتها تقر صراحة بأن «إسرائيل» ارتكبتها بحق الفلسطينيين، حيث طالبتها بالامتناع عن ارتكاب ما يؤدي إلى الإبادة الجماعية، وأن تمنع التحريض عليها، وأن توصل المساعدات إلى سكان قطاع غزة. ولذلك جرى وضع «إسرائيل» أمام مقصلة المحكمة باستمرار، وهذا سيفتح الطريق لتحقيق أمور أكثر. بالإضافة إلى ما سبق هناك ملف آخر، هو الذهاب إلى مجلس الأمن، وهنا تكمن أهمية القرار الجزائري بالذهاب إلى مجلس الأمن الدولي؛ لأن تنفيذ قرارات محكمة العدل الدولية لن يكون إلا بإصدار قرار من المجلس يلزم «إسرائيل» بوقف طلاق النار وبشكل فوري.⁶

ولا يبدو الرئيس الأمريكي جو بايدن عازماً فعلاً على المضي قدماً نحو إقامة دولة فلسطينية مستقلة كما صرح مؤخراً، وإنما يحاول تحقيق أهداف انتخابية داخلية، وجرّ مزيد من الدول العربية نحو التطبيع مع «إسرائيل» من دون وقف الجرائم التي ترتكبها في غزة.

إن تصريحات بايدن عن دولة فلسطينية ذات أنماط لم تُحدّد طبيعتها، لا يعدو كونه بيع أوهام للفلسطينيين والعرب والعالم كله، وبالنظر إلى تاريخ ننتيا هو السياسي القائم بالأساس على الحيلولة دون إقامة أي دولة فلسطينية مستقلة، وتصريحاته الأخيرة التي قال فيها: إن «إسرائيل» لن تتخلى عن كل ما هو غرب نهر الأردن (الضفة الغربية)، وحديثه السابق عن أنه أفضل رئيس وزراء يمكنه منع قيام دولة فلسطينية، فإن حديث بايدن «يصبح مجرد نفاق سياسي لا يجب التعامل معه فلسطينياً ولا عربياً».



إلى جانب ذلك، فإن بايدن لم يحدّد ما نمط الدولة التي يتحدث عنها، التي قد تكون مجرد معسكرات بلا سيادة ولا حدود، تحت احتلال يمارس الفصل العنصري ضدها. والأهم من كل هذا، هو أن بايدن «لم يتحدث عن وقف الحرب، ولا وقف الاستيطان، ولا إنهاء الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية، وهذا يعني أنه يحاول إرضاء بعض الناكبين الغاضبين منه، وتوفير ورقة توت للدول العربية المطبّعة مع «إسرائيل» أو التي تريد التطبيع معها».

إن تصريحات بايدن عن الدولة الفلسطينية أو اليوم التالي للحرب، إلى جانب دوافعه الانتخابية- «محاولة لصرف أنظار العالم عن الجريمة التي ترتكبها (إسرائيل) بحق المدنيين في غزّة». ويستند فيما سبق إلى أن كل المنظومة الصهيونية بما فيها عضو مجلس الحرب بيني غانتس وزعيم المعارضة يائير لبيد- ترفض فكرة قيام الدولة الفلسطينية المستقلة، كما أن جوهر التحرك الإسرائيلي خلال العقد الأخير هو أنها دولة فاشية لن تقبل حلولاً وسطاً، ولا دولة فلسطينية.

ويمكن رؤية هذا التوجه في سيطرة المستوطنين على 60 ٪ من المنطقة «ج» بالضفة الغربية، وهم يمارسون فيها «تطهيراً» عرقياً حالياً، رغم أنها جزء من اتفاقية أوسلو.

ولأن «إسرائيل» تعوّق إدخال المساعدات إلى الفلسطينيين برّاً وجوّاً وبحراً وبكل الوسائل، فإن الحل يكمن في قافلة إنسانية تتحدى الاحتلال في كسر الحصار، والسؤال: هل تجرؤ «إسرائيل» على قصف قافلة تحمل أعلام 57 دولة عربية وإسلامية، ومعها دول أخرى مثل البرازيل وغيرها؟

أما الحلّ الثاني فهو أن يفرض العالم عقوبات على «إسرائيل» التي لن تراجع ما لم تدفع الثمن من خلال فرض عقوبات دولية عليها، فمثلاً كولومبيا منعت استيراد السلاح من «إسرائيل»، وهذا سيسبب للاحتلال خسائر كبيرة.

وبالإضافة إلى خيار العقوبات، فإنه من الأهمية بمكان ممارسة الضغط على محكمة العدل الدولية لتصدر قراراً بوقف العدوان والجريمة الكبرى التي تُرتكب بحق الشعب الفلسطيني، كما أن الأمر لا يحتاج إلى ممرّ بحري ولو أرادت «إسرائيل» أن تتعاون، فالأردن مستعدّ لفتح خطّ برّي يمرّ من معبر بيت حانون (إيريز)، وليس بالضرورة الذهاب عبر رفح لإدخال المساعدات.

النظام السياسي الفلسطيني: الأزمة والحلّ

لا بدّ من الإقرار بأن النظام السياسي الفلسطيني يعاني أزمة عميقة، ومعركة غزّة أثبتت أن المنظومة الرسمية عاجزة عن مواجهة التحديات الخطيرة التي يمثلها العدوان الصهيوني. وتعود هذه الأزمة إلى عدة أسباب:

- إخفاق البرنامج أو المشروع السياسيّ لقيادة منظمة التحرير؛ أي مشروع أوسلو.
- استمرار الانقسام الداخلي وتعطيل جهود المصالحة.
- انعدام الديمقراطية الداخلية في مؤسسات منظمة التحرير والسلطة الوطنية.
- الإخفاق في بلورة آليات للشراكة الديمقراطية؛ سواء على مستوى قيادة النضال الوطني، أم إدارة العملية السياسية، أم إدارة السلطة، أم إصلاح منظمة التحرير. إذ صار الجمهور الفلسطيني، في الداخل والخارج، متقدّماً على القيادة الرسمية، والنضال الفعلي على الأرض، متقدّماً بوحده على الانقسام القائم بين الفصائل. ونشأت فجوة واسعة وعميقة بين القيادة الرسمية لمنظمة التحرير (ومعظم الفصائل المنضوية فيها) والجمهور، وخصوصاً الأجيال الشابة التي تشعر بالتهميش والإقصاء، في وقت تتعاظم فيه المؤامرات؛ لتصفية حقوق الشعب الفلسطيني والالتفاف عليها.⁷

ويتطلب حلّ هذه المعضلة حماية حقّ الشعب الفلسطيني في تمثيل نفسه، وتوحيد مكونات الشعب في حركته النضالية، والحفاظ على وحدة الأرض والوطن الفلسطيني، ولا يمكن المزج بين الأمرين إلا بتشكيل قيادة وطنية موحّدة تضم جميع القوى والطاقات النضالية في إطار منظمة التحرير على أساس ما يأتي:

- برنامج وطني كفاحي مقاوم للمشروع الصهيوني برمته غير متكيف معه.
- بناء منظومة ديمقراطية داخلية على أساس الشراكة الديمقراطية، ورفض التفرد والهيمنة.
- إجراء انتخابات ديمقراطية حقيقية تشمل الفلسطينيين في الداخل والخارج.
- انتزاع زمام المبادرة في العمل لتطبيق هذه الأهداف، وبناء قوة ضغط شعبية لتحقيقها.
- وأخيرًا، إعادة بناء العلاقات الفلسطينية مع قوى التحرّر والتقدّم العربية والعالمية، بالاستناد إلى ما أثمرته الثورة العالمية المتضامنة مع الشعب الفلسطيني والرافضة للعدوان على قطاع غزة، وبالاستناد كذلك إلى تاريخ عريق من علاقات الثورة الفلسطينية معها.

من نتائج المعركة

أفرزت تداعيات العدوان الإسرائيلي نتائج عديدة، منها:

1. إن التهجير والتطهير العرقي سياسة رسمية لـ «إسرائيل» في إطار استمرارها في مشروع الاستعمار الاستيطاني الإحلالي الذي أنشئت على أساسه، وبصفته نتيجة له منذ 1948، وهي تواصل تنفيذه اليوم عبر الاستيطان وتوسيع الاحتلال الكامل ليشمل قطاع غزة⁸.
2. إن «إسرائيل» ترفض أي حلّ وسط مع الفلسطينيين، ولا تقبل بما يسمّى «حلّ الدولتين»، وتعدّ كل فلسطين التاريخية أرضًا لليهود، وحق تقرير المصير فيها محصور باليهود فقط.
3. إن «عملية السلام» واتفاقية أوسلو كانتا من وجهة النظر الإسرائيلية وسيلة لكسب الوقت؛ لاستكمال مشروع الاستيطان والتهويد للضفة الغربية.
4. إن نجاح الاحتلال في تنفيذ التطهير العرقي الكامل لقطاع غزة، فسوف ينتقل لتنفيذه في الضفة الغربية، وسيحاول اقتعال مواجهات واسعة مع الفلسطينيين لتسويق ذلك.
5. لم يأت ما حدث في 7 أكتوبر من فراغ، بل من خلفية التطهير العرقي خلال 75

TÜRKİYE YOUR RESILIENT PARTNER



المرونة والقوة لدعمكم

يحتل الاقتصاد الحادي عشر في العالم (الناتج المحلي الإجمالي على أساس تعادل القوة الشرائية) الذي قفز 7 مراتب في 18 عامًا.

قصة نجاح أدت إلى خفض نسبة إجمالي الدين العام إلى الناتج المحلي الإجمالي من 71% في عام 2002 إلى 38% في عام 2021.

أداء لافت للنظر أدى إلى زيادة الناتج المحلي الإجمالي من 238 مليار دولار إلى 803 مليار دولار في 19 عامًا





1. محللون: سكان غزة يواجهون مخططاً إسرائيلياً خطيراً وتواطؤاً عربياً | أخبار | الجزيرة نت (aljazeera.net)
2. أين السلطة الفلسطينية من العدوان الإسرائيلي على غزة؟ | سياسة | الجزيرة نت (aljazeera.net)
3. "المبادرة الوطنية" تطالب منظمة التحرير بتشكيل قيادة موحدة | أخبار | الجزيرة نت (aljazeera.net)
4. محللون: القمة العربية الإسلامية فشلت في استثمار الضغوط المتزايدة على «إسرائيل» | أخبار سياسة | الجزيرة نت (aljazeera.net)
5. مصطفى البرغوثي: غزة أسقطت كل شخصية سياسية إسرائيلية وننتهاه بالطريق | أخبار | الجزيرة نت (aljazeera.net)
6. خبراء قانون ومحللون: «إسرائيل» فقدت الحصانة أمام القانون الدولي | أخبار | الجزيرة نت (aljazeera.net)
7. المشروع الوطني الفلسطيني بعد العدوان، العربي الجديد، 20 فبراير 2024، <https://www.alaraby.co.uk/opinion/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B4%D8%B1%D9%88%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B7%D9%86%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A-%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%AF%D9%88%D8%A7%D9%86>

رؤى

ROUYA TURKIYYAH

تركيية

WINTER 2024 VOL 13 NO. 1



قراءة لتداعيات العدوان الإسرائيلي على غزة

مصطفى البرغوشي

عملية طوفان الأقصى: منعطف في تاريخ المقاومة

محمد حسين مرجان

مآلات المشهد الإسرائيلي في معركة طوفان الأقصى

ساهر غزاوي

«إسرائيل» من الاستعمار الاستيطاني إلى الإبادة الجماعية

بردال آزال

لعدوان على غزة:

الإبادة الجماعية وأمل التحرير

للمان أبو ستة - شعلة البيرق - بدران بن لحسن - جان أجون - محمد

ببد الرحمن محمد علي - صالح حمد صالح حديد - مراد فياض

عملية طوفان الأقصى: منعطف في تاريخ المقاومة الفلسطينية وتداعياتها

محمد حسين مرجان*

ملخص: ترى هذه الورقة أن عملية طوفان الأقصى التي شنتها كتائب عز الدين القسام، الجناح العسكري لحركة حماس، صباح 7 أكتوبر 2023م، أدت إلى تمزق نفسي ومعرفي في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي وسياسات الشرق الأوسط، وشكلت نقلة نوعية في فلسفة المقاومة، وأن تسلل صواريخ القسام إلى الأراضي المحتلة برًا وبحرًا وجوًّا كان إشارة واضحة إلى تغير في إستراتيجية المقاومة لمواصلة النضال النشط ضد الاحتلال والتوسع العدواني للحكومة الإسرائيلية الصهيونية. وفي هذا السياق تحاول الدراسة تأطير عملية طوفان الأقصى، وتحليل أبعاد الانكسارات التي أدت إليها. وتتناول الدراسة كذلك التأثير المحتمل للعملية في السياسة العالمية والإقليمية، وأن العملية الجارية ستغيّر التوازن السياسي في الشرق الأوسط.

الكلمات المفتاحية: طوفان الأقصى، غزة، حماس، الصراع الفلسطيني الإسرائيلي.

*جامعة مرمره،
تركيا.

Al-Aqsa Flood Operation: A Turning Point in the History of the Palestinian Resistance and its Repercussions

MUHAMMED HÜSEYİN MERCAN*

ORCID NO :0000-0003-4699-0700

ABSTRACT: This paper argues that the al-Aqsa Flood operation launched by the Izz ad-Din al-Qassam Brigades –the military wing of Hamas– on the morning of October 7 has led to a psychological and epistemological rupture in the Palestinian-Israeli conflict and Middle East politics as the operation marked a paradigm shift in the philosophy of the resistance. The infiltration of al-Qassam into the occupied territories by land, sea, and air was a clear sign of a change in the strategy of the resistance to continue the active struggle against the aggressive expansionism and aggression of the Zionist Israeli government. In this context, the study tries to frame Operation al-Aqsa Flood and analyze the dimensions of the rupture. Besides this, it will also outline the possible impact of the operation on global and regional politics, considering that the ongoing process will change the political balance in the Middle East.

Keywords: Al-Aqsa flood, Gaza, Hamas, Palestinian-Israeli conflict.

*Marmara
University,
Türkiye.

رئيسة تركية،
2024-(1/13)
21 - 34

المدخل:

قدّم فواز جرجس، الباحث البارز في مجال دراسات الشرق الأوسط، وجهة نظر جديدة حول الانتفاضات العربية في مقدمة كتابه المحرّر عام 2014 بعنوان "الشرق الأوسط: الاحتجاج والثورة في العالم العربي". وفي إشارة إلى الانتفاضات، يقول جرجس: "حدث تمزّق نفسي ومعرفي في الشرق الأوسط العربي هزّ النظام الاستبدادي من أساسه، وأدخل لغة جديدة وعصرًا جديدًا من السياسات والثورات المثيرة للجدل". تزامن عام 2014 مع خمود الثورات الشعبية في العالم العربي، باستثناء تونس، وعودة الوضع الاستبدادي الراهن في مصر، وانزلاق ليبيا واليمن في أزمات كبيرة. وعلى الرغم من هذه المؤشرات السلبية، فإن تصوير العملية على أنها "تمزّق نفسي ومعرفي" ارتبط بشكل مباشر بالدافع التحرري للثورة الذي سيبقى إرثًا للسنوات المقبلة.

ولن يكون من المبالغة القول: إن عملية طوفان الأقصى كان لها تأثير مماثل في العالم العربي فيما يتعلق بالسياسة الإقليمية والعالمية. وبشكل تسلسل عناصر المقاومة الخاضعة للحصار في منطقة طويلة منذ سنوات، برًا وبحرًا وجوًا إلى الأراضي التي تحتلها «إسرائيل»، علامة فارقة في مسيرة النضال الفلسطيني ضد الاحتلال الصهيوني. وهكذا تشكل العملية التي أطلقتها كتائب عز الدين القسام، الجناح العسكري لحركة حماس، صباح 7 أكتوبر، نقلة نوعية في المقاومة الفلسطينية وعهدًا جديدًا. ومن ناحية أخرى فإن الانكسار الأخير في تاريخ الشرق الأوسط الحديث نتيجة عملية طوفان الأقصى يبين بوضوح أن هذه العملية من شأنها أن تغيّر التوازن السياسي في المنطقة. وفي هذا السياق تحاول الدراسة تأطير العملية، وتحليل أبعاد الانكسارات التي نجمت عنها. كما أنها توضح التأثيرات المحتملة للعملية في السياسة الإقليمية والعالمية.

تأطير عملية طوفان الأقصى: تمزق نفسي ومعرفي

شكّلت عملية طوفان الأقصى نقطة تحوّل مهمّة في النضال الفلسطيني، حيث شكّلت التغيير الأكثر جوهرية في فلسفة المقاومة منذ الانتفاضة الأولى (1987). الفلسطينيون الذين اعتقدوا عقودًا عديدة أنهم سينهون الاحتلال وقيمون دولة مستقلة بفضل دعم العالم العربي، أدركوا بحلول منتصف السبعينيات أن العرب لن يتخذوا الخطوات اللازمة في هذا الصدد. أدركت قيادة المقاومة الفلسطينية أن الطريق الوحيد للتقدم يعتمد على مبادرتها وإرادتها، فأطلقت انتفاضة ضخمة ضد «إسرائيل» بقوة شعبها. ولذلك، أدت الانتفاضة الأولى إلى تحول كبير في نموذج المقاومة الفلسطينية. وبدلاً من انتظار تحرك من المجتمع الدولي أو العالم العربي، فإن النضال المحلي ضد النظام الصهيوني

المحتل، ولو بوسائل محدودة، يمكن أن يمكن فلسطين من تحقيق مكاسب نحو الاستقلال. كما سمحت هذه الإستراتيجية الجديدة للمقاومة الفلسطينية بإسباغ الطابع المؤسسي وبناء هوية قوية. علاوة على ذلك، فإن تأسيس حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في بداية الانتفاضة الأولى¹ كان بمثابة إشارة إلى أنه لن يحدث في المقاومة الفلسطينية تحول منهجي فحسب، بل أيديولوجي أيضًا. وفي واقع الأمر، في السنوات التالية، أدى تصور حماس للنظام السياسي والأساليب التي استخدمتها والخطاب الذي أنتجته وموقفها الواضح ضد الاحتلال الإسرائيلي، إلى إيجاد استجابة لهذه الحركة في جميع أنحاء فلسطين، وأصبحت واحدة من أقوى الجهات الفاعلة في الحياة السياسية الفلسطينية².

إن إستراتيجية حماس الحازمة على مر السنين، والخبرة القتالية لكثائب عز الدين القسام، سمحت بإطلاق عملية ضد «إسرائيل» من غزة. شكّلت العملية، التي بدأت صباح 7 أكتوبر، نقلة نوعية في أعقاب الانتفاضة الأولى. وتحولت عناصر المقاومة في غزة، بقيادة كتائب القسام، من نموذج المقاومة الدفاعي ضد الهجمات الإسرائيلية إلى إستراتيجية هجومية تقوم على التسلل متعدد الجوانب. بالإضافة إلى ذلك، كان إنشاء «مركز عمليات مشتركة» يضم 12 مجموعة مقاومة مختلفة للقتال ضد قوات الاحتلال بطريقة منسقة أمرًا جديدًا بالملاحظة أيضًا في توحيد جميع الفصائل الفلسطينية ضد العدو المشترك³. وبينما أضاف كلا التطورين بعدًا جديدًا للمقاومة الفلسطينية، فإنهما أدّيا أيضًا إلى قطيعة نفسية ومعرفية في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي.

وبينما أحدثت الساعات الأولى من عملية طوفان الأقصى موجات صدمة في الجانب الإسرائيلي، ظهرت أيضًا أولى علامات التمزق النفسي. فدولة «إسرائيل» كانت قد عملت سنوات طويلة على خلق أسطورة مقنعة حول قدرة وحداتها الاستخباراتية وكفاءتها. وتقويض الاعتقاد العام بأن أي عمل يشكل تهديدًا لـ«إسرائيل» من داخل فلسطين أو خارجها سيجري الكشف عنه مسبقًا، واتخاذ «إسرائيل» التدابير اللازمة؛ كان بمثابة المحطة الأولى من التمزق النفسي الذي بدأ في السابع من أكتوبر. وأخفقت المخابرات الإسرائيلية في رصد العملية التي نفذتها كتائب عز الدين القسام بالتنسيق مع فصائل مقاومة أخرى، وهذا يشير إلى وجود مشكلة كبيرة. وتشير تصريحات الجهات الرسمية والتحليلات على مختلف المنصات إلى أن حماس تلاعبت بالمخابرات الإسرائيلية⁴. وكشفت التصريحات اللاحقة أن حماس نفذت إستراتيجيات مختلفة لتضليل الجانب الإسرائيلي من خلال الإيحاء بأن العملية مخطط لها من أجل وقت لاحق. وفي الحقيقة طورت حماس نفسها بشكل جذري في مجال الاستخبارات السبخرانية في السنوات

الأخيرة، وتمكنت من الوصول إلى العديد من الوثائق السرية التابعة لـ «إسرائيل»، تشكل علامات أساسية من حيث فهم الضغط الذي تمارسه حماس بقواتها على دولة الاحتلال.

إلى جانب إخفاق الأسطورة الاستخباراتية القوية بعد العملية، انهارت أسطورة أخرى تتعلق بنظام الدفاع الجوي «القبة الحديدية». أخفقت القبة الحديدية التي يُنظر إليها على نطاق واسع على أنها واحدة من أقوى أنظمة الدفاع الجوي في العالم، في الدفاع بشكل كامل عن «إسرائيل»، ولم تتمكن من اعتراض آلاف صواريخ كتائب عز الدين القسام. وهذا يعني أن النقاط البعيدة عن غزة أصبحت مهددة ولم تعد آمنة من قبل المقاومة. وتسبب إخفاق النظام الذي بنته في إلحاق أضرار أكبر من أي وقت مضى بأجهزة الدولة والمجتمع في «إسرائيل». إضافة إلى ذلك، فإن تحييد عدد كبير من ضباط الجيش، وأسر مئات الأسرى في الساعات الأولى من العملية، يظهر كيف أدت عملية طوفان الأقصى إلى تفكيك أجهزة الأمن الإسرائيلية.

كبدت المقاومة الفلسطينية «إسرائيل» خسائر كبيرة لأول مرة، وتعرضت لدمار نفسي كبير انعكس على شكل مستوى كبير من العدوان لم يسبق له مثيل في ماضيها. إن سياسة العدوان غير المسبوقة التي يتتبعها صناع القرار الإسرائيليون ضد غزة، والذين شعروا لأول مرة بالخوف العميق من الهزيمة، تنبع من اللاعقلانية التي يسببها هذا الخوف. الدمار النفسي الذي واجهته «إسرائيل» بعملية حماس كان يعني أيضًا مكسبًا نفسيًا للمقاومة الفلسطينية. والتغيير الذي طرأ على إستراتيجية حماس وغيرها من الجماعات في السابع من أكتوبر، وانتقالها من موقف دفاعي أو إستراتيجية مقاومة شبه نشطة، يمكن عدّهما العنصر المركزي في هذا التمزق النفسي. وفي هذا الصدد، تُعدّ عملية طوفان الأقصى بمثابة قطعة كاملة في تاريخ المقاومة الفلسطينية، سواء من ناحية كونها تمثل التحول الأكثر أهمية في الطابع الأساسي للمقاومة بعد الانتفاضة الأولى، أم من حيث إظهار ما يمكن أن تقوم به المقاومة الفلسطينية رغم محدودية إمكانياتها. وهذه العملية، التي نفذتها المقاومة الفلسطينية بإرادتها، ضرورية أيضًا لتغيير المفاهيم حول الذاتية الفلسطينية. والتعبير عن ذاتية جديدة وفريدة من نوعها من خلال العملية يمثل تحدّيًا قويًا للعلاقة غير المتكافئة بين فلسطين و«إسرائيل» التي جرى بناؤها في السنوات الماضية.

أدى الطابع المهيمن لـ «إسرائيل» على الساحة الدولية إلى علاقة غير متكافئة في العمليات كافة. على الرغم من أن مفاوضات أوسلو واتفق أوسلو بين الجانبين الإسرائيلي والفلسطيني جرى تصويرهما من قبل الكثيرين على أنهما خطوة أساسية نحو السلام، فإنهما عمّا أيضًا العلاقة غير المتوازنة بين الجانبين. وفي هذه المفاوضات

التي جرت ذاتيًا في الجانب الإسرائيلي وموضوعيًا ⁹ استعادت حماس والمقاومة الفلسطينية التفوق في الخطاب بالتزامن مع اشتداد اللهجة الناقدة للمقاومة بالتوازي مع شدة الهجمات على غزة ومحاولة وزير الدفاع الإسرائيلي شيطنة المقاومة ⁶⁶

مستقلة⁶. وفي السنوات التي تلت ذلك، كانت قدرة «إسرائيل» على التصرف في الأراضي المحتلة كما تشاء، وهجماتها المدمرة على غزة بشكل خاص، سببًا في هيمنة اليأس على الفلسطينيين إلى حد ما. لهذا السبب، كانت عملية طوفان الأقصى نقطة البداية لكسر نفسي سترك إرتًا جديدًا من المقاومة لسنوات قادمة على صعيد الوصول إلى مستوى جديد من المقاومة، وإثبات أن الأشخاص الذين يعيشون تحت الحصار منذ سنوات لا يزال بإمكانهم القيام بعملية متعددة الأبعاد والجبهات.

شكّلت عملية 7 أكتوبر الصدع الكبير الثاني في تاريخ الصراع الفلسطيني الإسرائيلي ومقاومة الاحتلال في السياق المعرفي. ف«إسرائيل» بإستراتيجيتها الاحتلالية التوسعية التي تنفذها من خلال قواتها العسكرية، لم تتمتع بالتفوق المادي على الأرض فحسب، بل كانت تتمتع أيضًا بالتفوق الخطابي على الساحة الدولية. والدعم الذي قدمته الدول الغربية وفي مقدمتها الولايات المتحدة لـ«إسرائيل»، مكن من إنتاج هذا الخطاب ووفر الشرعية. وفي هذا الإطار، حاولت الجهات الرسمية في الدول الغربية إسباغ الشرعية على جميع أعمال «إسرائيل» غير القانونية بطريقة أو بأخرى. وفي محاولتها ممارسة دبلوماسية عامة فعالة على الساحة الدولية، كانت «إسرائيل» إلى حد ما، تخفي جرائمها عن عيون العالم أجمع من خلال الهاسبر⁷ للتغطية على جرائمها⁸. ومع ذلك، فإن الموقف غير العقلاني الناجم عن الخوف الذي واجهته «إسرائيل» بعد 7 أكتوبر خلال عملية طوفان الأقصى أدى إلى خسارة «إسرائيل» تفوقها الخطابي، وتعرضت دبلوماسيتها العامة لانهايار خطير.

استعادت حماس والمقاومة الفلسطينية التفوق في الخطاب، بالتزامن مع اشتداد اللهجة الناقدة للمقاومة بالتوازي مع شدة الهجمات على غزة. وحاول وزير الدفاع الإسرائيلي يوآف غالانت شيطنة المقاومة في غزة قائلاً: «نحن نقاتل ضد حيوانات بشرية»⁹. يمكن تفسير تصريح وزير الدفاع على أنه محاولة لتأمين دعم «العرق الغربي المتفوق» من خلال الإشارة إلى لغة استعمارية تقليدية تجد «إسرائيل» صعوبة في إنتاجها. كتب روديارد كيبلينغ، المشهور في الأدب الإنكليزي، قصيدة للجيش الأمريكي

الذي غزا الفلبين عام 1899، أشار فيها إلى مهمة الرجل الأبيض المقدسة، ووصف المجتمعات غير الغربية بأنها «نصف طفل ونصف شيطان». التشابه بين وصف كيلينغ وغالانت للفئة المهمشة، رغم وجود فجوة زمنية تزيد على 130 عامًا، يكشف أن قادة الصهاينة الإسرائيليين نسوا تمامًا فهمهم للإنسانية تحت وطأة فقدان التفوق في 7 أكتوبر.

يمكن وصف الإستراتيجية الدولية الناجحة التي اتبعتها «إسرائيل» في سياسة الاحتلال حتى الآن بأنها سياسة تليد الإحساس. فالعنف المفرط والمجازر التي ارتكبتها «إسرائيل» أدت إلى بلادة الحساسية الدولية، وعدّهما المجتمع الدولي أمرًا طبيعيًا، ومنح «إسرائيل» مجالًا واسعًا للمناورة. بالمقابل فقدت «إسرائيل» تفوقها في الخطاب الدولي، وواجهت احتجاجات أكبر من أي وقت مضى في جميع أنحاء العالم، وإلى جانب الأضرار العسكرية والسياسية والاقتصادية التي سببها 7 أكتوبر، بدأت الرسالة التي وجهتها الجماهير المتضامنة مع غزة ضد الممارسات اللاإنسانية للنظام الصهيوني تتحول إلى كابوس يقض مضجع «إسرائيل»، وبدأت الاحتجاجات الحاشدة والتطورات في المجال الدبلوماسي وتساعد معاداة الصهيونية في الساحة الدولية يشيران إلى أن العملية في غزة ستثقل كاهل «إسرائيل» بمزيد من التكاليف.

وفي هذه العملية، تواصل المقاومة في غزة إلحاق خسائر فادحة بقوات الاحتلال بينيتها الحازمة المنسقة. ومن ناحية أخرى، فإن أبناء غزة جميعًا يقدمون دروسًا عظيمة للعالم بإصرارهم وصبرهم وإيمانهم المطلق بالنصر. والصور التي ظهرت خلال عملية تبادل الرهائن والرسائل التي أرسلها الرهائن الإسرائيليون فتحًا مساحة كبيرة لشرعية حماس والمقاومة في غزة، وبددت بالمقابل حجج «إسرائيل» المتلاعبة المزعومة. كل هذه المؤشرات تثبت مرة أخرى أن عملية طوفان الأقصى كانت نقطة تحول مهمة في النضال الفلسطيني ضد الاحتلال. إضافة إلى ذلك، فإن السابع من أكتوبر هو المصدر الأساسي للتحفيز الذي فتح الباب أمام حقبة جديدة في المقاومة الفلسطينية، ولحظة تاريخية فاصلة ستظهر انعكاساتها في السياسة الإقليمية والعالمية.

هل تبشر عملية طوفان الأقصى بتحول تنظيمي في بنية الشرق الأوسط؟

في العقود القليلة الماضية، ظهرت أدبيات واسعة النطاق حول الدور المتزايد للدين في العلاقات الدولية. والتحول من المجال العلماني إلى وضع يجري فيه تحديد السياسات والإستراتيجيات على محور «المقدس» - واضح في خطاب وتصرفات بعض الدول. وفي هذا الصدد، يشير الوضع الذي نشأ في أعقاب عملية طوفان الأقصى إلى



أن تأثير السياسة الدينية في سياسات الشرق الأوسط سيكون محسوسًا بشكل أكبر في السنوات المقبلة.

ففي خطابه الذي ألقاه مساء يوم 25 أكتوبر 2023، لم يرق رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو بشيطنة حماس فحسب، بل استخدم أيضًا الخطاب الديني لإسباغ الشرعية على نفسه من أجل تخفيف رد فعل المواطنين الإسرائيليين ضد الحكومة. والجزء الأكثر أهمية في الخطاب هو تأكيد نتيناهو القوة الجماعية والإيمان العميق للمجتمع الإسرائيلي، وأنه قادر على تدمير حماس وتحقيق نبوءة إشعياء. ونقلًا عن سفر إشعياء، قال نتيناهو: «لَا يُسْمَعُ بَعْدُ ظُلْمٌ فِي أَرْضِكَ، وَلَا خَرَابٌ أَوْ سَحَقٌ فِي تُخُومِكَ، بَلْ تُسَمَّيْنَ أَسْوَارَكَ: خَلَاصًا، وَأَبْوَابَكَ: تَسْبِيحًا»¹⁰.

الخطاب الديني الذي استخدمه رجال الدولة الإسرائيليون بعد 7 أكتوبر يشكل الدليل الأكثر أهمية على أن الصهيونية تهدف إلى تحقيق أهدافها السياسية. لكن ما يشكل خطورة

على توازن السياسة الإقليمية والعالمية هو تأييد المرجعيات الدينية للقادة الإسرائيليين من قبل القوى الغربية الرئيسة، وبخاصة الولايات المتحدة. فهذا وزير الخارجية الأمريكي أنطوني بلينكن خلال زيارته إلى تل أبيب في 12 أكتوبر، سعى صراحة إلى إسباغ الشرعية على النظام السياسي الصهيوني، قائلاً: «أنا أقف أمامكم ليس بصفتي وزير خارجية الولايات المتحدة فقط، بل بصفتي يهودياً أيضاً»¹¹. بهذه الطريقة، تعمل الدول الغربية على تشجيع القادة الإسرائيليين، ودعم «الخطاب المتطرف والصهيوني المروع» لحكومة نتنياهو¹².

والتطورات الحالية تبين بوضوح أن عملية طوفان الأقصى سوف تسرع من صعود الخطابات الدينية في السياسة العالمية. وكذلك، تثبت ديناميكيات ما بعد 7 أكتوبر أن الجهات الفاعلة الدولية تحاول بجدية تغيير توازن القوى في الشرق الأوسط أو الحفاظ عليه. ترتبط السفن الحربية التي أرسلتها الولايات المتحدة والمملكة المتحدة إلى البحر الأبيض المتوسط لدعم «حق إسرائيل» في الدفاع عن النفس»- بالعمل على الحفاظ على الوضع الراهن في المنطقة. وعلى نحو مماثل، يشير دعم روسيا والصين لفلسطين إلى أن المناخ السياسي في مرحلة ما بعد طوفان الأقصى سوف يفتح الباب أمام تحول شامل في المنطقة. وعلى وجه الخصوص، فإن موقف روسيا في سوريا وليبيا، ونفوذ الصين المتزايد في منطقة الخليج في السنوات الأخيرة، ودورها وسيطاً في التطبيع بين المملكة العربية السعودية وإيران، كل ذلك نذير بتطورات جديدة في المنطقة. وفي هذا السياق، ينبغي عدّ عملية طوفان الأقصى نقطة تحول لن تؤثر في السياسة الفلسطينية والإسرائيلية فحسب، بل ستجبر القوى العالمية أيضاً على تحديد إستراتيجيات جديدة في الشرق الأوسط.

ولن يقتصر الأمر على الجهات الفاعلة العالمية، بل سيمتد أيضاً إلى السياسات التي ستتبعها دول المنطقة، وستتطور إلى بعد جديد بعد 7 أكتوبر، خصوصاً بعد تعرض عملية التطبيع مع «إسرائيل» الجارية بموجب الاتفاق الإبراهيمي منذ عام 2020، لضربة كبيرة بعد عملية طوفان الأقصى. وكان التطبيع مع «إسرائيل» قد فرض على المجتمع في العديد من الدول العربية في ظل غياب الموافقة المجتمعية الكافية، بمبادرة من حكوماتها، وبسبب طابع أنظمتها السائدة. لكن الإبادة الجماعية التي ارتكبتها «إسرائيل» في غزة، ونظرتها الأكثر طموحاً بشأن «أرض الميعاد» من خلال ذرائعها الدينية- أدت إلى اشتعال الغضب من جديد ضد «إسرائيل» في المجتمعات العربية. وفي هذا السياق، تحتاج دول الشرق الأوسط إلى إعادة النظر في معايير علاقاتها مع «إسرائيل» مقارنة بما كانت عليه قبل 7 أكتوبر.

منذ انطلاق العملية، تمكنت قطر ومصر من تعزيز مكانتهما في العالم العربي من خلال مهمتهما نحو الحل. وعاد الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي بحضور أكبر في السياسة الخارجية التقليدية لمصر فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، متبعاً إستراتيجية نشطة لا تخيف العالم الغربي أو شعبه. وأثبتت قطر للعالم من جديد أنها ستكون دائماً جهة فاعلة على الطاولة بشأن القضية الفلسطينية، من خلال مبادراتها بشأن تبادل الرهائن والعمل على إرساء وقف دائم لإطلاق النار. وهذا الوضع يشير إلى رغبة قطر في القيام بدور نشط في العملية في جميع السيناريوهات المستقبلية المحتملة المتعلقة بفلسطين.

إن الدعم السياسي والدبلوماسي والخطابي الذي تقدمه تركيا وهي تتابع عن كثب التطورات في فلسطين وتدافع دائماً عن حقوق الفلسطينيين، على أعلى مستوى بعد عملية طوفان الأقصى - يتبوأ مكانة مهمة في السياسة الإقليمية والعالمية. وقد بذل الرئيس رجب طيب أردوغان ووزير الخارجية حاقان فيدان، اللذان قاما بحركة دبلوماسية نشطة للغاية ضد العدوان الإسرائيلي منذ البداية، جهوداً كبيرة لإنهاء المجازر ومحاكمة «إسرائيل» دولياً. وفي كلمته التي ألقاها في اجتماع المجموعة في مجلس الأمة التركي الكبير في 25 أكتوبر، قدم الرئيس أردوغان إجابة واضحة لأولئك الذين يربطون حماس بالإرهاب بقوله: «إن حماس ليست منظمة إرهابية، بل مجموعة تحرير، ومجموعة من المجاهدين الذين يكافحون من أجل حماية أراضيهم ومواطنيهم»¹³. إن السياسة التي ستبناها تركيا في أعقاب عملية طوفان الأقصى ستوفر لأنقرة ميزة كبيرة في إعادة تشكيل توازن القوى في الشرق الأوسط. وسوف يسمح لها بالتأثير في الديناميكيات الناشئة في المنطقة، وبخاصة النضال الفلسطيني.

هناك قضية حاسمة أخرى يجب معالجتها في سياق عملية 7 أكتوبر، هذه القضية هي النهج الذي اتبعته إيران وحزب الله تجاه خطوة حماس. فمن المعلوم أن إيران وحزب الله دعما العملية منذ البداية. لكن الواضح لمن يقرأ ما بين السطور، أن هذا القرار الذي اتخذته حماس بمحض إرادتها سبب انزعاجاً نسبياً لإيران وحزب الله. فعلى سبيل المثال، بين الأمين العام لحزب الله، حسن نصر الله، في خطاب ألقاه يوم 3 نوفمبر 2023م، أن حماس نفذت هذه العملية بقرارها الخاص بسرية تامة، ومن دون إبلاغها، «لكن هذا الإخفاء لم يزعج أحداً في حركات المقاومة ومحور المقاومة على الإطلاق»¹⁴. وهكذا نجد أن مضمون الخطاب الذي استمع إليه العالم وهم يتوقعون أن يدلي نصر الله بتصريحات قاسية وواضحة بأنه سينحاز إلى طرف في الحرب، لم يكن أكثر من محاولة حزب الله الحفاظ على وضعه الراهن في المنطقة. وعلى الرغم من استمرار الاشتباكات على نطاق منخفض بين حزب الله و«إسرائيل» منذ بدء عملية طوفان

الأقصى، فإن ذلك يحدث في إطار قواعد الاشتباك التي جرى وضعها بعد حرب يوليو 2006 بين الجانبين. ومع ذلك، فإن قدرة حزب الله على أداء دور أكثر نشاطاً في العملية هي أحد العوامل الرئيسة التي ستسرع من تغيير المعادلة السياسية في المنطقة.

تسعى إيران منذ سنوات عديدة للحصول على موطئ قدم في العالم الإسلامي والكتلة المناهضة للغرب من خلال خطابها المناهض لـ «إسرائيل» و«محور المقاومة». وفي أعقاب اندلاع الانتفاضات الشعبية في سوريا، أدى دعم طهران لبشار الأسد ونظامه إلى الإضرار بشكل خطير بسمعة إيران في العالم السني. وتفضيل حماس عدم الوقوف إلى جانب النظام خلال الانتفاضات في سوريا وصل إلى حد أن إيران اتهمت حماس بخيانة المقاومة¹⁵. وعلى إثر هذه التطورات، سعت إيران الراغبة في تعزيز مكانتها في المنطقة، إلى إعادة علاقات وثيقة مع حماس بعد عام 2014، وقرر الجانبان إخراج القضية السورية من العلاقات الثنائية. ولا ينبغي التغاضي عن أن إيران أدت دوراً مهماً في زيادة القدرة العسكرية لحماس. ورغم أن إيران اتخذت موقفاً واضحاً ضد «إسرائيل» في هذه العملية، فإن الملاحظ أيضاً أن إيران تخشى اندلاع أزمة كبيرة في المنطقة. ومن ناحية أخرى، كان حزب الله متردداً في اتخاذ موقف أكثر نشاطاً ضد «إسرائيل»، وستكشف الأيام إن كانت هذه الإستراتيجية تتماشى مع توجيهات إيران أم ضدها، ولكن، بعيداً عن المجتمعات العربية والعالم الإسلامي، تشكل عملية طوفان الأقصى اختباراً قاسياً للعالم الشيعي الذي ينفذ خطاب «محور المقاومة». وبالنظر إلى الهجمات الأخيرة التي شنها الحوثيون في اليمن ضد السفن الإسرائيلية في البحر الأحمر، يتبين أن إيران ووكلاءها قد دخلوا في عملية جديدة في السياسة الإقليمية.

الخاتمة:

إن عملية طوفان الأقصى التي قادتها كتائب عز الدين القسام مع عناصر مقاومة أخرى في غزة، اتخذت مكانها في التاريخ بوصفها نقطة تحول نموذجية في النضال الفلسطيني ضد الاحتلال، مثل الانتفاضة الأولى. ويمكن عدّ تدمير الأسطورة الأمنية الإسرائيلية وانتقال التفوق الخطابي لمصلحة فلسطين نتائج مباشرة للتمزق النفسي والمعرفي الذي أحدثته عملية 7 أكتوبر. وبالمثل، فإن حقيقة تنظيم الاحتجاجات الحاسمة والواسعة النطاق في جميع أنحاء العالم تشير إلى أن «إسرائيل» فقدت شرعيتها بشكل خطير على الساحة الدولية. ورغم أن الدول الغربية تحاول تطبيع السياسات العدوانية والمجازر التي ترتكبها حكومة نتنياهو الصهيونية، فمن الواضح أن مجتمعاتها لا تقبل هذا الوضع.



وانطلاق عملية طوفان الأقصى أطلقت فعليًا العملية القادرة على إحداث تحول جذري في سياسة الشرق الأوسط. والسياسات الفلسطينية والإسرائيلية التي تنتهجها الجهات الفاعلة العالمية والإقليمية ستؤثر بشكل خطير في التوازن السياسي في المنطقة. علاوة على ذلك، فإن هذه العملية، التي تُستخدَم فيها المرجعيات الدينية أكثر من الماضي، تعني أن المقاربات الأخرى للديانات الإبراهيمية سيكون لها مكانة أكثر أهمية في المعادلة السياسية المستقبلية للشرق الأوسط. والمتوقع المرتقب أن تؤدي عملية ما بعد 7 أكتوبر إلى تسريع التحول من المرحلة الجيوسياسية إلى المرحلة الثيوقراطية السياسية، حيث شوهدت علاماته منذ فترة طويلة في الشرق الأوسط. وفي الختام، كانت عملية طوفان الأقصى حدثًا مهمًا كسر العديد من القواعد في سياسة الشرق الأوسط، وإشارة إلى تغيير منهجي في المنطقة، ويمكن القول: إن نتائج العملية في الفترة المقبلة ستشكل إلى حد كبير سياسة المنطقة.

الهوامش والمراجع:

1. لمزيد من التفاصيل حول العملية التأسيسية لحماس وخطابها ونشاطاتها السابقة، انظر: خالد حروب، حماس، دليل المبتدئين، (لندن، مطبعة بلوتو، 2006).
2. Muhammed Hüseyin Mercan, "The Political Strategy of Hamas in the Context of Continuity and Change," Middle Eastern Studies, Vol. 10, No. 1 (June 2018), pp. 62-78.
3. سامح عودة، «ليست القسام وحدها.. تعرف على أبرز فصائل المقاومة في فلسطين»، الجزيرة، (27 نوفمبر 2023)،
https://www.aljazeera.net/midan/reality/politics/2023/11/27/-القسام-ليست-أبرز-على-تعرف-وحدها
4. Emily Harding, "How Could Israeli Intelligence Miss the Hamas Invasion Plans?" Center for Strategic and International Studies, (October 11, 2023), retrieved from <https://www.csis.org/analysis/how-could-israeli-intelligence-miss-hamas-invasion-plans>; Samia Nakhoul and Jonathan Saul, "How Hamas Duped Israel as It Planned Devastating Attack," Reuters, (October 10, 2023), retrieved from <https://www.reuters.com/world/middle-east/how-israel-was-duped-hamas-planned-devastating-assault-2023-10-08/>;
محمد وتد، «طوفان الأقصى .. إخفاق تراكمي للجيش والاستخبارات الإسرائيليين»، الجزيرة، (18 أكتوبر 2023)،
https://www.aljazeera.net/politics/2023/10/18/-تفاصيل-إخفاق-الاستخبارات
5. Gilbert Achcar, The Boiling Middle East, translated by Rida Simsek, (Istanbul: Ithaki, 2004), p. 273.
6. بردال آرال، من الأمن العالمي إلى الهيمنة العالمية: نظام الأمن التابع للأمم المتحدة والعالم الإسلامي، (إسطنبول: منشورات كرة، 2016)، ص 151.
7. هاسبارا تعني: «الشرح أو التفسير» باللغة العبرية. وتُستخدم للإشارة إلى دبلوماسية عامة تقوم بها «إسرائيل» للتأثير في مواطنيها ومؤيديها لإسباغ الشرعية على سياسات الحكومة الصهيونية وأهدافها عبر وسائل الإعلام والترويج.
8. "The Art of Deception: How Israel Uses 'Hasbara' to Whitewash Its Crimes," TRT World, (2020), retrieved from <https://www.trtworld.com/magazine/the-art-of-deception-how-israel-uses-hasbara-to-whitewash-its-crimes-46775>.
9. "Israeli Defence Minister Orders 'Complete Siege' on Gaza," Al Jazeera, (October 9, 2023), retrieved December 4, 2023, from <https://www.aljazeera.com/program/newsfeed/2023/10/9/israeli-defence-minister-orders-complete-siege-on-gaza>.

10. "Statement by PM Netanyahu," Israel Prime Minister's Office, (October 25, 2023), retrieved from <https://www.gov.il/en/departments/news/spoke-statement251023>.
11. "I Come before You as a Jew,' Blinken Tells Israel after Hamas Attack," The Jerusalem Post, (October 12, 2023), retrieved December 5, 2023, from <https://www.jpost.com/israel-news/article-767997>.
12. Burhanettin Duran, "Rise of theo-Politics: Crusade-Crescent Clash and Isaiah's Prophecy," Daily Sabah, (October 27, 2023), retrieved from <https://www.dailysabah.com/opinion/columns/rise-of-theo-politics-crusade-crescent-clash-and-isaiahs-prophecy>.
13. الرئيس أردوغان: أيّ استعراض سياسي لن يؤدي إلى تحقيق السلام.
"Cumhurbaşkanı Erdoğan: Yapılan Hiçbir Siyasi Şov Barış Getirmeyecektir," TRT Haber, (October 25, 2023), retrieved from <https://www.trthaber.com/haber/gundem/cumhurbaskani-erdogan-yapilan-hicbir-siyasi-sov-baris-getirmeyecektir-806767.html>.
14. «نص كلمة السيد نصر الله خلال الاحتفال التكريمي للشهداء الذين ارتقوا على طريق القدس»، المنار، (3 نوفمبر 2023)؛ <https://www.almanar.com.lb/11185165>.
15. محمد غازي الجمل، «من الانتفاضة الأولى إلى سيف القدس.. لماذا تدعم إيران حركة حماس؟»، الجزيرة، (30 مايو 2021)؛ <https://www.aljazeera.net/midan/reality/politics/2021/5/30/مصالح-مشتركة-وأهداف-متباينة-كيف-نفهم-2>.



تنظيم غولن والمحاولة الانقلابية

رمضان يلدرم

مآلات المشهد الإسرائيلي في معركة طوفان الأقصى وما بعدها

ساهر غزاوي*

ملخص: شكلت عملية طوفان الأقصى في 7 أكتوبر 2023 صدمة كبيرة لدى الإسرائيليين، وتحولاً إستراتيجياً في متركزات تفكيرهم، ووضعتهم أمام معضلات ذات أبعاد وجودية، وأدخلت أجهزة الدولة والمجتمع الإسرائيلي كافة في حالة من اختلال التوازن لم تعهده «إسرائيل» من قبل. جاءت العملية في سياق مختلف لم تشهد «إسرائيل» مثيلاً له، ولاسيما حالة التصدع داخل المجتمع الإسرائيلي، ما ينطوي عليها من تداعيات عميقة شتّى بدأت تظهر ملامحها حتى قبل انتهاء الحرب. من ناحية أخرى، تُعدّ عملية طوفان الأقصى حدثاً مؤسساً في تاريخ الصراع على أرض فلسطين؛ لن يكون أثرها أنيئاً فقط، بل ستمتد مآلاتها سنوات طويلة.

الكلمات المفتاحية: طوفان الأقصى، 7 أكتوبر، فلسطين، المشهد الإسرائيلي، تداعيات.

*ميزان حقوق
الإنسان، الناصرة.

The Fate of the Israeli Scene in the Battle of “Al-Aqsa Flood” and Beyond

SAHER GHAZZAWI*

ORCID NO :0009-0002-0847-0093

ABSTRACT: The “Al-Aqsa Flood” operation on October 7, 2023 represented a significant shock to the Israelis and a strategic shift in the foundations of their thinking. It placed them Infront of dilemmas of existential dimensions and plunged all state institutes and Israeli society into a imbalance that Israel had never experienced before. The operation came in a different context that Israel had never witnessed before, especially the rift within Israeli society, which entailed various profound repercussions that began to appear even before the end of the war. On the other hand, the “Al-Aqsa Flood” is considered a foundational event in the history of the conflict over the land of Palestine, leaving not only immediate impacts but also consequences that will extend for years to come.

Keywords: Al-Aqsa Flood, October 7, Palestine, Israeli scene, ramifications.

*Meezaan for
Human Rights,
Nazareth.

لايسة فركسية
2024-(1/13)
35 - 50

مقدمة

تتناول هذه الورقة تداعيات عملية طوفان الأقصى وما بعدها على المشهد الإسرائيلي، هذه العملية التي كانت هجوماً كبيراً ومباغتاً شنته حركة حماس على منطقة المستوطنات الإسرائيلية المحاذية لقطاع غزة، المعروفة باسم غلاف غزة صبيحة يوم 7 تشرين الأول 2023، اتخذتها «إسرائيل» على الفور ذريعة لإعلان الحرب على القطاع تحت مُسمّى السيوف الحديدية، وهي لا تزال مستمرة. وبالرغم من أن عملية طوفان الأقصى كانت، بأي مقياس عسكري ممكن، عملية محدودة، فقد وصفها مسؤولون إسرائيليون بالتهديد الوجودي لدولة «إسرائيل»، إلا أنها حققت إنجازات قد تكون فاقت تطلعاتها¹.

ستكون لعملية طوفان الأقصى تأثيرات عميقة في المجتمع الإسرائيلي عموماً، وفي المشهد السياسي والعسكري على وجه الخصوص، والتأثيرات الأعمق لم تحدث بعد، وهي التي نستعرضها في المحاور الآتية:

أولاً: المشهد الإسرائيلي عشية عملية طوفان الأقصى

حالة استقطاب سياسي واجتماعي عميقة

جاءت عملية طوفان الأقصى في سياق مختلف لم تشهد «إسرائيل» مثيلاً له، ولا سيما حالة التصدع داخل المجتمع الإسرائيلي، والخلافات الحادة بين المؤسسة العسكرية والحكومة على أثر الأزمة السياسية المتواصلة منذ شهر آذار 2023، بعد إعلان رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو عن توقف في التشريع القضائي، وإصرار التحالف الحاكم على المضي قدماً بسنّ قانون «حجة المعقولة»². وكان المشهد الداخلي الإسرائيلي في حالة تراجع جدي في المناعة الاجتماعية والقومية الموجود في حالة استقطاب عميقة كانت حتى قبل الخطة الحكومية لتقييد القضاء وبدء حركات الاحتجاج، تجلت في التراجع المستمر في ثقة الجمهور بمؤسسات الدولة، وبمستوى الحوكمة، وفرض سلطة الدولة وسلطة القانون، وكذلك في ابتعاد الدولة وقادتها عن الالتزام بالمصلحة العامة، والعمل على تحقيق مصالح حزبية أو شخصية ضيقة³. في حين ترايدت الدعوات لرفض التطوع في قوات الاحتياط في الجيش الإسرائيلي، خصوصاً من قبل طيارين في سلاح الجو، ووحدات القوات الخاصة، ووحدات السابير التي بلغت وفق بعض الادعاءات حد إلحاق ضرر بجهوزية سلاح الجو ووحدات عسكرية مهمة أخرى، ونتيجة لذلك، حذرت المؤسسة العسكرية والأمنية منذ بداية آب الماضي رئيس الحكومة من تداعيات التصدّع السياسي على جاهزية الجيش لأي

حرب قادمة، وعُبرت عن قلق بالغ حيال ظاهرة رفض التطوع في قوات الاحتياط، وادّعت أنها باتت تمسّ العصب الأساسي لقدرات الجيش والتدريبات⁴. وأشار مركز بحوث الأمن القومي التابع لجامعة تل أبيب (INSS) إلى أن الصراع السياسي يشكل خطرًا إستراتيجيًا على الأمن القومي الإسرائيلي وصل إلى حد التهديد بالتفكك الاجتماعي الذي اتخذ طابعًا طبقيًا وثائفيًا، مع تصاعد التهديدات الأمنية والضرر في العلاقات مع الولايات المتحدة والأزمة الاقتصادية⁵. ويتمثل التهديد الأكبر لـ «إسرائيل» في الإسرائيليين أنفسهم؛ نتيجة التدمير الذاتي التي يجري العمل به في السنوات الأخيرة⁶.

انكماش اقتصادي

عندما انطلقت عملية «طوفان الأقصى» لم يكن قد مضى سوى عامين على جائحة فيروس كورونا التي أفضت إلى أول انكماش اقتصادي يتعرض له الاقتصاد الإسرائيلي منذ انتفاضة الأقصى عام 2000. وقد أطلقت الحكومة مجموعة حزم إنعاش اقتصادية بتكلفة بلغت نحو 50 مليار دولار، وهذا أفضى إلى عجز قياسي في ميزانيتها، وارتفاع مديونيتها إلى نحو ثلاثة أرباع حجم اقتصادها الكلي⁷. ومع استمرار الحكومة في السير قدمًا بالخطة القضائية فإنها وجّهت بذلك ضربة إضافية للاقتصاد أثارت مخاوف جدية بين أوساط اقتصادية واسعة في «إسرائيل» وخارجها، كانت قد حذرت من العواقب الوخيمة التي قد يجلبها ذلك على الاقتصاد الإسرائيلي في حال استمرت عملية التشريع⁸. بعد سنوات من النمو الاقتصادي الناجح، أسفرت أزمة التعديلات القضائية عن تغيير واضح في الاتجاه. وفي الربع الأول من عام 2023، سجل مؤشر تل أبيب 125 انخفاضًا بنحو 9%، في حين سجل نظيره في الولايات المتحدة وأوروبا زيادات بنحو 6 إلى 7% على التوالي. كما ضعف الشيكل أيضًا بسبب الأزمة، بحسب ما تصريح محافظ بنك «إسرائيل» في أوائل يونيو في مؤتمر «هورويتز» الاقتصادي. ومنذ انتخابات الكنسيت في تشرين الثاني 2022 وحتى نهاية أيار 2023، ضعف الشيكل بنحو 5% مقابل الدولار الأميركي، وهو ما ضعف بدوره مقابل عملات دول المنظمة للتعاون الاقتصادي والتنمية (OECD)، كما أن ضعف الشيكل يجعل الواردات إلى «إسرائيل» أكثر تكلفة، وهذا يسهم في ارتفاع تكاليف المعيشة⁹. في الواقع، تمنع هذه الأزمة المشاركة المركّزة والفعالة في المعركة الحيوية ضد تكاليف المعيشة، وزيادة فرص العمل بين القطاعات المحرومة، بل إنها تؤدي إلى تفاقم تكاليف المعيشة والبطالة، والدليل على ذلك أن الموازنة المعتمدة تفقر إلى مولدات النمو، وتقلل من قدرة الصندوق الوطني على توجيه الميزانيات إلى القطاعات الأساسية¹⁰.

التقديرات الإسرائيلية بشأن الجبهة الفلسطينية

أما التقديرات والتوصيات الإستراتيجية فيما يتعلق بالشأن الفلسطيني، فقبل السابع من أكتوبر كان يسود اقتناع جماعي لدى صُنَّاع القرار في «إسرائيل» أن حركة حماس في حالة ردع عميق، وأنها لن تجرؤ على الإقدام على أي عمل عسكري تجاه إسرائيل¹¹. كما تشير التوصيات الإستراتيجية إلى أنه لا بد من الحفاظ على التفاهات القائمة مع حركة حماس بالاستناد إلى امتيازات اقتصادية ومدنية وسياسة أمنية حاسمة¹². في هذا الإطار، يجري الترويج لمشروعات اقتصادية في مجالات إمدادات الغاز، وتحلية المياه، والصرف الصحي، واستمرار منح تصاريح العمل والتهدة الأمنية والامتناع عن تصعيد الأوضاع الأمنية في القدس والضفة الغربية. بالتزامن مع ذلك، ضرورة تعميق دور مصر في القطاع بموافقة إسرائيلية لإنشاء ميناء على حدود مصر-غزة، ومنحها دوراً أكبر في تحويل الأموال القطرية إلى القطاع. وفي الوقت نفسه، على «إسرائيل» التحضير لـ «حملة عسكرية» بهدف تحييد القدرات الإستراتيجية لحماس (الصواريخ، والقذائف الصاروخية، والطائرات بدون طيار، والقدرات السيبرانية، والبنية تحت-الأرضية «الأنفاق»)¹³.

ثانياً: أثر عملية طوفان الأقصى» الفوري في المشهد الإسرائيلي

حالة الصدمة

مع استمرار الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، عقب بدء عملية طوفان الأقصى، يتكشف المزيد من الإخفاقات والفشل الاستخباراتي في منع الهجوم المفاجئ الذي شنته حركة المقاومة الإسلامية (حماس) على مستوطنات «غلاف غزة» والنقب الغربي، كما تتسع تداعيات معركة طوفان الأقصى باستنزاف الجيش الإسرائيلي عسكرياً ومالياً¹⁴. فقد دلت نجاح حركة حماس في مباغته «إسرائيل» على إخفاق جيشها ومخابراتها في توقع الهجوم وإحباطه بشكل مسبق، فـ «إسرائيل» رغم اعتدادها بكفاءة أجهزتها الاستخبارية وقدرتها عجزت عن الحصول على معلومات حول نوايا حماس لشن الهجوم، رغم أن عدداً كبيراً من قيادات كتائب القسام وعناصرها كانوا منغمسين في التحضيرات لشنته منذ أمد بعيد، وكان يُفترض أن يوفر ذلك الظروف للاستخبارات الإسرائيلية لجمع معلومات تفضي إلى إحباط الهجوم، أو على الأقل أن تقلص من نتائجه، هذا العجز من «إسرائيل» أحدث حالة «الصدمة» الكبيرة والانعكاس السلبي على معنويات الجيش والمجتمع الإسرائيلي كافة¹⁵.

عملياً، تجلت التداعيات الأولية في «إسرائيل»⁹⁹ بأن ما حصل في هجوم السابع من أكتوبر 2023 يُعدّ انتكاسة متكررة لما حدث في عام 1973، بسبب وجود تقدير ضعيف بوقوع عملية كبيرة من شأنها أن تشعل حرباً حقيقية في عطلة الأعياد اليهودية¹⁶. وذهب الرئيس الأسبق لشعبة الاستخبارات عاموس يدلين إلى أبعد من ذلك في توصيفه؛ إذ قال: «الحديث ليس عن حرب عام 73، ربما تجب العودة إلى عام 1948»¹⁷.

تراجع الثقة بالقيادة السياسية والعسكرية

نتيجة لانهايار الدفاعات العسكرية الإسرائيلية على حدود غزة، واجتياح قوات حركة حماس بلدات وقواعد عسكرية، والخسائر الكبيرة التي تكبدها الجيش الإسرائيلي في صفوفه - انهارت كذلك معنويات المجتمع الإسرائيلي، وتهاوت الثقة بالحكومة والوزارات ومؤسسات الدولة. وقد أظهرت دراسة جديدة حدوث تراجع كبير في مؤشر المناعة القومية والمجتمعية والشخصية في «إسرائيل»، منذ 7 أكتوبر الماضي، وتراجعت ثقة الجمهور بمؤسسات الدولة¹⁸. هذا الشعور انعكس في مواقف المجتمع الإسرائيلي، على نحو ما بيّنت استطلاعات الرأي العام بعد أيام من بداية الحرب، فقد أظهر استطلاع رأي نُشر في 12/10/2023 أن 84٪ من الإسرائيليين اليهود (الاستطلاع لا يشمل العرب) يعتقدون أن القيادة السياسية مسؤولة عن الإخفاق الذي أدى إلى هجوم حماس على غلاف غزة، و94٪ يعتقدون أن حكومة نتنياهو الحالية هي المسؤولة عن الوضع الذي أدى إلى انهيار المنظومة الدفاعية كلها عن البلدات في جنوب «إسرائيل». ويرى 67٪ من الإسرائيليين، بما في ذلك 56٪ من ناخبي حزب الائتلاف بقيادة نتنياهو، أن الفشل والتعرض للإذلال في عام 2023 أكبر من الفشل والإذلال الذي تعرضت له «إسرائيل» في حرب «يوم الغفران» في عام 1973¹⁹. ويُظهر آخر استطلاع الرأي العام الإسرائيلي الذي أجراه معهد بحوث الأمن القومي في جامعة تل أبيب في 4/2/2024، تراجع الثقة بالقدرة على تحقيق النصر في الحرب على غزة²⁰.

خطاب الشيطنة وتسويق الإبادة الجماعية

انعكست حالة «الصدمة» الكبيرة لدى الإسرائيليين في عملية إنتاج الوعي والذاكرة في المجتمع الإسرائيلي، وأخذت عملية طوفان الأقصى تأطيرات كثيرة في الخطاب الإسرائيلي تُمثل حجم الصدمة، وقد تباينت فيما بينها؛ فمنها ما عدّ

الهجمات تشبه هجمات 11 سبتمبر/ أيلول على الولايات المتحدة، وهناك من رأى فيها استمرارًا للكارثة اليهودية (الهولوكوست) من خلال وصف العملية بأنها أكبر «بوغروم»؛ أي اعتداءات جماعية على اليهود منذ الكارثة اليهودية، واصفين منتسبي حماس بأنهم إرهابيون وإرهاب دواعش²¹. وقد ارتكز الخطاب الإسرائيلي الموجه إلى الجمهور الإسرائيلي على نزع الإنسانية عن الفلسطينيين (Dehumanization)؛ بهدف نزع أيّ تعاطف معهم، وتسويق الممارسات العنيفة ضدهم، بالقتل عبر القصف، أو الحصار والتجويع، أو بتدمير المباني على رؤوس ساكنيها، من المدنيين والعزل من الأطفال والنساء وكبار السن من دون أي رحمة، أو رأفة، أو تأثر بمشاهد الأطفال والأبرياء وأشلائهم بعد قصف بيوتهم²². يتجسد ذلك في تصريح وزير الحرب الإسرائيلي يوآف غالانت في معرض حديثه عن شنّ عدوان على قطاع غزة بقوله: «نحن نحارب حيوانات بشرية». وذلك في تسويغ قطع الكهرباء والماء والطعام عن قطاع غزة²³. كما انتشرت عبارات مثل «يجب محو غزة» أو «تسويتها بالأرض»، من دون استعداد لقبول أي نوع من المساواة بين القتلى الإسرائيليين المدنيين والقتلى الفلسطينيين المدنيين، وتفسر هذه الصدمة التجنيد الكبير في المجتمع الإسرائيلي، والتأييد الشامل لعملية عسكرية إسرائيلية قاسية في القطاع سواء من الجو أم من خلال دعم عملية برية للقضاء على حكم حركة حماس في قطاع غزة، وهذا يُظهر جليًا المواقف المتطرفة داخل المجتمع الإسرائيلي تجاه قطاع غزة كاملاً لا تجاه حركة حماس فقط²⁴.

في السياق نفسه، تجندت المعارضة الإسرائيلية إلى جانب الحكومة والجيش وتشكيل حكومة طوارئ لإدارة الحرب، بمشاركة حزب «المعسكر الرسمي» بقيادة وزير الأمن السابقين بيني غانتس وغادي أيزنكوت اللذين لا تختلف مواقفهما عن مواقف الإجماع الأمني الإسرائيلي، ومنها اجتياح غزة البري، والأهم احتمال فتح جبهة ثانية على الحدود الشمالية مع حزب الله²⁵.

تراجع الاقتصاد الإسرائيلي

في أول تقديرات لتداعيات عملية طوفان الأقصى على الاقتصاد الإسرائيلي، رجح مسؤول كبير في وزارة المالية الإسرائيلية أن بلاده ستضطر لإنفاق مبالغ كبرى لتمويل الحرب ضد المقاومة الفلسطينية عمّا قدره البنك المركزي الإسرائيلي أن عجز الموازنة في 2023 سيبلغ 2.3٪ من الناتج الإجمالي المحلي و3.5٪ في 2024، مقابل تحقيق فائض 2022 في حال بقي الصراع مقصوراً على قطاع غزة ولم يمتد لجبهات



أخرى²⁶. وتواجه «إسرائيل» عملياً أزمة اقتصادية غير مسبقة جراء حربها المستمرة على قطاع غزة منذ نحو أربعة أشهر، وقد حث البنك المركزي الإسرائيلي الحكومة على ضرورة اتخاذ خطوات فورية للحد من تراجع الناتج المحلي الإجمالي، وضرورة وضع خطة اقتصادية لتدارك حجم الخسائر غير المسبوقة. ويتركز التراجع في قطاعات التقنية والزراعة والبناء والسياحة، وطالب البنك برفع الضرائب؛ لاحتواء تكاليف الحرب²⁷. يضاف إلى أن الشركة العالمية لتدريج متانة اقتصاد الدول أمام الاعتمادات الدولية «موديز» أعلنت يوم التاسع من شباط 2024، تخفيض تدرّج «إسرائيل» بدرجة واحدة، من A1 إلى A2، مع تقديرات مستقبلية سلبية للاقتصاد الإسرائيلي، التي يرى بها المحللون أنها مقدمة لتخفيض آخر سيليه، فيما ظهرت تخوُّفات من أن قرار «موديز» سيُجر وراءه قرارًا مشابهًا من شركتي التدرّج العالميتين الآخرين، «فيتش» و«ستاندرد أند فور»، والثانية تُعدّ الأهم من ناحية البنوك الإسرائيلية، وقرارها يؤثر مباشرة في اعتماداتها المالية في العالم²⁸.

ثالثاً: المشهد الإسرائيلي ما بعد عملية طوفان الأقصى

هناك ثمة إجماع أن معركة طوفان الأقصى وما تبعها من الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، لن تُعدّ مرحلة عابرة في تاريخ الصراع على أرض فلسطين، بل هي حدث مؤسس لن تترك أثراً آنياً فقط، بل ستمتد مآلاتها سنوات، ومرشحة للمزيد من الأزمات السياسية الداخلية والاقتصادية، وستغير قواعد الصراع، وسيكون لها تداعيات إقليمية ودولية كبيرة²⁹. بمعنى أن «إسرائيل» بعد المعركة ليست كما قبلها. ويشير المؤرخ الإسرائيلي، إيلان بابيه في هذا السياق إلى أن ما يحصل في «إسرائيل» يؤكد «بداية نهاية المشروع الصهيوني»، ويرى أن معركة طوفان الأقصى مثلت لحظة فارقة في مستقبل مشروع «إسرائيل» نفسه، فقد أثبتت أن المؤسسة العسكرية والسياسية والبنية المجتمعية الإسرائيلية لم تعد مستعدة للحروب الخاطفة التي كانت تثبت بها أركان المشروع، وخلخلت الخسائر منذ يوم 7 أكتوبر أركان هذا المشروع بعنف على المستوى الاستراتيجي، وضغط موضوع الأسرى والمحتجزين بشدة على بنية المجتمع الإسرائيلي³⁰.

وتمكن الإشارة إلى مجموعة من تداعيات ما بعد طوفان الأقصى على المشهد الإسرائيلي وفق النحو الآتي:

معضلة اليوم التالي للحرب

يكثّر الحديث مؤخراً عن تصور سياسي إسرائيلي لما يُسمّى ما بعد الحرب، وستعود القضية الفلسطينية إلى الواجهة، ويعود نضال الشعب الفلسطيني ومطلبه بالحرية والاستقلال إلى لبّ النقاش والتصدع السياسي في «إسرائيل»³¹. وحتى الآن، لا تملك «إسرائيل» تصوّراً سياسياً واضحاً أو -على الأقل- تصوّراً توافقيّاً على اليوم التالي. هنالك توجهات متباينة داخل الحكومة بهذا الشأن، وهي واحدة من نقاط الخلاف بين «إسرائيل» والولايات المتحدة. كما أن جزءاً من الفوضى السياسية والاستراتيجية الإسرائيلية نابعة من عدم تحقيق الأهداف العسكرية؛ وبخاصة ما يتعلق بالقضاء على حركة حماس، حتى الولايات المتحدة الأمريكية قالت: إن هذا الهدف غير واقعي، لذلك ترى في الأفق السياسي خياراً لتحقيق هذا الهدف من خلال إزاحة حماس عن السلطة لا القضاء عليها عسكرياً³². وفي السياق نفسه، فإن رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو، قدّم خطة للمجلس الوزاري الأمني المصغر (الكابينت) تُعدّ وثيقة مبادئ تتعلق بسياسة اليوم التالي لحرب غزة، تتضمن احتفاظ «إسرائيل» بحرية العمل في كامل قطاع غزة من دون حد زمني، كما تتضمن إقامة منطقة أمنية في القطاع متاخمة للبلدات الإسرائيلية. وتنصّ كذلك على إبقاء «إسرائيل» على الإغلاق الجنوبي على الحدود بين غزة ومصر، وتشمل أيضاً

على بند إغلاق وكالة الأونروا وأن تحل محلها وكالات إغاثة دولية أخرى³³. والمفارقة في هذا الصدد، أنّ الولايات المتحدة الأمريكية تدعم «إسرائيل» في حربها عسكرياً ودبلوماسياً واقتصادياً، ولكن «إسرائيل» هي العائق الأساسي أمام التصور السياسي الأمريكي لليوم التالي، وكل ذلك على فرض أن «إسرائيل» نجحت في تحقيق أهدافها³⁴.

تعمق الأزمة الداخلية الإسرائيلية

من المتوقع أن تتسع التصدعات السياسية والاجتماعية الإسرائيلية نتيجة تخبط الحكومة في إدارة الملفات المدنية، منها الملف الاقتصادي، وملف التعامل مع الجبهة الداخلية، ليشمل النقاش حول مسؤولية ونتائج الإخفاق الكبير في 7 أكتوبر³⁵. وبغض النظر عن نتائج الحرب بعد انتهائها، سيكون ثمة انقسام عميق داخل المجتمع الإسرائيلي أكثر مما كان عليه قبل الحرب. وسيتمحور الانقسام على الأساس الديني والاقتصادي الطبقي والأيدلوجي³⁶. ويني إعلان بابيه نظريته في نهاية المشروع الصهيوني بالأساس على عوامل التفكك الداخلي بين المعسكرين العلماني والمتدين التي ستزداد وتعمق باختبار القوة التي لم تكن في مصلحة «إسرائيل» هذه المرة، والضغط الاقتصادي والاجتماعية، وفقدان اليقين في استمرارية المشروع نفسه³⁷. في حين لا يُبدي نتنياهو أي علامات تشير إلى نيّته التنحي عن منصبه أو الاعتراف بمسؤوليته عما حدث، وبأن سياسته في الأعوام الأخيرة، خصوصاً منذ تشكيل الحكومة الأخيرة، أدت إلى إضعاف «إسرائيل» وتراجع قدراتها العسكرية، وتماسكها الداخلي الذي عُدّ تاريخياً مركّباً مهماً من مَرَكَبات الأمن القومي³⁸. كما أن تعنت نتنياهو في التنحي عن منصبه يزيد من تعمق الأزمة الداخلية الإسرائيلية بالرغم من أن جزءاً كبيراً من الرأي العام الإسرائيلي يطالبه بتحمل مسؤولية الإخفاق والاستقالة فوراً، وعدم انتظار انتهاء الحرب لمحاسبة المسؤولين عن الإخفاق. ورغم إعلان قادة الأجهزة الأمنية في «إسرائيل» تحملهم المسؤولية منذ بدء العملية في غلاف غزة، فإنّ نتنياهو بقي مصرّاً على عدم إعلان مسؤوليته عن الإخفاق³⁹. ورغم كل ذلك، فإنّ من المتوقع أن تتفكك حكومة الطوارئ بخروج حزب المعسكر الرسمي منها، وأن تجري انتخابات جديدة بعد حركة احتجاج متصاعدة ضدّ الحكومة الحالية برئاسة نتنياهو، وأن تفوز المعارضة في الانتخابات، وأن يجري تشكيل حكومة برئاسة بني غانتس، بمعنى أن فوز المعارضة سيدفع نتنياهو للاستقالة من الليكود وخروجه من المشهد السياسي، وسيتمجد مشروع التغييرات الدستورية التي بدأت في عهد حكومة نتنياهو الحالية، وقد نرى صعود قيادات يمينية جديدة تسعى للسلطة⁴⁰. فقد أظهر آخر استطلاع رأي لصحيفة معاريف الإسرائيلية تصاعد شعبية الوزير في مجلس الحرب بني غانتس وحزبه «الوحدة الوطنية»، واعتقاد 32% فقط من الإسرائيليين بأن بنيامين نتنياهو هو

الأنسب لرئاسة للحكومة⁴¹. وهذا يدل على عودة النزعة العسكرية في الثقافة الإسرائيلية بعد فقدانهم للأمن والأمان في 7 أكتوبر، بحيث ستركز الهم في البحث عن «رجال الدولة» من ذوي النزعة العسكرية القادرين على أداء المهمة في قيادة «إسرائيل» في هذه المرحلة المعقدة والصعبة على جميع المستويات وإعادة الثقة بـ«إسرائيل» وقدرتها على الاستقرار والاستمرار، مع الإشارة إلى أن هذه النزعة العسكرية قد تراجعت في آخر 20 سنة في الثقافة الإسرائيلية، ولم تعد ذات أهمية⁴².

تفاقم الأزمة الاقتصادية

سيكون لعملية طوفان الأقصى ارتدادات عميقة على الاقتصاد الإسرائيلي؛ ليس بسبب التكلفة المالية المباشرة المرتبطة بتمويل العمليات العسكرية فحسب، بل أيضاً، وعلى نحو أكثر حدة، بسبب التأثيرات الممتدة والمتوالية التي ستجعل الاقتصاد الإسرائيلي يفقد توازنه فترة من الوقت. لكن هذه التأثيرات وعمقها وامتدادها الزمني سيكون كله أكثر ارتهاً بحالة عدم اليقين بعد الانهيار الكبير الذي تعرضت له المنظومة الأمنية والعسكرية الإسرائيلية يوم 7 تشرين الأول/ أكتوبر⁴³. وسبق أن ذكرنا في هذه الورقة، أن «إسرائيل» عانت تراجع الحالة الاقتصادية قبل بداية الحرب، وتقليص الاستثمارات الخارجية، وضعف مكانتها الاقتصادية العالمية، وبوادر تراجع تدريجها في الائتمان الدولي، نتيجة الخطة الحكومية لتقييد القضاء والاحتجاج السياسي ضدها، وموقف قطاع الأعمال المعارض للخطة. ومن المتوقع، وفقاً لجميع التقارير والتقديرات الاقتصادية الإسرائيلية تراجع الحالة الاقتصادية بشكل جدي بعد الحرب، ودخول الاقتصاد الإسرائيلي حالة ركود، وارتفاع العجز المالي للحكومة بقرابة 7٪ من الناتج المحلي، وارتفاع البطالة وتراجع مستوى المعيشة، وتقليصات في ميزانية الدولة ورفع الضرائب⁴⁴. ولن تقتصر تبعات الحرب على أعبائها المالية المباشرة، بل ستمتد إلى الطلب المحلي أيضاً، بشقيه الاستهلاكي والاستثماري، الذي من المتوقع أن يشهد تراجعاً ملحوظاً؛ بسبب الخوف، وتراجع ثقة المستهلكين والمستثمرين. فالشواهد التي تبدو، من خلال ردود فعل المجتمع الإسرائيلي وحالة الارتباك الشديدة التي يعيشها، تؤدي إلى استنتاج مفاده أن الاقتصاد الإسرائيلي يتجه نحو أزمة عميقة ستكون أطول، وستكون أعمق أثراً من أي وقت مضى⁴⁵. وبحسب خبراء الاقتصاد الإسرائيليين، فإن المعالجات لن تكون سهلة المسار، وإذا كان هناك في الماضي توتر داخلي بين الأمن والاقتصاد، فمن الواضح الآن أن الحرب بحاجة إلى الانتهاء بطريقة جيدة من أجل استعادة ثقة المستثمرين، ولا سيما أن «هذه الحرب لا تشبه أي شيء شهدته (إسرائيل) في العشرين عاماً الماضية من حيث التأثيرات على الاقتصاد، خاصة وأن الإنفاق الدائم الكبير هو زيادة في نسبة ميزانية الدفاع



(الحرب) من الناتج المحلي الإجمالي التي سترتفع من 4.6 إلى حوالي 6 في المئة، في سيناريو متفائل نسبياً سنعود عقدًا من الزمن إلى الوراء»⁴⁶.

تراجع مكانة «إسرائيل» دوليًا

على صعيد الرأي العام العالمي، بما في ذلك الرأي العام الغربي، تبلورت صورة مختلفة إلى حد كبير. فبعد تردد أولي، وخيرة تسبّب فيها الانحياز الإعلامي الغربي الصارخ للرواية الإسرائيلية، تحركت جموع حاشدة في مدن العالم الكبرى كافة، دعت إلى وقف إطلاق النار، وحملت الجانب الإسرائيلي المسؤولية عن اندلاع الحرب والكارثة الإنسانية التي يشهدها قطاع غزة⁴⁷. وقد تحولت «إسرائيل»، إلى حد بعيد، إلى دولة منبوذة في الرأي العام الدولي، وباتت في خانة دولة احتلال تنفذ جرائم حرب. وهي صورة مختلفة تمامًا عما عملت واجتهدت «إسرائيل» والمؤسسات الصهيونية في تسويقها قرابة قرن، كما أن خضوع «إسرائيل» للمحاكمة في محكمة العدل الدولية بتهمة إبادة شعب، حوّل «إسرائيل» إلى متهمة رسمية بجرائم حرب وإبادة شعب، مع توثيق وتدعيم بقرائن وأدلة عديدة⁴⁸. وعلى المدى المتوسط، قد تمتنع القيادات الإسرائيلية من السفر إلى الخارج؛ لأنها قد تواجه دعاوى جنائية بناء على قرار محكمة العدل الدولية. أما على المدى البعيد، فإن امتناع «إسرائيل» المتوقع عن تنفيذ القرار، يضعها في عزلة

دولية متزايدة، يقضي على الإنجازات الدبلوماسية التي حققتها في سبيل الاندماج الدولي والإقليمي، وهو الهدف الدبلوماسي الرئيس الذي تطلعت إليه منذ نشأتها⁴⁹.

وعلى مستوى السياسة الخارجية الإسرائيلية، من المتوقع السعي لفتح مسار التطبيع من جديد مع دول عربية برعاية أمريكية، في حالة تغيير الحكومة الإسرائيلية الحالية. ومن المتوقع كذلك تراجع مكانة «إسرائيل» على المستوى الدولي؛ بسبب عدوانها على غزة، ومن ذلك تراجع العلاقات بين «إسرائيل» وروسيا والصين في المرحلة القادمة، ويرتبط مسار العلاقات مع مصر والأردن وتركيا بمآلات الحرب على غزة⁵⁰.

خاتمة

أدت عملية طوفان الأقصى إلى انهيار مفاهيم إسرائيلية مركزية سيكون لها ارتدادات عميقة على المشهد الإسرائيلي؛ سواء على المستوى السياسي أم الاقتصادي أم الداخلي، وحتى على الإستراتيجية العسكرية، إلى جانب تداعيات إقليمية ودولية كبيرة. ف«إسرائيل» لن تنجح في تحقيق أهدافها المعلنة من الحرب على غزة، وعوضاً عن ذلك ستتحول إلى دولة معزولة. وإن إصرار رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو على «تحقيق النصر» من دون سياسة إستراتيجية بعيدة المدى، مع غياب أي مخرج من هذه الأزمة في الوقت الراهن - سيزيد من التآكل الإسرائيلي الداخلي، كما أن صدمة طوفان الأقصى، وانهيار نظرية الحرب الخاطفة التي أخفت عوامل الوهن طويلاً - سيعرّضان المشروع الصهيوني لاختبار وجودي في المنطقة.

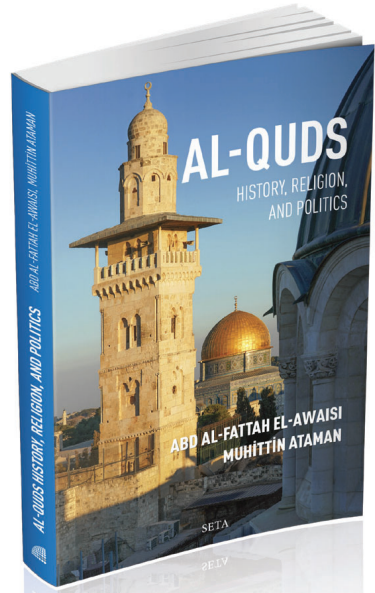
الهوامش والمراجع:

1. طوفان الأقصى: انهيار الردع الإسرائيلي ومحاولات استعادته، مركز الجزيرة للدراسات، 8 تشرين الثاني 2023، شوهد في 25/2/2024، في <https://2u.pw/XtlZh15>.
2. مدى الكرمل، تداعيات أولية للحرب على غزة، تقدير موقف، تشرين الأول 2023، شوهد في 21/2/2024، في <https://2u.pw/qZe5ziS>.
3. إيطانوس شحادة، الانقسام في المجتمع الإسرائيلي: تهديد للأمن القومي، (20 تموز 2023)، شوهد في 21/2/2024، في <https://2u.pw/n01LoE1>.
4. عاموس هرنيل، نتياهاو يحاول تهديد كبار مسؤولي الجيش الإسرائيلي، ويخفي خطورة الوضع عن الجمهور، هآرتس [بالعبرية]، 14 آب 2023، شوهد في 21/2/2024، في <https://2u.pw/UiWAQwZ>.
5. مائير الرن وكوبي ميخائيل، الأزمة الاجتماعية والسياسية المؤسسة في إسرائيل: خصائصها وتداعياتها على الأمن القومي، مركز بحوث الأمن القومي (INSS) [بالعبرية]، تموز 2023، شوهد في 21/2/2024، في <https://2u.pw/JKrLBrH>.

6. عامي دومبا، رئيس الموساد الأسبق: «إسرائيل فعلت آلية التدمير الذاتي»، «إسرائيل» ديفنس [بالعبرية]، 23 أيار 2023، شوهد في 21/2/2024، في <https://2u.pw/a3WY9t2>.
7. تداعيات «طوفان الأقصى» على الاقتصاد الإسرائيلي: تكاليف باهظة وأفاق مستقبلية قاتمة، تقدير موقف، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، 30 تشرين أول 2023، شوهد في 21/2/2024، في <https://2u.pw/i94eXEn>.
8. إبطانوس شحادة، مصدر سابق.
9. بنك إسرائيل، أنشطة بنك «إسرائيل» في مجال الإعلام والمعلومات الاقتصادية للجمهور، تقرير سنة 2022، أيلول 2023، في <https://2u.pw/XmqzS5r>.
10. مانير الرن وكوبي ميخائيل، مصدر سابق.
11. مدى الكرمل، مصدر سابق.
12. عبد القادر بدوي، بالعودة إلى ما قبل السابع من أكتوبر، كيف كانت التقديرات والتوصيات الاستراتيجية الإسرائيلية؟، مدار - المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 9 كانون الأول 2023، شوهد في 21/2/2024، في <https://2u.pw/svJyHDq>.
13. أودي ديكل ونوا شوسترمان، الساحة الفلسطينية: التحدي الأساسي - وقف الانزلاق إلى واقع الدولة الواحدة، مركز أبحاث الأمن القومي (INSS) [بالعبرية]، تقدير إستراتيجي لإسرائيل 2022، شوهد في 21/2/2024، في <https://2u.pw/IDrrkWk>.
14. محمد وتد، إخفاق عسكري وانقسام.. هكذا زعزع «طوفان الأقصى» إسرائيل، الجزيرة نت، 12 كانون الثاني 2014، شوهد في 22/2/2024، في <https://2u.pw/CtOGK0P>.
15. صالح النعماني، عملية «غلاف غزة» ودلالاتها، مركز الجزيرة للدراسات، 8 تشرين الأول 2023، شوهد في 22/2/2024، في <https://2u.pw/JreON9i>.
16. إيهود يعاري، الهجوم الإيراني المفاجئ: حماس في المقدمة ونصر الله ينتظر، القناة 12 [بالعبرية]، 7 تشرين الأول 2023، شوهد في 22/2/2024، في <https://2u.pw/qVw2WJI>.
17. الشاشات الإسرائيلية: أين الجيش؟، عرب 48، 7 تشرين الأول 2023، شوهد في 22/2/2024، في <https://2u.pw/nLsrqD>.
18. إيتي جال، انخفاض في مؤشر المناعة الإسرائيلية: محبط، فقدان الأمل، عدم الثقة في القيادة، معاريف [بالعبرية]، 18 شباط 2024، شوهد في 23/2/2024، في <https://2u.pw/1BAYnNE>.
19. بن كاسبيت، أغلبية ساحقة من الجمهور: القيادة هي المسؤولة عن الفشل. أكثر من النصف - على ننتياهو أن يستقيل، والا [بالعبرية]، 12 تشرين الأول 2023، شوهد في 22/2/2024، في <https://2u.pw/pvztwKW>.
20. نتائج استطلاع «السيوف الحديدية» - فبراير 2024، مركز أبحاث الأمن القومي (INSS) [بالعبرية]، 4 شباط 2024، شوهد في 22/2/2024، في <https://2u.pw/E4vcGn2>.
21. مهند مصطفى، المشهد السياسي والعسكري في «إسرائيل» بعد «طوفان الأقصى»، مركز الجزيرة للدراسات، 28 تشرين الأول 2023، شوهد في 22/2/2024، في <https://2u.pw/d6aljdj>.
22. أشرف بدر، الخطاب الإسرائيلي في «طوفان الأقصى»، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 12 تشرين الأول 2023، شوهد في 22/2/2024، في <https://2u.pw/xngaKOe>.

23. يوآف زيتون، غالانت: «سيتم فرض حصار كامل على القطاع ونحن نحارب حيوانات بشرية»، واي نت [بالعبرية]، 9 تشرين الأول 2023، شوهد في 22/2/2024، في <https://2u.pw/ZaPIN51>.
24. مهند مصطفى، المشهد السياسي والعسكري في «إسرائيل» بعد «طوفان الأقصى»، مصدر سابق.
25. مدى الكرمل، مصدر سابق.
26. ناتى تاكر، الضربة الاقتصادية وصلت بالفعل: العجز تضاعف تقريباً في أكتوبر ليصل إلى 2.6% وهذه مجرد البداية، ذا ماركر [بالعبرية]، 8 تشرين الثاني 2023، شوهد في 22/2/2024، في <https://2u.pw/YZXLvqE>.
27. شاهر الأحمد، بعد 106 أيام لحرب غزة.. ما أهم التداعيات الاقتصادية على إسرائيل؟، الجزيرة، 21 كانون الثاني 2024، شوهد في 22/2/2024، في <https://2u.pw/XLa2hRh>.
28. أدريان بيلوط، موديز في تقرير شديد اللهجة عن إسرائيل: خفضت تصنيفها الائتماني إلى A2 مع نظرة مستقبلية سلبية، كلكيست [بالعبرية]، 9 شباط 2024، شوهد في 22/2/2024، في <https://2u.pw/k7rfcLJ>.
29. الحرب على غزة.. مآلاتها فلسطينياً وإسرائيلياً، مركز رؤية للتنمية السياسية، 19 شباط 2024، شوهد في 23/2/2024، في <https://2u.pw/wtP380Z>.
30. زهير حمداني، مأزق تنتهاه أم أزمة كيان؟.. «طوفان الأقصى» الذي هز المشروع الإسرائيلي، الجزيرة، 25 كانون الثاني 2014، شوهد في 24/2/2024، في <https://2u.pw/Ek3a8ti>.
31. إيطانوس شحادة، حرب غزة... معضلة اليوم التالي إسرائيلياً، العربي الجديد، 15 كانون الثاني 2024، شوهد في 24/2/2024، في <https://2u.pw/V9GhuTg>.
32. طه اغبارية، بعد 98 يوماً من الحرب على غزة.. د. مهند مصطفى: تهجير سكان القطاع كان الهدف المركزي غير المعلن للحرب.. يوجد رفض دولي لهذا المشروع، موطني 48، 12 كانون الثاني 2024، شوهد في 23/2/2024، في <https://2u.pw/ZXkPDyc>.
33. باراك رفيد، وثيقة «اليوم التالي»: نتنهاه لا يستبعد مشاركة السلطة الفلسطينية في غزة، واللا [بالعبرية]، 23 شباط 2024، شوهد في 23/2/2024، في <https://2u.pw/DAwk8sM>.
34. طه اغبارية، بعد 98 يوماً من الحرب على غزة، مصدر سابق.
35. إيطانوس شحادة، حرب غزة... معضلة اليوم التالي إسرائيلياً، مصدر سابق.
36. مهند مصطفى، المسارات المتوقعة للسلوك السياسي والعسكري الإسرائيلي خلال سنة 2024، ندوة بعنوان «المسارات المتوقعة لقضية فلسطين في سنة 2024 في ضوء معركة طوفان الأقصى»، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 24 كانون الثاني، شوهد في 24/2/2024، في <https://2u.pw/xqVUN90>.
37. زهير حمداني، مصدر سابق.
38. إيطانوس شحادة، حرب غزة... معضلة اليوم التالي إسرائيلياً، مصدر سابق.
39. مهند مصطفى، المشهد السياسي والعسكري في «إسرائيل» بعد «طوفان الأقصى»، مركز الجزيرة للدراسات، 28 تشرين الأول 2023، شوهد في 24/2/2024، في <https://2u.pw/RU6XUaG>.
40. مهند مصطفى، المسارات المتوقعة للسلوك السياسي والعسكري الإسرائيلي خلال سنة 2024، مصدر سابق.

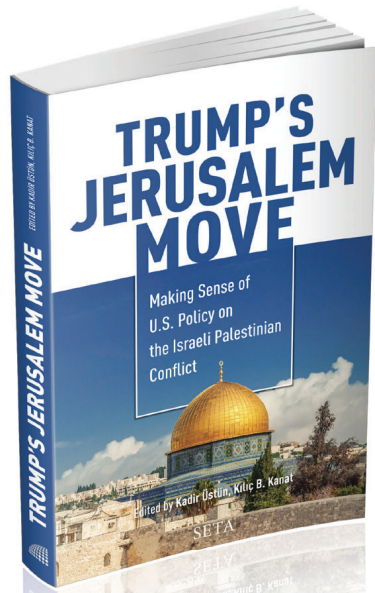
41. موشي كوهين، استطلاع معاريف: غانتس يواصل الصعود، كم حصل الليكود؟، معاريف [بالعبرية]، 26 كانون الثاني 2024، شوهد في 24/2/2024، في <https://2u.pw/SIYqINE>.
42. مهند مصطفى، المسارات المتوقعة للسلوك السياسي والعسكري الإسرائيلي خلال سنة 2024، مصدر سابق.
43. تداعيات «طوفان الأقصى» على الاقتصاد الإسرائيلي: تكاليف باهظة وأفاق مستقبلية قاتمة، تقدير موقف، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، 30 تشرين أول 2023، شوهد في 24/2/2024، في <https://2u.pw/i94eXEn>.
44. إيطانوس شحادة، حرب غزة... معضلة اليوم التالي إسرائيلًا، مصدر سابق.
45. تداعيات «طوفان الأقصى» على الاقتصاد الإسرائيلي: تكاليف باهظة وأفاق مستقبلية قاتمة، مصدر سابق.
46. عديئيل موسنكي، شاكيد غرين، كبير الاقتصاديين في اليوم التالي للحرب: «لم نشهد شيئاً كهذا منذ 20 عامًا، وستكون هناك حاجة لزيادة الضرائب»، كلكتيست [بالعبرية]، 8 كانون الثاني 2024، شوهد في 24/2/2024، في <https://2u.pw/pVvBpkR>.
47. طوفان الأقصى: انهيار الردع الإسرائيلي ومحاولات استعادته، مركز الجزيرة للدراسات، 8 تشرين الثاني 2023، شوهد في 24/2/2024، في <https://2u.pw/XtIzhI5>.
48. إيطانوس شحادة، حرب غزة... معضلة اليوم التالي إسرائيلًا، مصدر سابق.
49. الحواس تقيّة، إدانة إسرائيل: تفكيك خيوط الحكم، مركز الجزيرة للدراسات، 30 كانون الثاني 2024، شوهد في 24/2/2024، في <https://2u.pw/ZsJvOoa>.
50. مهند مصطفى، المسارات المتوقعة للسلوك السياسي والعسكري الإسرائيلي خلال سنة 2024، مصدر سابق.



Al-Quds | History, Religion and Politics

September 2019 | Abd al-Fattah EL-AWAISI, Muhittin ATAMAN

Considering the transformation process in the Middle East and the global transition, it is clear that the Palestinian-Israeli question and the issue of al-Quds will continue to dominate the agenda of the Middle East and global system. Recent regional developments such as Trump's decision regarding the future of Jerusalem and the solution proposal called the "Deal of Century" by the Trump Administration demonstrate that the holy city of al-Quds will continue.



Trump's Jerusalem Move

April 2020 | Kadir Üstün, Kılıç Buğra Kanat

This critically important book includes chapters both contextualizing and discussing the U.S. administration's Jerusalem declaration in great detail. Various sections authored by American, Latin American, European, and Turkish authors examine the international responses to the U.S. President Trump's declaration.

مسيرة «إسرائيل» من الاستعمار الاستيطاني

إلى دولة الإبادة الجماعية

بردال آرال*

ملخص: يتناول هذا البحث المناقشات القانونية المحيطة بالأزمة التي أطلقتها العملية العسكرية التي شنتها قوات المقاومة الفلسطينية المتمركزة في غزة في 7 أكتوبر 2023 نحو جنوب «إسرائيل». عدت «إسرائيل» هذه العملية «هجومًا إرهابيًا»، وأكدت حقها في الدفاع عن النفس، وأعلنت الحرب على سكان غزة، وبدأت القصف المستمر والعشوائي لغزة. نتيجة لذلك، أصبحت غزة بمثابة مدينة دريسدن الجديدة، حيث قُتل الآلاف وجرح عشرات الآلاف. يحاول هذا البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية لإلقاء الضوء على القضايا القانونية المحيطة بالأزمة الحالية والسياق الأوسع للوضع القانوني لـ «إسرائيل» كدولة ومطالباتها الإقليمية: هل كان الهجوم الفلسطيني في جنوب «إسرائيل» عملية إرهابية أو عملاً عدوانياً؟ أي جانب من الصراع يمكنه أن يطالب بحق الدفاع عن النفس؟ هل ارتكبت «إسرائيل» إبادة جماعية في غزة؟ هل تركز «إسرائيل» ومطالباتها الإقليمية على أسس قانونية راسخة؟ وهل من المعقول قانونياً القول: إن «إسرائيل» تشكل تهديداً للسلم والأمن الدوليين؟ الكلمات المفتاحية: عملية طوفان الأقصى، العدوان الإسرائيلي، غزة، الإبادة الجماعية، «إسرائيل».

*جامعة اسطنبول
مدنيات، تركيا.

Israel's Fateful March

from Settler Colonialism to Genocidal State

BERDAL ARAL*

ORCID NO :0000-0002-6736-5237

ABSTRACT: This article delves into the legal discussions surrounding the crisis unleashed by the military operation launched on October 7, 2023, in Southern Israel by Palestinian forces of the resistance based in Gaza. Israel considered this a “terrorist attack,” asserted the right of self-defense, declared war on Gazans, and started the continuous and indiscriminate bombardment of Gaza. As a result, Gaza has become the new Dresden, in which thousands have been killed and tens of thousands injured. This article is an attempt to answer the following questions to illuminate the legal issues surrounding the current crisis and the broader context of Israel’s legal status as a state and its territorial claims: Was the Palestinian offensive in Southern Israel an instance of terrorism and/or an act of aggression? Which side of the conflict can rightfully claim the right of self-defense? Did Israel commit genocide in Gaza? Do Israel’s statehood and territorial claims rest on firm legal grounds? Is it legally sensible to argue that Israel is a threat to international peace and security?

Keywords: Operation al-Aqsa Flood, Gaza, Genocide, Dubious Origins of Israel, Israel

*Istanbul
Medeniyet
University,
Türkiye.رأبسة، نركبسة،
2024-(1/13)
51 - 70

مقدمة

في 7 أكتوبر 2023، انطلقت عملية عسكرية غير متوقعة في جنوب «إسرائيل» من قبل مجموعة من المقاومين الفلسطينيين بقيادة كتائب عز الدين القسام الجناح العسكري لحماس في غزة. وقد أطلق على هذا الهجوم المفاجئ اسم «عملية طوفان الأقصى»، الذي رافقه إطلاق آلاف الصواريخ على «إسرائيل»، وقد بدأ من البر والجو والبحر. وغزة هي منطقة صغيرة (365 كيلومتر مربع) على ساحل البحر الأبيض المتوسط، يبلغ عدد سكانها 2.4 مليون نسمة، وهذا يجعلها واحدة من أكثر الأماكن كثافة سكانية في العالم. وفي غضون ساعات من العملية، تمكن المقاتلون الفلسطينيون من الاستيلاء على عدد من القواعد العسكرية ومقرات الشرطة والبلدات التي يسكنها مستوطنون محتلون يهود. واصلت الجماعات الفلسطينية المسلحة بعد هجوم 7 أكتوبر/ تشرين الأول الاشتباك عدة أيام في معارك بالأسلحة النارية مع القوات الإسرائيلية في أجزاء مختلفة من جنوب «إسرائيل».

وكان الدافع وراء عملية طوفان الأقصى هو مجموعة متنوعة من العوامل، التي تظهر جميعها يأس الفلسطينيين الذين واجهوا التصفية كفئة «سياسية» جزئيًا بسبب اتفاقيات أبراهام، التي أدت إلى التطبيع بين «إسرائيل» وعدد من الدول العربية (الإمارات العربية المتحدة والبحرين والمغرب والسودان) في ظل محاولة الحكومة الإسرائيلية الحاكمة آنذاك ضم الأراضي الفلسطينية المحتلة في «إسرائيل» بشكل كامل. وقد كشف رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو بوقاحة عن نية التهام الأراضي التابعة للفلسطينيين بالكامل أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في سبتمبر 2023.¹ وكانت عملية 7 أكتوبر تهدف أيضًا إلى لفت انتباه العالم إلى الحصار الشامل والحصار العسكري على غزة.

منذ عام 2007، تحولت غزة إلى سجن مفتوح. كما شعر الفلسطينيون بالغضب من الاعتداءات الصهيونية المستمرة على قدسية المسجد الأقصى، والاستفزازات، وفرض القيود المتزايدة على المصلين المسلمين. وأخيرًا، كان تصاعد عنف المستوطنين ضد السكان الفلسطينيين في الضفة الغربية وتوسيع مستوطنات الاحتلال اليهودي الجديدة من بين الدوافع الرئيسة.² وسرعان ما وصفت الدولة الصهيونية هذه العملية العسكرية بأنها «هجوم إرهابي»، وادّعت أن القانون الدولي يمنحها الحق في الدفاع عن النفس. وبناء على ذلك، أعلن رئيس الوزراء نتنياهو أن بلاده في حالة حرب.³ وفي نفس يوم توغل القوات الفلسطينية في جنوب «إسرائيل»، شنت القوات المسلحة الإسرائيلية قصفًا عنيفًا على غزة من الجو والبر والبحر، ولم يهدأ القصف منذ ذلك الحين. أدت الهجمات

العشوائية والشاملة والمتواصلة التي شنتها «إسرائيل» على غزة مدة 40 يوماً (حتى 16 نوفمبر/ تشرين الثاني 2023) إلى مأساة إنسانية مروعة أدت إلى مقتل حوالي 13 ألف شخص وإصابة ما لا يقل عن 30 ألفاً من سكان غزة. وقد تعرضت غزة للدمار التام نتيجة موجة القصف التي شهدت التدمير الكامل لـ 41,000 منزل و 71 مسجداً والتدمير الجزئي لـ 222,300 وحدة سكنية، و 25 مستشفى (لا تعمل الآن)، و 253 مدرسة (63 أصبحت غير صالحة للاستعمال)، و 156 مدرسة مساجد و 3 كنائس حتى 14 تشرين الثاني/ نوفمبر.⁴

وبعد ارتكابها دائرة لا تنتهي من الجرائم الدولية ضد الشعب الفلسطيني، مثل جرائم الحرب، والجرائم ضد السلام، والجرائم ضد الإنسانية، وجريمة الفصل العنصري، تستطیع الدولة الصهيونية الآن «الفخر» بنفسها بأنها ارتكبت عملاً شريعاً جديداً، يتجاوز الجرائم السابقة في نطاقه وفضاعته: ألا وهو الإبادة الجماعية.

يتناول هذا البحث أزمة غزة من منظور القانون الدولي. وهو يثير التساؤل حول إمكانية وصف عملية طوفان الأقصى بأنها «هجوم إرهابي» و/أو مثال على «العدوان العسكري». ومن ثم فهو يستند إلى حق الدفاع عن النفس بموجب القانون الدولي، ويشير إلى آثاره في أزمة غزة. كما يستعرض القانون الدولي للنزاعات المسلحة. ثم يبحث فيما إذا كانت «إسرائيل» قد ارتكبت إبادة جماعية في غزة. يبدأ البحث بمناقشة الأصول القانونية وأعمال العدوان والتوسع الإقليمي لـ «إسرائيل»، ثم يناقش إمكانية وصف «إسرائيل» بأنها «تهديد عالمي» للسلم والأمن الدوليين.

إن اتخاذ إجراءات مضادة ضد «إسرائيل» وإمكانية مقاضاة المجرمين الإسرائيليين، من الرئيس ورئيس الوزراء إلى بقية الجناة، تجري مناقشته في الجزء الأخير من هذا البحث. ففي تقييم هجوم 7 أكتوبر، زعمت «إسرائيل» وجميع الحكومات الغربية تقريباً أن «إسرائيل» أصبحت ضحية «هجوم إرهابي» من قبل حماس، ومن ثم فإن الدولة الصهيونية لها الحق الكامل في الدفاع عن نفسها ضد عدوها.⁵

ومن وجهة نظرهم، أن الجماعات الفلسطينية المسلحة لكونها تسببت في هذا «الهجوم غير المسموح»، فإنه كان على الفلسطينيين أن يواجهوا الموت والدمار اللذين وجهته «إسرائيل» لهم في إطار الدفاع عن النفس. ولعل هذا التفسير يعني أنه حق الدفاع عن النفس في مقابل هجوم مسلح (أو إرهابي ضخم). ومن المعروف أن ميثاق الأمم المتحدة (1945) يهدف إلى استبعاد العدوان العسكري الذي يؤدي إلى خرق السلم والأمن الدوليين.⁶ ومهما كانت هذه الصيغة مفضلة لدى الدول الصهيونية وداعميها الغربيين، إلا أنها لا علاقة لها بالوضع في غزة. احتلت «إسرائيل» غزة، إلى جانب الضفة

الغربية والقدس الشرقية، خلال حرب الأيام الستة عام 1967. وعلى الرغم من قرار مجلس الأمن الدولي رقم 242،⁷ رفضت «إسرائيل» الانسحاب من هذه المناطق. وفي حالة غزة على وجه التحديد، واصلت «إسرائيل» ممارسة سيطرتها الفعالة على غزة. إلا أنها أعلنت رسميًا سحب قواتها وإخلاء 4 مستوطنات يهودية غير شرعية في عام 2005. ويرجع هذا في الأساس إلى أن «خطة فك الارتباط» نصت صراحة على أن «إسرائيل» سوف تستمر في السيطرة على غزة جواً وبحراً وبراً بينما تحتفظ بسيطرتها على المعابر الحدودية، وكذلك المرافق والخدمات العامة، مثل إمدادات المياه والكهرباء.⁸ ومن ثم ظلت غزة تعاني العدوان الإسرائيلي في شكل احتلال فعلي كما اعترفت به الأمم المتحدة ومنظمات حقوق الإنسان الدولية والهيئات الإنسانية، مثل منظمة العفو الدولية والصليب الأحمر الدولي.⁹

ويتعين علينا أن نتذكر أنه، بالإضافة إلى القانون العرفي، أعلن القراران التاريخيان اللذان اتخذتهما الجمعية العامة للأمم المتحدة في عامي 1970¹⁰ و1974¹¹ على التوالي، عدم شرعية الاستيلاء على الأراضي بالقوة. وهذا ما يفسر لماذا لا يشكل الهجوم العسكري المفاجئ ضد «إسرائيل» من قبل القوات المسلحة المتمركزة في غزة هجوماً مسلحاً أو عملاً من أعمال العدوان العسكري كما هو محدد في القانون الدولي. وذلك لأن الدولة الخاضعة للاحتلال العسكري تتمتع بحق الدفاع عن النفس كما هو مذكور في المادة 51 من ميثاق الأمم المتحدة، التي تمنح «الحق الأصيل في الدفاع الفردي أو الجماعي في حالة وقوع هجوم مسلح» ضد الدولة. جرى الاعتراف إلى حد كبير بعدم شرعية الاستيلاء على الأراضي بالقوة حتى قبل الحرب العالمية الثانية.¹² أصبحت فلسطين دولة - وإن كانت تحت الاحتلال العسكري - منذ إعلان الاستقلال الفلسطيني في عام 1988¹³. واعترفت بها حوالي 140 دولة على هذا النحو، وأصبحت «دولة مراقبة» في الأمم المتحدة منذ عام 2012. وإذا أصر أحد على أن غزة - أو بشكل أعم، فإن فلسطين كلها ليست دولة - فإن حق المقاومة للشعب تحت الاحتلال العسكري يوفر المؤهلات القانونية اللازمة للفلسطينيين. وكان هذا، على سبيل المثال، هو الحال بالنسبة لشعب جنوب غرب إفريقيا الذي عانى عقوداً عديدة الاحتلال العسكري الوحشي من قبل جنوب إفريقيا حتى نالت استقلالها في عام 1990، والعملية التي أدت إلى استقلال تيمور الشرقية في عام 2002، التي كانت محتلة من قبل القوات المسلحة الإندونيسية عام 1975.

استناداً إلى حق تقرير المصير، يمنح القانون الدولي الشعب الفلسطيني الحق في تحرير وطنه من «الاحتلال الأجنبي».¹⁴ يُعدّ كل من حق الدفاع عن النفس وحق

مقاومة الاحتلال الأجنبي من الحقوق الديناميكية ٩٩
التي تستمر في الوجود طالما استمر الاحتلال.
وهذا ما يفسر، على سبيل المثال، لماذا استمرت
حركات المقاومة المختلفة، التي أُسست بعد
احتلال ألمانيا النازية للعديد من الدول الأوروبية
في الحرب العالمية الثانية- في شن هجمات على
أهداف ألمانية حتى بعد ترسيخ السيطرة الألمانية
على هذه الأراضي.

ولهذا السبب كان الجنرال شارل ديغول مؤهلاً تماماً لقيادة المقاومة الفرنسية ضد
الاحتلال الألماني من منفاه في لندن خلال الحرب العالمية الثانية. إن حق الشعب في
تحرير وطنه/بلده من خلال المقاومة المسلحة ضد الاحتلال الأجنبي هو حق طبيعي
مثل حق الإنسان في الحياة. وفي المقابل، ليس لقوة الاحتلال الحق في الدفاع عن
النفس ضد أولئك الذين يخضعون للاحتلال العسكري. إن ادعاء «إسرائيل» أنها مارست
حق الدفاع عن النفس ضد التوغل العسكري للفصائل الفلسطينية المسلحة في جنوب
«إسرائيل» في 7 أكتوبر/تشرين الأول 2023، هو بمثابة استهزاء بقواعد ومبادئ القانون
الدولي بشأن استخدام القوة والاحتلال العسكري، وتقرير المصير، وإقامة الدولة.

ويُعدّ الاحتلال العسكري وأعمال العدوان العامة من أبشع الجرائم في القانون
الدولي. وفي الأزمة الحالية، فإن «إسرائيل» هي التي ترتكب عدواناً مسلحاً ضد غزة
وشعبها، فضلاً عن ارتكاب جرائم الإبادة الجماعية، وجرائم الحرب، والجرائم ضد
الإنسانية. وينبغي القول مرة أخرى: إن المشكلة الأساسية هي استمرار الاحتلال
الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية. وبناء على قوانين الحرب والإبادة الجماعية في غزة
وبالنظر إلى أن «إسرائيل» هي قوة الاحتلال في غزة منذ عام 1967، فقد كان عليها واجب
قانوني بالامتنال لاتفاقيات لاهاي (1907) واتفاقية جنيف الرابعة (1949) وكذلك
المعايير الدولية العرفية وقوانين النزاعات المسلحة والاحتلال العسكري.¹⁵

وبموجب قواعد القانون الدولي ذات الصلة، يُمنع على دولة الاحتلال تغيير
الوضع الراهن داخل الأراضي المحتلة، ومن ثمّ يجب عليها تجنب توسيع قوانينها
وأنظمتها لتشمل المنطقة المحتلة.¹⁶ وهي ملزمة بعدم اتخاذ إجراءات قانونية وإدارية
تضر بسلامة ورفاهية السكان الذين يعيشون في الأراضي المحتلة. إن القرارات
والممارسات التي تهدف إلى حرمان السكان من سبل عيشهم الأساسية محظورة

تمامًا بموجب قواعد القانون الدولي. ومع ذلك، وفي انتهاك لواجباتها القانونية الدولية، أصبح الهجوم الإسرائيلي على غزة بمثابة حالة من القتل المتعمد والعشوائي، والجرح، والتشويه للفلسطينيين في غزة. هناك أدلة كثيرة تشير إلى أن «إسرائيل» ارتكبت جريمة إبادة جماعية ضد سكان غزة خلال هجومها الهمجي على غزة من الجو والبحر والأرض؛ لأنها سعت إلى القضاء على أكبر عدد ممكن من الناس. كما أن قطع الضروريات اللازمة لبقاء الإنسان على قيد الحياة في غزة، وهي المياه والغذاء والدواء والكهرباء، كان أيضًا سببًا في التسبب في أكبر عدد ممكن من الوفيات. كما خدمت كلتا الاستراتيجيتين المؤذيتين هدف «إسرائيل» المتمثل في التطهير العرقي من خلال النقل القسري للسكان الفلسطينيين من غزة. لنتكرر إذن أن الدراما التي تتكشف في غزة، أبرزت، في جملة أمور، ارتكاب «إسرائيل» أعمال الإبادة الجماعية ضد الفلسطينيين، على النحو المحدد في اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها عام 1948¹⁷ (التي ستُعرف باختصار باتفاقية الإبادة الجماعية). وتصف المادة 2 الأفعال أو الظروف التي ترقى إلى مستوى الإبادة الجماعية.

من المؤكد أن الفئات الثلاث الأولى التي تشكل مثل هذا القانون تنطبق على المأساة الإنسانية الحالية في غزة في عام 2023 و2024: في هذه الاتفاقية، تعني الإبادة الجماعية أيًا من الأفعال الآتية المرتكبة بقصد التدمير الكلي أو الجزئي لجماعة قومية أو إثنية أو عنصرية أو دينية، مثل: (1) قتل أعضاء المجموعة، (2) التسبب في ضرر جسدي أو عقلي خطير لأعضاء المجموعة، (3) فرض ظروف معيشية على الجماعة عمدًا يُقصد بها تدميرها المادي كليًا أو جزئيًا.¹⁸

وفي ضوء اتفاقية الإبادة الجماعية، ليس هناك شك في أن الركن المادي للإبادة الجماعية، وخطورة الأفعال المرتكبة، أي الفعل الإجرامي، كان حاضرًا في قضية غزة. وكان عنصر النية (القصد الجنائي) لارتكاب جريمة الإبادة الجماعية حاضرًا بالمثل في مواجهة الهجمات الوحشية على غزة منذ السابع من أكتوبر فصاعدًا. بمجرد إطلاق عملية طوفان الأقصى، كشف رئيس الوزراء الإسرائيلي وكبار المسؤولين الإسرائيليين بوقاحة عن نيتهم قتل وتدمير جميع سكان غزة، الذين اتهموهم بدعم حماس. لقد أعلن وزير الدفاع الإسرائيلي يوأف غالانت صراحة أن الجيش الإسرائيلي قد أطلق العنان من قبل حكومة الحرب الجديدة في حربه ضد حماس. وهذا يعني أن «إسرائيل» رفضت تقييد نفسها ضمن قواعد الحرب والقانون الإنساني الدولي.¹⁹ كما استبعد رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو إمكانية وقف إطلاق النار في غزة على الرغم من أن آلة الحرب الإسرائيلية، بما في ذلك القصف والقصف على مدار الساعة على غزة، استمرت بلا هوادة في قتل



وجرح وتشويه مئات الفلسطينيين كل يوم. ووصفت «إسرائيل» سكان غزة برمتهم بأنهم «سكان أعداء» واستهدفهم بشكل عشوائي.²⁰

وهذا هو المنطق الذي يفسر لماذا حولت الدولة الصهيونية غزة من «سجن مفتوح» (كما كان الحال قبل 7 أكتوبر 2023) إلى «مقبرة مفتوحة»؛ نظرًا لأن موجة القتل استكملت حصارًا شاملاً على غزة، وحرّمت السكان من أساسيات الحياة من الماء والغذاء والدواء والكهرباء. ودفاعًا عن هذا الحصار القاتل، تجرأ غالات على وصف سكان غزة الفلسطينيين بأنهم «حيوانات بشرية» تستحق هذه المعاملة الحقيرة.²¹ ومن جانبه، كان الرئيس الإسرائيلي إسحاق هرتزوغ، الذي كان كثيرًا خارج «إسرائيل» مغرمين بتصويره على أنه «صوت معتدل»، لا يتزعزع بنفس القدر عندما ألقى اللوم على سكان غزة بالكامل لإخفاقهم في الانتفاض ضد «النظام الشرير الذي استولى على غزة».²²

إن مثل هذه التصريحات هي مؤشرات واضحة على نية «إسرائيل» المتعمدة لارتكاب إبادة جماعية في غزة. وبعبارة أخرى، لم يميز صناع القرار الإسرائيليون بين المقاتلين وغير المقاتلين في الهجوم المميت على غزة، واستبعدوا أي قلق بشأن

القانون الإنساني الدولي. ولذلك، وكدليل على نية الإبادة الجماعية، كان جميع سكان غزة هدفاً للهجوم الإسرائيلي الشامل. إن عنصر النية الواضحة والصريحة لتدمير الفلسطينيين بشكل عاملاً حاسماً يفصل الحالة الإسرائيلية عن حالات الإبادة الجماعية الأخرى التي شهدتها العالم في القرن الماضي. ومن خلال دوافع همجية للتدمير، سعت «إسرائيل» إلى إلحاق أكبر قدر ممكن من الأذى والمعاناة بضحايا نواياها للإبادة الجماعية. ولتعظيم الضرر ومعاناة المدنيين، استهدفت المناطق السكنية والمستشفيات والعيادات والمدارس والأسواق وسيارات الإسعاف والمساجد والكنائس. ونتيجة لذلك، قُتل آلاف المدنيين في غزة، بينما أصيب عشرات الآلاف من سكان غزة بإصابات خطيرة. وكان القصف الإسرائيلي العنيف للمستشفى الأهلي المعمداني، الذي تسبب على الفور في مقتل ما يقرب من 500 شخص، دليلاً على أن «إسرائيل» تجاوزت في قسوتها جميع مرتكبي جرائم الإبادة الجماعية السابقين المعروفين في التاريخ الحديث.

ويمكن لهذه الحالة وحدها أن تشكل دليلاً على الإبادة الجماعية التي ارتكبتها «إسرائيل» ضد الشعب الفلسطيني، إلى جانب أنها ترقى إلى مستوى جريمة حرب وجريمة ضد الإنسانية.

الأصول المشكوك فيها قانونياً والإجرام التاريخي لدولة «إسرائيل»

لقد ظهرت دولة «إسرائيل» إلى الوجود نتيجة ما أطلقه إعلان بلفور سبب السمعة في 2 تشرين الثاني/نوفمبر 1917، أي قبل شهر تقريباً من احتلال البريطانيين للقدس بوصف ذلك جزءاً من حملتهم الحربية في الحرب العالمية الأولى.²³ وقد عبر هذا عن التصميم البريطاني على إنشاء «وطن قومي» لليهود في فلسطين. وكانت الوثيقة بمثابة محاكاة ساخرة واضحة للمبدأ الناشئ المتمثل في تقرير المصير الوطني الذي شكل العمود الفقري لنظام الانتداب خلال عصبة الأمم (1919)؛ لأنه في وقت إعلانها، كان أكثر من 90 في المئة من سكان فلسطين العرب (معظمهم مسلمون، وبعض المسيحيين).²⁴ كان هناك المزيد من السخافة في هذه الخطة. على الرغم من أن نظام الانتداب، كما حددته المادة 22 من ميثاق عصبة الأمم²⁵ فيما يتعلق بانتدابات المجموعة أ، الذي تم إنشاؤه في البلدان ذات الأغلبية العربية في الشرق الأوسط التي كانت تحكمها الإمبراطورية العثمانية سابقاً، يمنح فقط الولايات الانتدابية لبعض الدول مثل بريطانيا وفرنسا، كما واصلت بريطانيا ممارسة «حق الإدارة»، لا «حق السيادة»، عن طريق تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين بعد الاستيلاء على المنطقة.

علاوة على ذلك، وعلى الرغم من الهجرة اليهودية الضخمة أكثر من ثلاثة عقود (1917-1948)، فإن الغالبية العظمى من السكان في المنطقة كانت لا تزال تتألف من العرب الفلسطينيين، ورغم ذلك رفضت بريطانيا منح الاستقلال لفلسطين (ليحكمها العرب) في نهاية الحرب العالمية الثانية. وكان هذا فريداً من نوعه بين الدول ذات الأغلبية العربية الأخرى، التي جرى وضعها بالمثل تحت نظام الانتداب، مثل العراق وسوريا والأردن، حيث مُنحت الأغلبية العربية الاستقلال. وبعد أن قررت بريطانيا الانسحاب من فلسطين، طرحت الأمر على جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة، التي قررت في عام 1947 تقسيم فلسطين بين دولة يهودية ودولة عربية على أن تكون القدس مدينة دولية. وكان هذا القرار، القرار 181،²⁶ بمثابة ضربة قوية أخرى لتطلعات العرب الفلسطينيين الذين أصروا على إقامة دولة عربية موحدة - مع ضمانات قانونية وسياسية لحقوق الأقلية اليهودية - وفقاً لمبدأ تقرير المصير. وخصص القرار سبب السبعة 56.5٪ من فلسطين لليهود، في حين أن العرب، الذين يشكلون 70٪ من السكان البالغ عددهم حوالي 2 مليون نسمة في فلسطين، مُنحوا 43٪ فقط من الأرض.

وكان هذا القرار موضع شك من الناحية القانونية على عدد من الجبهات: أولاً، لم تكن الجمعية العامة للأمم المتحدة مخولة بتبني قرارات ملزمة؛ ثانياً، لم تكن للجمعية سلطة إنشاء الولايات؛ ثالثاً، عشية التصويت التاريخي الذي أدى إلى القرار 181، مارست الولايات المتحدة (واللوبيات الصهيونية) ضغوطاً هائلة على بعض الدول الأعضاء في الأمم المتحدة للتصويت لمصلحة هذا المشروع إلى حد أنه تم تهديد بعض الدول.²⁷ وهذا انتهاك للمادة 2 (4) من ميثاق الأمم المتحدة، التي تنص على أنه: «يُمتنع جميع الأعضاء في علاقاتهم الدولية عن التهديد باستعمال القوة أو استخدامها ضد سلامة الأراضي أو الاستقلال السياسي لأي دولة».

إن الأسس القانونية الضعيفة التي أدت إلى إنشاء «إسرائيل» جرى تكميلها بمطالبتها التي لا أساس لها من الصحة بالأراضي الفلسطينية التي احتلتها خلال الحرب العربية الإسرائيلية في الفترة من 1948 إلى 1949. خلال هذه الحرب، احتلت «إسرائيل» ما يقرب من نصف الأراضي التي خُصّصت للفلسطينيين في خطة التقسيم التي أقرتها الأمم المتحدة. وعلى الرغم من أن القانون الدولي كان يحظر، بحلول ذلك الوقت، الاستيلاء على الأراضي بالقوة، فقد قامت «إسرائيل» بضم تلك الأجزاء من فلسطين إلى «إسرائيل» بدلاً من الانسحاب من هذه المناطق. وهذا أمر مثير للدهشة؛ لأن الأفعال الدولية أو السندات القانونية التي جرى الحصول عليها نتيجة للاستخدام غير القانوني للقوة أو التهديد باستخدام القوة باطلة بموجب القانون الدولي.²⁸

إن الشبهات القانونية حول «إسرائيل» ومطالباتها الإقليمية يقابلها إجرامها المستمر عبر الجماعات الإرهابية الصهيونية قبل الاستقلال، ثم عبر دولة «إسرائيل». ولم يسع الوجود الصهيوني في فلسطين قط إلى التعايش السلمي مع العرب، إذا جاز التعبير، في «أرض الميعاد». وقد تزايدت قوة السكان اليهود في فلسطين بشكل مطرد بفضل السياسة المتساهلة التي اتبعتها بريطانيا، التي مكنت من الهجرة اليهودية بأعداد كبيرة وسمحت بامتيازات خاصة للصهاينة.

شكّلت مجموعات إرهابية صهيونية مختلفة في فلسطين الانتدابية، مثل الهاغاناه والإرغون، وشتين؛ لتعزيز المكاسب اليهودية على حساب العرب. وقد شنوا هجمات دموية لا حصر لها ضد أهداف فلسطينية في العقود التي سبقت إنشاء دولة «إسرائيل». وكانت هذه الهجمات الوحشية والمدمرة مظهرًا من مظاهر الطابع الإجرامي لرواد الصهاينة.

وكان التطهير العرقي للفلسطينيين العاديين، والقتل الجماعي، والقتل العشوائي، وحرق المنازل، من بين الجرائم الشنيعة التي أدت إلى عمليات الطرد الجماعي أو النزوح الجماعي للسكان الفلسطينيين في الفترة 1947-1949. وكانت القيادة الصهيونية، من أعلى إلى أسفل، ثابتة على فكرة إنشاء دولة يهودية لا يكون فيها -في نهاية المطاف- أي فلسطينيين. كان هذا خيارًا أيديولوجيًا، وكانت وسيلة لتحقيق ذلك، كما ثبت مع مرور الوقت، هي التطهير العرقي للفلسطينيين. وبلغت ذروتها في الحرب العربية الإسرائيلية (1948-1949)، المعروفة باسم النكبة،²⁹ التي أدت إلى التهجير العنيف لنحو 750 ألف فلسطيني.

وظل التطهير العرقي للفلسطينيين منذ ذلك الحين هو الإستراتيجية الديمغرافية المفضلة للدولة الصهيونية. بدأ الصهاينة على الفور في ارتكاب جرائم فظيعة ضد السكان الفلسطينيين بمجرد ظهور «إسرائيل» إلى الوجود في مايو 1948. وكان هدف «إسرائيل» الثابت والدائم هو القضاء على الفلسطينيين الأصليين وتشريدهم وتهميشهم، ومن خلال ذلك سيحقق تطهير فلسطين من سكانها الأصليين.

ومن هنا يمكن عدّ ارتكاب جريمة الإبادة الجماعية الحالية في غزة بمثابة تكملة للإجرام الدائم للشبكة الإرهابية الصهيونية. اختار المجتمع الدولي عقودًا من الزمن الاستسلام لخطاب خدم الأجندة التوسعية للدولة الصهيونية وداعميها الإمبراطورين. وعليه، فقد أخفق المجتمع الدولي، ومن ضمنه العالم الإسلامي، في تقديم أي حلول للفلسطينيين غير ذلك الذي أملت اعتبارات السياسة الواقعية للأطراف الدولية



ذات الثقل التي اختزلت التطلعات الفلسطينية إلى حدود 1967، وهي الضفة الغربية والقدس الشرقية وغزة، وهي لا تشكل سوى جزء صغير من فلسطين الانتدابية (22 بالمئة فقط). والأكثر من ذلك، أنه في السنوات الأخيرة، أجبر الفلسطينيون أيضاً على التنازل عن واقع مستوطنات الاحتلال اليهودي المتزايدة باستمرار في الضفة الغربية (ومنها القدس الشرقية).

إن «إسرائيل» ليست دولة عدوانية وتوسعية فحسب؛ بل هي دولة استعمارية أيضاً. ولجعل فلسطين «موطناً» لموجة ضخمة من المهاجرين اليهود من جميع أنحاء العالم، لم تقتصر الإستراتيجيات التي نشرتها الدولة الصهيونية على المضايقات اليومية للفلسطينيين الذين يعيشون تحت وطأة احتلال عسكري لا يرحم، بل إنها منذ احتلالها لما تبقى من الأراضي الفلسطينية عام 1967، في القدس الشرقية والضفة الغربية، أنشأت نحو 250 مستوطنة يهودية غير شرعية يعيش فيها نحو 750 ألف يهودي. وقد انخرطت الدولة الصهيونية بشكل روتيني في عمليات التطهير العرقي والمجازر والقتل العشوائي للفلسطينيين بدم بارد.

ارتكبت «إسرائيل» انتهاكات واسعة النطاق ومزعجة للغاية لحقوق الإنسان، بما في ذلك الحرمان من معظم حقوق الإنسان الأساسية في «الأراضي المحتلة» (يمكن للمرء أن يستنتج أن حدود «إسرائيل» قبل عام 1967 هي أيضًا «أراض محتلة»). وقد وسّعت قوانينها وأنظمتها لتشمل ولايتها القضائية في القدس الشرقية وأجزاء من الضفة الغربية، وحاولت قصارى جهدها لمحو آثار التراث الثقافي والديني والسياسي الفلسطيني في فلسطين. وقد برزت مثل هذه السياسات والإستراتيجيات على أنها أدوات رئيسة لسلب الفلسطينيين ممتلكاتهم وتهميشهم في وطن أجدادهم. لا تستهدف «إسرائيل» الفلسطينيين فقط، بل إن إستراتيجياتها المتمثلة في التوسع الإقليمي والهيمنة وممارسة أقصى درجات العنف تستهدف العالمين العربي والإسلامي أيضًا. علاوة على ذلك، وفي ظل آليات النفوذ المعقدة المتاحة لها، التي تدعمها بشكل خاص القوة المطلقة لجماعات الضغط الصهيونية في جميع أنحاء العالم، ينبغي النظر إلى «إسرائيل» أيضًا بوصفها تهديدًا كبيرًا للسلم والأمن الدوليين.

«إسرائيل» بوصفها «تهديدًا عالميًا» للسلم والأمن الدوليين

إن «إسرائيل» دولة شاذة تمارس الاستعمار الاستيطاني في الوقت الذي صار يُنظر إلى الاستعمار عالميًا على أنه ممارسة سيئة مقيمة من عصر مضى. تستخدم الدولة الصهيونية إستراتيجيات الهيمنة والإرهاب والترهيب تجاه أي جهات تعدّها «معادية» أو «معادية لمصالحها السياسية العليا». وبشكل أكثر تحديدًا، فإنها تشمل أساليب العنف، مثل القتل خارج نطاق القضاء، والاختطاف، والتهديدات، والعمليات السرية ضد أهداف داخل حدودها وخارجها. علاوة على ذلك، ينبغي للمرء أن يذكر أيضًا أن «إسرائيل» هي اليوم دولة الفصل العنصري الوحيدة المتبقية في العالم. ومن المدهش أيضًا أن نلاحظ أن حدودها الإقليمية (الحدود) غير معروفة. كما أنها لم تتوقف عن انتهاج سياسات عدوانية تجاه جيرانها العرب رغم أنهم لم يعودوا يشكلون أي تهديد لها. ويكفي أن نشير إلى أنها ظلت عقودًا من الزمن تتعامل مع سوريا ولبنان على أنهما أرض لشهيتها التي لا تشبع للعدوان والدمار والترهيب. كما أنها تهدد دائمًا بمهاجمة الدول البعيدة جغرافيًا عنها، مثل إيران. وعلى الجبهة النووية، هددت في مناسبات مختلفة بأنها ستستخدم أسلحتها النووية ضد خصومها.

شهد العالم ذلك خلال حرب أكتوبر عام 1973، عندما أبلغت الدولة الصهيونية الولايات المتحدة، بعد أن اضطرت إلى الانسحاب من سيناء المحتلة بسبب التقدم العسكري المصري، بأنها ستستخدم الأسلحة النووية ضد مصر، ما لم يتحقق القيام بشيء

ما.³⁰ وقد حدث سيناريو مماثل عندما تحدث وزير إسرائيلي عن استصواب استخدام الأسلحة النووية في غزة خلال أزمة 2023 في القطاع.³¹ يُنظر إلى «إسرائيل» عادة في العالم غير العربي على أنها وكيل للإمبريالية الغربية في الشرق الأوسط. وأنها شريك للولايات المتحدة في سياساتها العدوانية، وحروبها القذرة، وعسكرة العالم بشكل أكبر.

إن «إسرائيل» أداة رئيسة للهيمنة الإمبريالية في العالم العربي والعالم الإسلامي على نطاق أوسع. كما أنها شريك «موثوق» للولايات المتحدة في الجمعية العامة للأمم المتحدة.³² تتصرف كلتا الدولتين في الغالب ككيان واحد في معارضتهما للقرارات المتعلقة بالقضايا التقدمية من أجل تحسين العالم، مثل إنشاء نظام اقتصادي وسياسي دولي جديد، يدعو إلى إنهاء العدوان المباشر وغير المباشر، ونزع السلاح.

إن «إسرائيل» تشكل في الواقع «ثقبًا أسود» كبيرًا في النظام الدولي السائد. الصورة واضحة جدًا لمن يريد رؤيتها. إنه الوقت المناسب لإعلان الأمم المتحدة أن الدولة الصهيونية تمثل تهديدًا عالميًا للسلم والأمن الدوليين. ويتعين على «إسرائيل» أن تواجه بكل قوة المجتمع الدولي وقدرته على اتخاذ إجراءات عقابية.

إن إفلات «إسرائيل» من العقاب لم يؤدّ حتى الآن إلا إلى تفاقم إجرامها. وهذا يجب أن يتغير. ويجب على الأمم المتحدة أن تتولى قضية الجرائم الصهيونية في فلسطين وتفرض إجراءات مضادة وعقوبات ضد «إسرائيل». إن اليقين بشأن استخدام الولايات المتحدة حق النقض ضد أي مشروع قرار وشيك ينص على أي شكل من أشكال العمل العسكري و/أو فرض حظر شامل على «إسرائيل» - يجب أن يحذرنا بشأن مجلس الأمن. ومن ثم، تبرز الجمعية العامة إلى الواجهة على أنها منصة بديلة، بالنظر إلى أنها كانت مسلحة بمثل هذه الوظيفة من خلال قرار الاتحاد من أجل السلام³³ في عام 1950 في المواقف التي أخفق فيها مجلس الأمن في أداء وظيفته في حماية السلام في حالة الصراع الدولي بسبب حق النقض من قبل عضو دائم.

ورغم أن قراراتها، من حيث المبدأ، غير ملزمة، فإنه لا يوجد سبب -مرسوم- يجعل الأعضاء، على سبيل المثال، يختارون تجاهل قرار الجمعية العامة الذي ينص على إرسال قوات لحفظ السلام و/أو فرض حظر واسع النطاق على «إسرائيل».³⁴ وكما حدث في بعض الأحيان في تاريخ الأمم المتحدة فإنه لا بد من إدراج الحظر الاقتصادي والسياسي والعسكري والثقافي المفروض على «إسرائيل» على أجندة منظمة التعاون الإسلامي، والاتحاد الإفريقي، ومنظمة شنغهاي للتعاون، ورابطة دول جنوب شرق آسيا.

ويجب على الدول الإسلامية أيضًا أن تفكر في إغلاق مجالها الجوي أمام الرحلات الجوية الإسرائيلية. ولا ينبغي السماح لـ «إسرائيل» بالخروج من هذا المأزق هذه المرة. هذا وقت العمل لا الكلام. ولذلك، فإن مطالبة الإنسانية بتحقيق العدالة للفلسطينيين يجب أن تنعكس في الموقف الذي يتبناه الفاعلون الرئيسون في النظام الدولي، الذي يجب أن يذهب إلى ما هو أبعد من «إدانة» الفظائع الصهيونية التي لا تنتهي، وذلك باتخاذ إجراءات فعالة.

بالإضافة إلى ذلك، وعلى الصعيد القضائي، يجب على الجمعية العامة للأمم المتحدة إنشاء محكمة دولية خاصة للتحقيق والحكم في الجرائم التي لا تُعد ولا تُحصى التي ارتكبتها «إسرائيل» ضد الفلسطينيين، وضد قائمة طويلة من الدول والأفراد الذين وقعوا ضحايا للعدوان الإسرائيلي وإرهاب الدولة في مختلف أنحاء العالم.

ومن الممكن أيضًا أن تتبنى الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارًا يعلن أن الصهيونية فئة من العنصرية والعدوان العنصري الذي يشكل جرائم دولية، كما فعلته في تبني هذا القرار عام 1975³⁵ وأبطل لاحقًا في عام 1991³⁶. ومما لا شك فيه أن الجرائم البشعة في غزة تستلزم نشر العمليات القانونية وآليات القانون الجنائي الدولي لتوجيه الاتهام إلى كبار المسؤولين الإسرائيليين بارتكاب جرائم ضد السلام، وجرائم حرب، وجرائم ضد الإنسانية، فضلًا عن جرائم الإبادة الجماعية. والحقيقة أن بعض الطعون جرى تقديمها بالفعل إلى المحكمة الجنائية الدولية لإصدار حكم بشأن الجرائم الإسرائيلية في غزة في الاعتداء الأخير. وهناك بالفعل قضية - من بين قضايا أخرى - تتعلق بالجرائم الإسرائيلية التي ارتكبت خلال هجومها على غزة في عام 2014، وهي قضية معلقة أمام المحكمة التي رأت أنها مقبولة، من بين أمور أخرى، للسببين الآتين: أولاً، أن دولة فلسطين أصبحت طرفًا في النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية منذ عام 2015. ثانيًا، أن الجرائم المزعومة قيد التحقيق ارتكبت في الأراضي الفلسطينية³⁷. إن «المبدأ العالمي» فيما يتعلق بموضوع الولاية القضائية للدولة مناسب هنا أيضًا. وبناء على ذلك، يجوز لأي دولة يسمح قانونها الجنائي المحلي بمحاكمة المشتبه بهم من الأجانب المتورطين في الجرائم المذكورة أنفاً أن تطالب بالولاية القضائية. ومن أجل الحرية والعدالة، من المناسب إذن أن نقول: «من النهر إلى البحر، ستحرّر فلسطين».

الهوامش والمراجع

1. "Palestinians Must not Have Veto over Arab-Israel Deals, Netanyahu Tells UN," *Al Jazeera*, (September 22, 2023), retrieved from <https://www.aljazeera.com/news/2023/9/22/palestinians-must-not-have-veto-over-arab-israel-deals-netanyahu-tells-un>.
2. " Hamas'ın Silahlı Kanadı İsrail'e Karşı "Aksa Tufanı" Operasyonu Başlattı," *Anadolu Ajansı*, (October 9, 2023), retrieved from <https://www.aa.com.tr/tr/dunya/hamasin-silahli-kanadi-israile-karsi-aksa-tufani-operasyonu-baslatti/3009914>.
3. " Hamas'ın Silahlı Kanadı İsrail'e Karşı "Aksa Tufanı" Operasyonu Başlattı," *Anadolu Ajansı*.
4. "More than 41,000 Houses Completely Destroyed in Gaza," *Anadolu Ajansı*, (November 16, 2023), retrieved from <https://www.aa.com.tr/en/info/infographic/36761>.
5. "More than 41,000 Houses Completely Destroyed in Gaza," *Anadolu Ajansı*.
6. "Charter of the United Nations and Statute of the International Court of Justice," *United Nations*, (June 26, 1945), retrieved from <https://treaties.un.org/doc/publication/ctc/uncharter.pdf>.
7. "Resolution 242 (1967)," *United Nations*, (November 22, 1967), retrieved from <https://documents-dds-ny.un.org/doc/RESOLUTION/GEN/NR0/240/94/PDF/NR024094.pdf?OpenElement>.
8. "The Cabinet Resolution Regarding the Disengagement Plan," *Israel Ministry of Foreign Affairs*, (June 6, 2004), retrieved from <http://www.mfa.gov.il/MFA/ForeignPolicy/Peace/MFADocuments/Pages/Revised%20Disengagement%20Plan%206-June-2004.aspx>.
9. "Israel/Occupied Palestinian Territories: The Conflict in Gaza: A Briefing on Applicable Law, Investigations and Accountability," *Amnesty International*, (January 19, 2009), retrieved from <https://www.amnesty.org/en/documents/mde15/007/2009/en/>; "What Does the Law Say about the Responsibility of the Occupying Power in the Occupied Palestinian Territory?" *International Committee of the Red Cross*, (March 28, 2023), retrieved from <https://www.icrc.org/en/document/ihl-occupying-power-responsibilities-occupied-palestinian-territories>; "Human Rights Council Special Session on the Occupied Palestinian Territories," *Human Rights Watch*, (July 6, 2006), retrieved from <https://www.hrw.org/news/2006/07/05/human-rights-council-special-session-occupied-palestinian-territories-july-6-2006>.

10. "Declaration on Principles of International Law Concerning Friendly Relations and Cooperation among States in Accordance with the Charter of the UN," *United Nations*, (October 24, 1970), retrieved from <https://documents-dds-ny.un.org/doc/RESOLUTION/GEN/NR0/348/90/PDF/NR034890.pdf?OpenElement>.

11. "Definition of Aggression General Assembly Resolution No. 3314 (XXIX)," *United Nations*, (December 14, 1974), retrieved from https://legal.un.org/avl/pdf/ha/da/da_ph_e.pdf.

12. ويكفي أن نشير إلى أن المعاهدة العامة للتخلي عن الحرب، التي جرى التوقيع عليها في عام 1928، حظيت فعلياً بالتصديق عليها من قبل كل الدول تقريباً في فترة ما بين الحربين العالميتين. أدانت عصبة الأمم الاحتلال الياباني لمنشوريا عام 1931 والاحتلال الإيطالي لإثيوبيا (المعروفة آنذاك باسم الحبشة) عام 1935.

13. "Declaration of State of Palestine – Palestine National Council," *United Nations*, (November 15, 1988), retrieved from <https://www.un.org/unispal/document/auto-insert-178680/>.

14. "Right of Self-Determination of the Palestinian People," *United Nations*, (1979), retrieved from <https://www.un.org/unispal/document/auto-insert-196558/>.

15. The list of treaties that came into existence as part of Hague Conventions from 1899 to 1907, See: "Hague Conventions," *Casebook*, retrieved from https://casebook.icrc.org/a_to_z/glossary/hague-conventions; "The Geneva Conventions of 12 August 1949," *ICRC*, retrieved from <https://www.icrc.org/en/doc/assets/files/publications/icrc-002-0173.pdf>; "Convention (IV) Relative to the Protection of Civilian Persons in Time of War, Geneva, 12 August 1949," *ICRC*, retrieved from <https://ihl-databases.icrc.org/en/ihl-treaties/gciv-1949>.

16. Under Article 43 of the Fourth Hague Convention (1907), the occupying power is under the obligation to respect "the laws in force in the country" that has been under military occupation. (Convention (IV) respecting the Laws and Customs of War on Land and its annex, 18 October 1907, <https://ihl-databases.icrc.org/en/ihl-treaties/hague-conv-iv-1907>

17. "Convention on the Prevention and Punishment of the Crime of Genocide," *United Nations*, (December 9, 1948), retrieved from https://www.un.org/en/genocideprevention/documents/atrocities-crimes/Doc.1_Convention%20on%20the%20Prevention%20and%20Punishment%20of%20the%20Crime%20of%20Genocide.pdf.

18. Article 2 of the Genocide Convention.

Eyad Kourdi, Amir Tal, Abeer Salman, Celine Alkhaldi, and Helen Regan, .19
“Israel Forms Emergency Government and Steps up Gaza Offensive as Brutality of Hamas Attacks Laid Bare,” *CNN*, (October 11, 2023), retrieved from <https://edition.cnn.com/2023/10/11/middleeast/israel-gaza-hamas-war-wednesday-intl-hnk/index.html>.

Jonathan Kuttab, “Israel, Gaza, and the Laws of War,” *Arab Center Washington DC*, (October 27, 2023), retrieved from <https://arabcenterdc.org/resource/israel-gaza-and-the-laws-of-war/>. .20

Sanjana Karanth, “Israeli Defense Minister Announces Siege on Gaza to Fight ‘Human Animals,’” *HuffPost*, (October 9, 2023), retrieved from https://www.huffpost.com/entry/israel-defense-minister-human-animals-gaza-palestine_n_6524220ae4b09f4b8d412e0a. .21

Paul Blumenthal, “Israeli President Suggests that Civilians in Gaza Are Legitimate Targets,” *HuffPost*, (October 16, 2023), retrieved from https://www.huffpost.com/entry/israel-gaza-isaac-herzog_n_65295ee8e4b03ea0c004e2a8. .22

“Balfour Declaration 1917,” *Yale Law School*, (November 2, 1917), .23
retrieved from https://avalon.law.yale.edu/20th_century/balfour.asp.

In 1918, against a population of roughly 689,000 Palestinian Arabs, .24
Jews numbered nearly 59,000. A very detailed information about the yearly changes in the population composition in Palestine, from 1850s up until 1948, as presented in tables, see: Youssef Courbage, “Demography and the Palestine Question (I) 1850s-1948,” *Interactive Encyclopedia of the Palestine Question*, retrieved from <https://www.palquest.org/en/highlight/294/demography-and-palestine-question-i>.

“The Covenant of the League of Nations,” *League of Nations – Official Journal*, (April 28, 1919), retrieved from https://libraryresources.unog.ch/ld.php?content_id=32971179. .25

“The Covenant of the League of Nations,” *League of Nations – Official Journal*, (April 28, 1919), retrieved from https://libraryresources.unog.ch/ld.php?content_id=32971179.

“Resolution Adopted on the Report of the Ad Hoc Committee on the Palestinian Question,” *United Nations*, (November 29, 1947), .26
retrieved from <https://documents-dds-ny.un.org/doc/RESOLUTION/GEN/NR0/038/88/PDF/NR003888.pdf?OpenElement>.

Roger Garaudy, *The Case of Israel: A Study of Political Zionism*, (London: .27
Shorouk International, 1983), pp. 48-49.

“No Territorial Acquisition Resulting from the Threat or Use of Force Shall Be Recognized as Legal,” Declaration on Friendly Relations, 1970, *op.cit.* According to the UN Resolution on the Definition of Aggression, 1974, *op.cit.*, Article 5(3), “No territorial acquisition or special advantage resulting from aggression is or shall be recognized as lawful.” Similarly, under the Vienna Convention on the Law of Treaties (1969), as enshrined in Article 52, “A treaty is void if its conclusion has been procured by the threat or use of force in violation of the principles of international law embodied in the Charter of the United Nations.” See: “Vienna Convention on the Law of Treaties,” *United Nations*, (May 23, 1969), retrieved from https://legal.un.org/ilc/texts/instruments/english/conventions/1_1_1969.pdf. .28

On the ethnic cleansing of Palestinians between 1947-1949, see: Ilan Pappé, *The Ethnic Cleansing of Palestine*, (Oxford: Oneworld Publications, 2007). .29

Hany Konayyesi, “October War: Israel Hinted to the US at Using Nuclear Weapons,” *Asharq Al-Awsat*, (October 5, 2023), retrieved from <https://english.aawsat.com/features/4586521-october-war-israel-hinted-us-using-nuclear-weapons>; Sebastien Roblin, “Israel Nearly Went Nuclear to Win the 1973 Yom Kippur War,” *The National Interest*, (November 8, 2020), retrieved from <https://nationalinterest.org/blog/reboot/israel-nearly-went-nuclear-win-1973-yom-kippur-war-172087>. .30

Ikram Kouachi, “Israeli Minister Says Dropping ‘Nuclear Bomb’ on Gaza Is ‘Option,’” *Anadolu Agency*, (November 6, 2023), retrieved from <https://www.aa.com.tr/en/middle-east/israeli-minister-says-dropping-nuclear-bomb-on-gaza-is-option-/3044272>. .31

The following web site that takes up the issue from 2000 up until 2021 demonstrates the extremely high level of convergence between the US and Israeli voting preferences in the UN General Assembly. The rate of convergence between them almost never dropped below 90 percent during the period under investigation. See: “United Nations Member States Voting Records Voting Coincidence with the United States (2005–Present),” *Jewish Virtual Library*, retrieved from <https://www.jewishvirtuallibrary.org/united-nations-member-states-voting-records>. .32

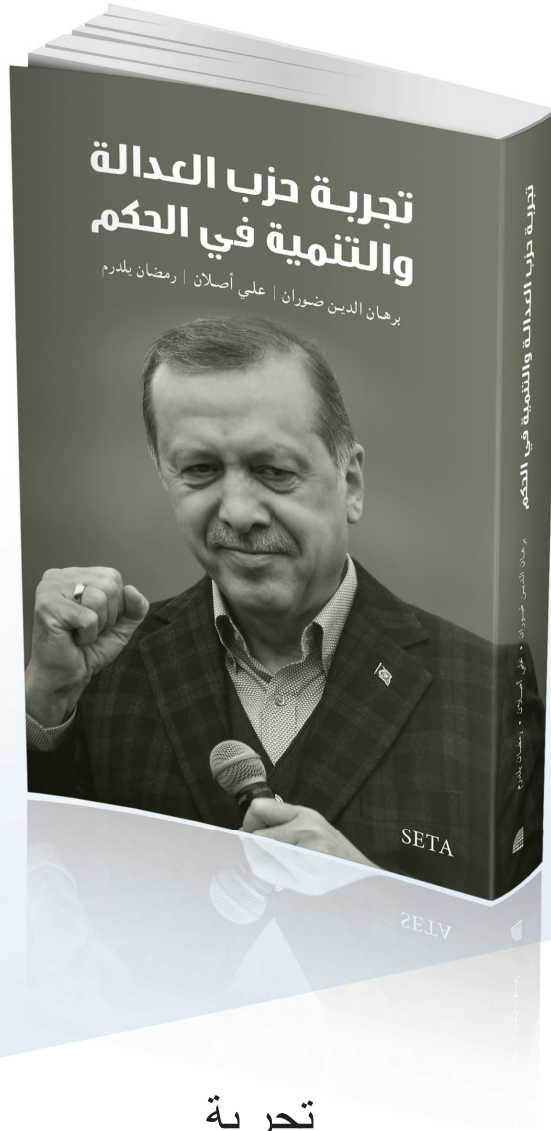
“Resolution 377(V),” *United Nations*, (November 3, 1950), retrieved from <https://documents-dds-ny.un.org/doc/RESOLUTION/GEN/NR0/059/75/PDF/NR005975.pdf?OpenElement>. .33

34. جرى طرح قرار «الاتحاد من أجل السلام» أول مرة في يونيو 1950 بموجب القرار رقم 83 عندما أوصت الجمعية العامة الدول الأعضاء «بتقديم المساعدة لجمهورية كوريا بحسب الضرورة لصد الهجوم المسلح واستعادة السلام والأمن الدوليين في جمهورية كوريا». «كما عقدت الجمعية العامة جلسة طارئة خلال الأزمة التي اندلعت نتيجة الهجوم العسكري الذي قامت به «إسرائيل» وفرنسا وبريطانيا على مصر عقب تأميم قناة السويس عام 1956. كما عقدت الجمعية العامة جلسة طارئة بشأن الكونغو في سبتمبر 1960 ردًا على نداء الحكومة الكونغولية للحصول على مساعدة دولية ضد العدوان العسكري الذي شنته بلجيكا. أظهرت كل هذه الحالات سمتين خاصتين كانتا مشتركتين بين الجميع: أولاً، في كل هذه الحالات، أصيب مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بالشلل بسبب استخدام حق النقض؛ ثانياً سمحت الأمم المتحدة للجيش بالتدخل العسكري (كوريا) أو أرسلت قوات حفظ السلام إلى مناطق الحرب المعنية. وكما أعرب توموشات، «على الرغم من أن نقل المسؤوليات إلى الجمعية العامة قد لا يكون متسقاً مع النوايا الأصلية لواضعي الميثاق، فمن المقبول اليوم تماماً أن الدورات الاستثنائية الطارئة أصبحت جزءاً لا يتجزأ من النظام القانوني للأمم المتحدة». الأمم المتحدة».

35. See: “Uniting for Peace General Assembly resolution 377 (V), Introductory Note,” *United Nations*, (2008), retrieved from <https://legal.un.org/avl/ha/ufp/ufp.html>. The General Assembly also adopted a series of resolutions providing for sanctions against the apartheid South Africa.

36. “Resolution 3379 (XXX) Elimination of all Forms of Racial Discrimination,” *United Nations*, (November 10, 1975), retrieved from <https://www.palquest.org/en/historictext/9987/unga-resolution-3379-xxx>. “Resolution 48/86,” *United Nations*, (December 16, 1991), retrieved from <https://documents-dds-ny.un.org/doc/RESOLUTION/GEN/NR0/581/74/IMG/NR058174.pdf?OpenElement>.

37. “Statement of ICC Prosecutor, Fatou Bensouda, Respecting an Investigation of the Situation in Palestine,” *International Criminal Court*, (March 3, 2021), retrieved from <https://www.icc-cpi.int/news/statement-icc-prosecutor-fatou-bensouda-respecting-investigation-situation-palestine>.



تجربة حزب العدالة والتنمية في الحكم

برهان الدين ضوران
علي أصلان - رمضان يلدرم

حق العودة: المستقبل الوحيد لفلسطين سلمان أبو ستة*

ملخص: يعيش العالم منذ 7 أكتوبر 2023، وطأة الصراع العنيف المستمر في غزة الذي أدى إلى خسارة مأساوية لعدد لا يحصى من الأرواح البريئة. والفهم الشامل للوضع الحالي في غزة يحتاج إلى الخوض في جذوره التاريخية. والدراسة التي بين أيدينا تقدم فحصاً نقدياً دقيقاً للنكبة الفلسطينية والصراع الإسرائيلي الفلسطيني المستمر، وتسلط الضوء على التداعيات العميقة والدائمة للأحداث التاريخية، مثل وعد بلفور، والانتداب البريطاني على فلسطين، والنزوح العميق، ومعاناة السكان الفلسطينيين. علاوة على ذلك، تدعو هذه الدراسة إلى الحق الأساسي للاجئين الفلسطينيين في العودة إلى وطنهم، وتقديمه على أنه عنصر محوري في الطريق نحو حل الصراع والسلام الدائم. وأخيراً، تتناول الأدوار التي تؤديها القوى الدولية وسياساتها، وتسلط الضوء على تأثيرها في استمرارية الصراع.

الكلمات المفتاحية: النكبة الفلسطينية، الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، التهجير، وعد بلفور.

*هيئة أرض
فلسطين، المملكة
المتحدة.

Right of return: The only future for Palestine

SALMAN ABU SITTA*

ORCID NO :0009-0003-1435-095X

ABSTRACT: Since the October 7, 2023, the world has been deeply affected by the ongoing conflict in Gaza, resulting in the tragic loss of countless innocent lives. To gain a comprehensive understanding of the current situation in Gaza, it is imperative to delve into its historical roots. This commentary offers a meticulous and critical examination of the Palestinian Nakba and the enduring Israeli-Palestinian conflict. It underscores the profound and lasting repercussions of historical events such as the Balfour Declaration and the British Mandate on Palestine, shedding light on the profound displacement and suffering endured by the Palestinian population. Furthermore, this commentary advocates for the fundamental right of Palestinian refugees to return to their homeland, presenting it as a pivotal element in the path towards conflict resolution and lasting peace. Lastly, it scrutinizes the roles played by international powers and their policies, highlighting their impact on perpetuating the conflict.

Keywords: Palestinian Nakba, Israeli-Palestinian conflict, displacement, Balfour Declaration.

*Palestine Land
Society, United
Kingdom.

رئيسة فريكية
2024-(1/13)
71 - 92

المدخل:

النكبة الفلسطينية ليس لها مثيل في التاريخ. هذه حقيقة لا يمكن إنكارها، لكنها خافية على العالم الغربي. وإخفاء هذه الحقيقة جريمة بموجب القانون الدولي. من الأهمية بمكان في هذا السياق، دراسة الحقائق للحصول على فهم شامل لهذه القضية. بدايةً، قام جيش أجنبي من أوروبا بغزو فلسطين في أواخر عام 1910، واحتلّ أرض فلسطين بقوة السلاح من خلال سلسلة من المجازر، وجرى تفرغها من أهلها بتهجيرهم إلى مخيمات اللاجئين. ثانيًا، بدأت أعمال طمس معالم فلسطين المادية والثقافية بشكل منهجي، وجرى الاستيلاء على جغرافيتها، وإعادة تسميتها بشكل وهمي من قبل الغزاة، وجرى مسح تاريخها من جميع السجلات، واستبدال نسخة أسطورية بها، وجرى مصادرة تراثها بوصفه ملكًا للغزاة. ثالثًا، دأبت الطائرات والدبابات والمدفعية الإسرائيلية على قصف الضحايا في مخيمات اللاجئين وفي كل مكان على مدى الأعوام الخمسة والسبعين الماضية.

استقبل العالم الغربي تدمير فلسطين وتشتت شعبها بوصفه عملاً معجزاً من الله وانتصاراً للقلة الصالحة على الكثرة المتوحشة. فهذه المأساة التي تتكشف يوماً بعد يوم في فلسطين جاءت وفق خطة مدروسة خارج بلادنا، ونُفذت بدقة في ظل إشراف القوى الاستعمارية التي خلقت المأساة ودعمها في المقام الأول. وهذه المأساة لم تقع في عصر القوس والسهم في قارة بعيدة عن وعي العالم، بل في عصر الكاميرا والتلفزيون، في عصر الأمم المتحدة التي تبنى القانون الدولي وتزعم حراسته وسدنته، في قلب العالم العربي والإسلامي القديم.

لم يقتصر الأمر على ذلك، بل جرى إسكات صرخات الضحايا، وتجاهلها، وتأطير المطالبات بالعدالة على أنها أعمال كراهية، وعاقبت المحاكم الاستعمارية قول الحقيقة والتحدث نيابة عن الضحايا، وعدّتها أفعالاً إجرامية. والحقيقة باختصار، أننا أمام مشهد ليس له مثيل في التاريخ.

الحرب العالمية الأولى وخطاب بلفور في 67 كلمة:

كانت فلسطين جزءاً لا يتجزأ من تاريخ بلاد الشام قبل العصر المسيحي وفي أثنائه. في القرن السابع، أصبحت جزءاً من الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين، ثم الأمويين والعباسيين، ثم خضعت فترة وجيزة للحروب الصليبية، ثم تعاقب عليها حكام المماليك، حتى دخلت في حكم العثمانيين الذي امتد 400 عام (1517-1917). وانتهى

هذا الحكم في الحرب العالمية الأولى عندما خسر العثمانيون الحرب، وسقطت معظم الدول العربية تحت الحكم الاستعماري الأوروبي. وفي كل هذا التاريخ، لم تكن فلسطين منفصلة عن سوريا أو مصر، بل تشكل معها وحدة في الناس والثقافة والدين.

كان عدد سكان فلسطين (1914-1915) في بداية الحرب العالمية الأولى تبعاً للسجلات العثمانية، 722.143 نسمة، منهم 602.377 مسلماً، و81.012 مسيحياً، و38.754 يهودياً¹. وكان ثلث اليهود تقريباً من الرعايا العثمانيين، والباقيون من المهاجرين الأوروبيين الجدد. وكانت أوروبا في الواقع تتبنى خطة سرية لاستعمار فلسطين، وإخراج شعبها الفلسطيني من تراثه، بالطرد أو المذابح. وخلقوا أسطورة «فلسطين أرض بلا شعب لشعب بلا أرض». وكانت الأسطورة في الواقع خطة لإخلاء فلسطين من أهلها.

وجدت هذه الخطة حليفاً مهماً لدى الانتهازي آرثر جيمس بلفور، وزير الخارجية البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى. في عام 1916، كان بلفور جزءاً من مخطط كبير لخداع العرب بأنهم سيتحررون من الحكم العثماني إذا انضموا إليه في طرد الأتراك من المقاطعات العربية.

اقتنع العرب بتأكيداته، وانضموا إلى بلفور. وقامت طائرات الحلفاء بتوزيع منشورات على الأراضي العربية، تكرر فيها هذه تعهدات بلفور. في الوقت نفسه، كان مارك سايكس المقرب من بلفور، والدبلوماسي الفرنسي جورج بيكو، منعزلين في غرفة ذات إضاءة خافتة، يفتحان خريطة الشرق الأوسط على الطاولة، ويتقاسمان المنطقة العربية فيما بينهما، ويناقشان ترسيم حدود فلسطين وسوريا ولبنان والعراق.

كان البريطانيون والفرنسيون يتنازعون حول غنائم الحرب على جسد الأمة العربية. وكانت مناورات بلفور مدفوعة بالتطلعات الصهيونية التي أرادت انتزاع المزيد من الأراضي والمزيد من المياه في فلسطين، بشرط ألا يكون فيها بشر. وأرادوا فلسطين فارغة. ومع ذلك، لم تكن فارغة، وكانت غنية وخصبة وممتلئة بشعبها. وكان فيها 1200 مدينة وقرية قديمة.

وفي السابعة مساء يوم الأربعاء 31 أكتوبر 1917، استولت القوات البريطانية على بئر السبع. وكان هذا أول انتصار بريطاني في الحرب العالمية الأولى، بعد الهزائم في غزة، والكويت في العراق، وغاليبولي في تركيا. في صباح اليوم التالي، الأول من نوفمبر، أرسل اللّبي برقية إلى لندن يقول فيها: «بئر السبع في أيدينا، وستكون القدس هدية عيد الميلاد الخاصة بك». في 2 نوفمبر 1917، تلقى بلفور برقية من اللّبي، وبادر إلى إعلان ما أصبح

يُعرّف بوعد بلفور. وقد خرج هذا الإعلان من اتفاق بينه وبين أثرياء اليهود الأوروبيين، حيث جاء فيه ما يأتي:

«تنظر حكومة صاحب الجلالة بعين العطف إلى إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في أي بلد آخر»².

ومنذ ذلك الحين، انقضت 106 سنوات، شهد فيها الفلسطينيون 106 سنوات من الموت والدمار. وكان وعد بلفور وعد من لا يملك لمن لا حق له، بالتنازل عن أملاك أصحابها الشرعيين الغائبين. وبالفعل كان بلفور على علم تام بهذه النتيجة. وعندما سُئل بلفور في نوفمبر 1918 عن ظلم إعلانه، قال:

«في فلسطين لا نقترح حتى الذهاب إلى شكل من أشكال التشاور مع رغبات سكان البلاد الحاليين. القوى العظمى الأربع ملتزمة بالصهيونية. والصهيونية، سواء كانت صحيحة أم خاطئة، جيدة أم سيئة، هي متجذرة في تقاليد قديمة، في الاحتياجات الحالية، وفي الآمال المستقبلية. فهي ذات أهمية أعمق بكثير من رغبات 700000 عربي يسكنون الآن تلك الأرض العريقة»³.

وفي مناسبة أخرى، وصف بلفور هؤلاء العرب بأنهم «قبائل سوداء همجية وغير متطورة وغير منظمة». وبقوله هذا، تعلم بلفور جيداً تعاليم معلمه وصديقه حاييم وايزمن، زعيم الحركة الصهيونية في طور التشكل. وبالفعل، في رسالة من وايزمان إلى بلفور يخبره فيها في 30 مايو 1918، أن «العربي خائن... ذكي ظاهرياً، يعبد شيئاً واحداً فقط: القوة والنجاح... غير أمين، غير متعلم، جشع، غير فعال، ماهر...»⁴.

بلفور نفسه لم يكن خالياً من المشاعر «المعادية للسامية» تجاه اليهود. في مقدمة كتاب تاريخ الصهيونية لسوكولوف، كتب بلفور أنه «[كان] مسعى جاداً للتخفيف من المآسي التي طال أمدتها والتي خلقتها الحضارة الغربية من خلال وجود جسم غريب [أي اليهود] في وسطها... غير قادر على طرده أو استيعابه». وفي عام 1905، أصدر بلفور قانون الأجانب، الذي منع اليهود من الهجرة إلى إنكلترا. ووجد أنه من المفيد التخلص من اليهود من خلال زرعهم في الدول العربية؛ ليكونوا بمثابة قاعدة إمبريالية غربية له.

”هربت صموئيل والانتداب البريطاني:“

أنشأ صموئيل مؤسسات
يهودية منفصلة للتعليم
والبنوك والسلطة والأشغال
العامة ووضع قوانين لمصلحة
المهاجرين الأوروبيين اليهود
مثل تشريعات المواطنة
“

في عام 1920، بعد ثلاث سنوات من الوعد
سبب السمعة، عهد بلفور بإدارة فلسطين إلى
اليهودي الصهيوني هربرت صموئيل، بموجب
نظام الانتداب من عصبة الأمم. كان صموئيل هو
الشخص نفسه الذي قدّم قبل بضع سنوات ورقة

للحكومة البريطانية لاستعمار فلسطين. وبموجب سلطاته بصفته المندوب السامي الأول
لفلسطين، بدأ صموئيل بتنفيذ السياسة الصهيونية المتمثلة في الاستيلاء على فلسطين
تحت حماية وعد بلفور المكون من 67 كلمة. كان الانتداب على فلسطين يتضمن الوعد
الذي قطعه بلفور للحركة الصهيونية ويتوسع فيه. علاوة على ذلك، كان هذا هو الانتداب
الوحيد الذي أيدت فيه عصبة الأمم المشروع الاستعماري الاستيطاني، وهو القرار الذي
كررتة الأمم المتحدة، ولو من خلال التقسيم، بعد حوالي عقدين ونصف من الزمن.

لم تكن جميع الإجراءات التي اتخذها صموئيل مصرحاً بها بموجب شروط الانتداب.
لكن عصبة الأمم لم تصادق على الانتداب إلا في 24 يوليو 1922، أي بعد عامين من تعيينه.
لكن الانتداب لم يكن يكتسب شكله القانوني الصحيح بالكامل قبل أغسطس 1924 في
لوزان، عندما وقّعت تركيا اتفاقية سلام مع القوى المتحالفة. وهكذا أدى التعيين المبكر
لصموئيل إلى خلق مخالفة قانونية، استخدمها لمصلحة الحركة الصهيونية. وكان ذلك
قبل أن تبدأ لجنة الانتداب الدائمة، وهي الهيئة الرقابية، عملها. وهكذا، تمكن صموئيل
من تنفيذ عمله بدون قلق من مراقبة عمله من قبل لجنة الانتداب الدائمة، على الرغم من
أن هذه اللجنة أصبحت لاحقاً تشارك صموئيل في تأييد الصهيونية.

في السنوات الخمس من ولايته، من عام 1920 إلى عام 1925، أصدر صموئيل حوالي
100 قانون، أسست هذه القوانين بشكل أساسي «إسرائيل»، في انتظار الإعلان عنها بعد
28 عاماً. أنشأ صموئيل مؤسسات يهودية منفصلة للتعليم والبنوك والسلطة والأشغال
العامة. علاوة على ذلك، وضع قوانين لمصلحة المهاجرين الأوروبيين اليهود الذين لم
يصلوا بعد، مثل تشريعات المواطنة والأراضي التي مكّنت من الاستعمار، وكم ثمّ نزع
الملكية والتهجير. وكان الأمر الأكثر أهمية هو تشكيل مجلس تشريعي يهودي وجيش
يهودي جنيني. وحُرم الفلسطينيون أبناء الوطن، بالمقابل، من إنشاء مؤسساتهم. ونتيجة
لهذه السياسات خلال فترة حكم هربرت صموئيل، ارتفعت الهجرة من 5514 في عام
1920 إلى 33801 في عام 1925، وهو العام الذي غادر فيه منصبه.

ثورة 1936-1939:

بدأ العديد من المسؤولين البريطانيين يدركون بوضوح أن الانتداب خلق وضعاً مستحيلاً حيث حاول هؤلاء المسؤولون دون جدوى، التوفيق بين الالتزام القانوني بمساعدة الفلسطينيين في بناء فلسطين المستقلة والوعد السياسي المعاكس ببناء وطن قوميٍّ يهوديٍّ على الأرض نفسها. ثار الفلسطينيون في عامي 1921 و1929، لكن الثورة الكبرى كانت في (1936-1939). وكان سبب هذه الثورة هو الهجرة اليهودية الجماعية من أوروبا في منتصف الثلاثينيات. وبحلول عام 1939، زاد عدد المهاجرين اليهود ثمانين مرات مقارنة بعام 1917، وهو عام الاحتلال البريطاني لفلسطين. في عام 1939، كانوا يشكلون 30 % من إجمالي السكان (445.000 من أصل 1.501.000). وفي ظل تزايد المقاومة الفلسطينية، تبنت الإدارة البريطانية إجراءات وحشية على نحو متزايد لقمع الثورة. وفي هذه الفترة، قبل الحرب العالمية الثانية مباشرة، قامت حكومة الانتداب البريطاني بتدمير نسيج المجتمع الفلسطيني وجعلته فريسة سهلة للغزو الإسرائيلي لفلسطين الذي كان سيأتي في عام 1948.

قامت حكومة الانتداب بحل جميع الأحزاب السياسية الفلسطينية، وسجنت قادتها أو فروا من البلاد. واستخدمت تعزيزات جديدة للجيش البريطاني، وقام سلاح الجو الملكي بإلقاء القنابل على القرى، وهدمت المنازل واستهدفت المؤن، وأودع الرجال الأصحاء في المعتقلات وتم تطبيق العقاب الجماعي. أدت المحاكمات السريعة إلى التنفيذ السريع، وكانت حيازة مسدس بسيط تؤدي إلى الحكم بالإعدام، كما أدت حيازة سكين إلى السجن المؤبد، وأعدم البريطانيون الزعيم الشيخ فرحان السعدي البالغ من العمر 80 عاماً، وجرى شنقه وهو صائم في شهر رمضان في 22 نوفمبر 1937.

بحلول عام 1939، كان المجتمع الفلسطيني مدمراً تماماً. والصهاينة يراقبون البريطانيين من جانب، ويؤسسون جيشهم تحت إمرتهم بقوام 20 ألف جندي، وسرعان ما يتضاعف فيما بعد إلى ستة أضعاف. قامت القوات البريطانية بتدريب الميليشيات اليهودية، وأنشأت وحدات النخبة المعروفة باسم SNS (الفرقة الليلية الخاصة)، وأعطتهم الزي الرسمي، وشاركت معهم المعلومات الاستخبارية. وساعد البريطانيون في إنشاء الهاغاناه، جيش «إسرائيل» المستقبلي. وتمكن هذا الجيش من تقليد الوحشية البريطانية وصقلها إلى حد كبير في العصر الحديث.

كانت غيوم الحرب العالمية الثانية تلوح في الأفق عندما اضطرت بريطانيا العظمى في نهاية المطاف إلى إعادة النظر في نهجها الصارم تجاه العرب؛ لكسب دعمهم في



المجهود الحربي. لكن هذا الكسب كان قليلاً جداً ومتأخراً جداً. وكان الصهاينة بقيادة دافيد بن غوريون، يستعدون للاستيلاء على فلسطين. اجتمع أربع مئة من القادة الصهاينة في بيلتمور (الولايات المتحدة) في مايو 1942، حيث أعلن بن غوريون عن الخطة الصهيونية «لتأسيس فلسطين كومنولثاً يهودياً». وأنشأ الصهاينة «ملفات القرى» لتوثيق كل ما يتعلق بكل قرية استعداداً للهجوم والاستيلاء عليها.

في عام 1944، كان التقدير الموثوق للمساحة الرسمية التي استحوذ عليها اليهود في فترة الانتداب (1920-1944) هو 927,165 دونماً [الدونم = 1000م²]، (في عام 1944). كانت الأراضي التي استحوذ عليها اليهود في الفترة العثمانية صغيرة جداً. وكان الرقم النهائي للملكية اليهودية في فلسطين عشية إنشاء دولة «إسرائيل» هو 1,429,062 دونماً، على افتراض أن الملكية المزعومة في الفترة العثمانية البالغة 454,860 دونماً صحيحة. ومن ثم كانت المساحة المتبقية من كامل مساحة فلسطين الرسمية البالغة 26,323,000 دونماً، هي أرض عربية فلسطينية، وتبلغ 24,893,937 دونماً. والحقيقة أن موقع الأرض اليهودية، وليس مساحتها، هو في غاية الأهمية، حيث تقع في الجزء الساحلي الأكثر خصوبة من فلسطين وعلى طول نهر الأردن، وتتمتع بالتالي بموارد مائية وفيرة.

الحرب العالمية الثانية والإرهاب والغزو في أبريل 1948:

في نهاية الحرب العالمية الثانية، كافأ الصهاينة بريطانيا التي دعمت الحركة الاستعمارية الاستيطانية، ببدء حملة إرهابية ضد المحسنين السابقين لهم. فبادروا إلى قصف المقر البريطاني في القدس، وشنقوا جنوداً بريطانيين، وخطفوا قضاة بريطانيين، فاضطرت بريطانيا إلى إرسال الفرقة السادسة المحمولة جواً إلى فلسطين لمحاربة الإرهاب الصهيوني في عام 1945. لكن الهدف لم يكن إنقاذ فلسطين، بل إنقاذ الجنود البريطانيين. بعد حوالي ثلاث سنوات، وبعد عدة أشهر من حرب عام 1948، اغتال الصهاينة الكونت فولك برنادوت، وسيط الأمم المتحدة المعين لإحلال السلام في فلسطين. ووصف مجلس الأمن (القرار 57 الصادر في 18 سبتمبر 1948) عملية الاغتيال الصهيونية بأنها عمل إرهابي جبان.

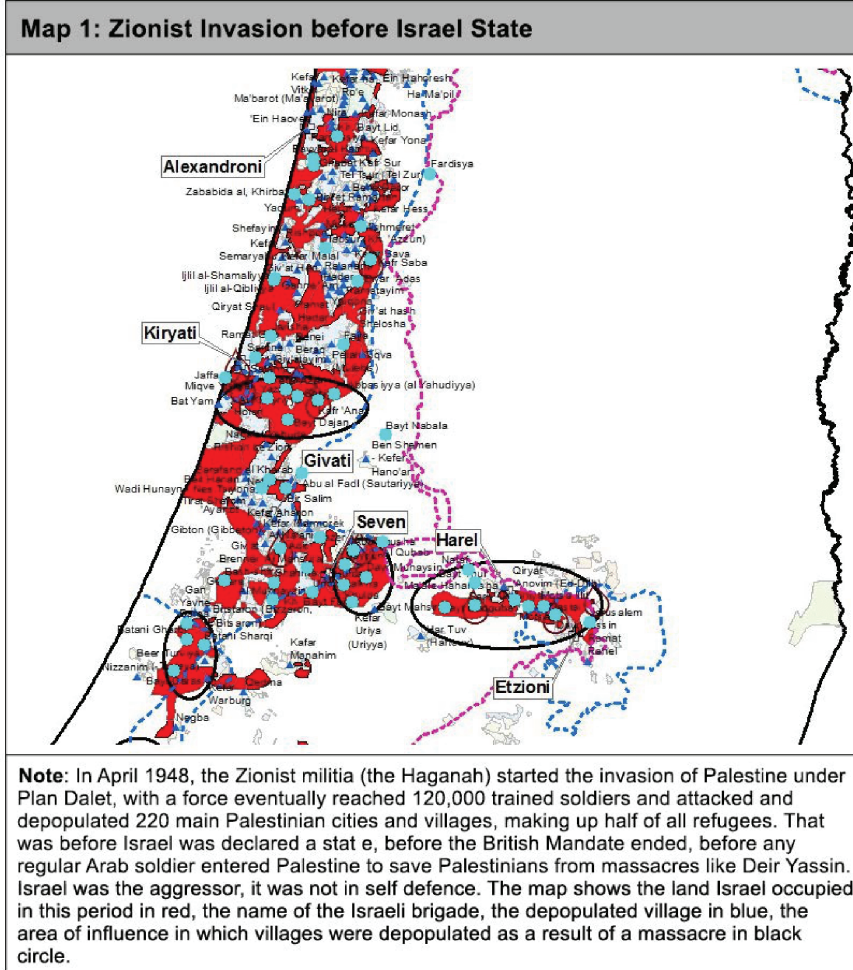
وتحت ضغط الولايات المتحدة ودعم الدول الغربية، أصدرت الأمم المتحدة قراراً غير ملزم (القرار 181، 29 نوفمبر 1947) لمصلحة تقسيم فلسطين إلى دول عربية (فلسطينية) ويهودية (مهاجرة). واقترح هذا القرار أن تكون 55% من فلسطين تحت حكم

حكومة المهاجرين اليهود، في حين أن ملكيتهم في ظل الانتداب البريطاني كانت 6٪ فقط. علاوة على ذلك، كان نصف سكان الدولة اليهودية المحتملة من الفلسطينيين. وكانت الدولة اليهودية المقترنة تضم 174 مستوطنة يهودية، مقارنة بـ 467 قرية عربية فلسطينية وثلاث مدن. وعلى العكس من ذلك، لن تكون لدى الدولة العربية سوى عدد قليل من اليهود (حوالي 8000). والقدس، المعينة لتكون كياناً دولياً منفصلاً (corpus separatum)، سيكون فيها عدد متساوٍ من اليهود والفلسطينيين.

وبطبيعة الحال رفضه الفلسطينيون، وقبله اليهود إجراء مؤقتاً. وبعد فترة وجيزة، في أبريل 1948، بدأت الميليشيات اليهودية المعروفة باسم الهاغاناه، بعملية الخطة (د) في غزو بقية فلسطين، وإخلائها من السكان، بقتلهم وطردهم وتدمير قراهم. دعت الخطة (د) في تفصيلاتها إلى "تطويق القرى وتفتيشها، والقضاء على القوات المسلحة وطرد السكان خارج حدود الدولة في حال وجود مقاومة"⁵. وفي المدن، دعت الخطة إلى "احتلال جميع الأحياء العربية المعزولة، والسيطرة عليها [و] تطويق المناطق البلدية العربية، ووقف خدماتها الحيوية (المياه والكهرباء والوقود وغيرها). وفي حالة المقاومة سيتم طرد السكان". ودعت الخطة إلى «تدمير القرى (إشعال النار وتفجير وزرع الألغام في أنقاضها)» لمنع عودة اللاجئين.

وفي الأسابيع الستة المتبقية من الانتداب، هاجم الصهاينة 220 قرية فلسطينية، وفي مقدمتها وأشهرها دير ياسين، وارتكبوا فيها المجازر وأخلوها من سكانها. كما يتبين من الخريطة 1، في أبريل 1948، بدأت الميليشيا الصهيونية (الهاغاناه) غزو فلسطين بموجب الخطة (د) بقوة، ووصلت في النهاية إلى 120 ألف جندي مدرب، وهاجمت وأخلت 220 مدينة وقرية فلسطينية رئيسة؛ أي ما يشكل نصف إجمالي اللاجئين. كان ذلك قبل إعلان دولة «إسرائيل»، وقبل إنهاء الانتداب البريطاني، وقبل أن يدخل أي جندي عربي نظامي فلسطين لإنقاذ الفلسطينيين من مذابح مثل مذابح دير ياسين. كانت «إسرائيل» هي المعتدية. ولم يكن ذلك دفاعاً عن النفس. وتظهر الخريطة الأراضي التي احتلتها «إسرائيل» في هذه الفترة باللون الأحمر، واسم اللواء الإسرائيلي، والقرية المهجورة باللون الأزرق، ومنطقة النفوذ التي جرى تهجير القرى فيها نتيجة المجازر في الدائرة السوداء. وفي هذه المرحلة، وخلافاً لواجبها، لم تقم قوات الانتداب البريطاني بحماية الفلسطينيين من المجازر والطرد. ولم تسمح للقوات العربية النظامية بالدخول إلى فلسطين لحماية الفلسطينيين من المجازر.

الخريطة 1: الغزو الصهيوني قبل دولة إسرائيل



المصدر: أبو ستة، هيئة أرض فلسطين.

بحلول منتصف مايو 1948، كانت القوات الصهيونية قد طردت السكان الفلسطينيين من المدن الرئيسية و220 قرية، واحتلت ما يقرب من 3500 كيلومتر مربع من الأراضي، أو 13 ٪ من فلسطين، أي بزيادة قدرها 2000 كيلومتر مربع عن الأراضي التي كانت تسيطر عليها سابقاً.

النكبة:

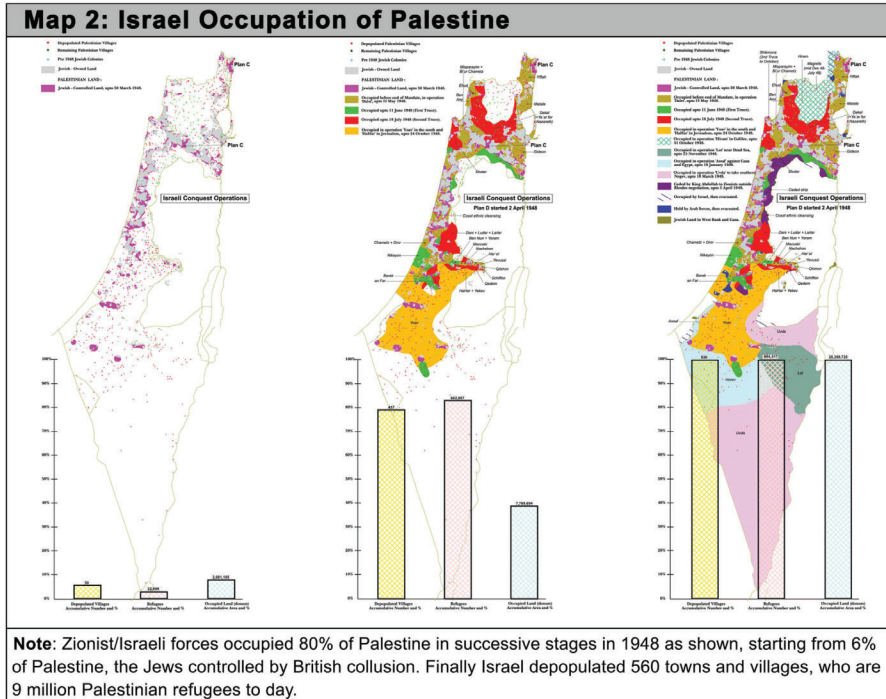
شكلت الهاغاناه ما أصبح يُعرف باسم قوات الدفاع الإسرائيلية (IDF). وكانت تتألف



من 120 ألف جندي، كثير منهم من قدامى المحاربين في الحرب العالمية الثانية. وبدؤوا غزو فلسطين على نطاق واسع في أبريل 1948، واستمر بعد إعلان دولة «إسرائيل» في 14 مايو 1948، حتى بداية عام 1949، حيث جرى توقيع اتفاقيات الهدنة مع مصر والأردن ولبنان وسوريا. جاءت هذه الدول العربية لإنقاذ الفلسطينيين من المجازر التي ارتكبتها اليهود، لكنها لم تكن مستعدة، وعملت تحت أوامر مختلفة.

تبين الخريطة ذات الرقم (2) تقدّم الغزو الصهيوني لفلسطين، حيث نفذ الجيش الصهيوني / الإسرائيلي 31 عملية عسكرية لاحتلال فلسطين. وكما يتبين، فقد احتلت القوات الصهيونية / الإسرائيلية 80 ٪ من فلسطين على مراحل متتالية عام 1948، بدءًا من 6 ٪ من فلسطين، التي كان اليهود يسيطرون عليها بالتواطؤ مع الإنكليز. وأخيرًا، قامت «إسرائيل» بإخلاء 560 بلدة وقرية، كان يمكن أن يعيش فيها 9 ملايين لاجئ فلسطيني اليوم.

الخريطة 2: احتلال «إسرائيل» لفلسطين



المصدر: أبو ستة، هيئة أرض فلسطين.

علاوة على ذلك، يبين الجدول 1 عددًا تقريبياً لأنواع مختلفة من جرائم الحرب التي ارتكبتها «إسرائيل» في الفترة (1947-1953)، كما هو مشار إليه بالتفصيل في أطلس فلسطين (1917-1966). يورد الجدول 356 جريمة حرب، منها 156 من المجازر والفظائع وحالات قتل مدنيين. وفي المجمل، جرى إخلاء 530 بلدة وقرية من سكانها، وأصبح 900 ألف فلسطيني، أو ثلثي مجموع السكان، لاجئين⁶.

الجدول 1: جرائم الحرب الإسرائيلية

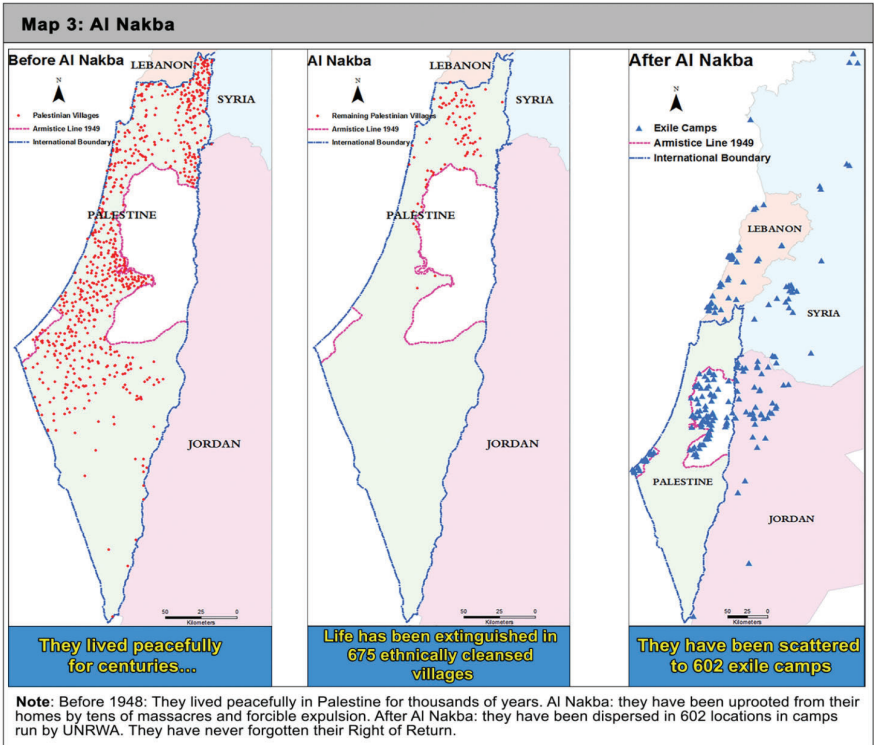
الرمز	توضيح	العدد المسجل
1	الطرد وهروب السكان	15
2	قتل الناس، الفظائع، المجازر	159
3	النهب والسلب	15

124	تدمير المنازل والقرى	4
7	معسكرات الاحتجاز والعمل القسري	5
18	سوء المعاملة، المجاعة، الاغتصاب	6
2	المعاناة بعد الطرد بصفة لاجئ	7
16	مخالفات أخرى	8
356	ملاحظة: هذه الأرقام ليست شاملة	المجموع

المصدر: أبو ستة، أطلس فلسطين 1917-1966.

ونتيجة لذلك، قامت «إسرائيل» بقوتها العسكرية باحتلال مساحة 20500 كيلومتر مربع، أو حوالي 80 ٪ من مساحة فلسطين، مخالفة بذلك العديد من قرارات الأمم المتحدة. تمثل الخرائط الثلاث أدناه مراحل النكبة قبل وبعد عام 1948 (الخريطة 3).

الخريطة 3: مراحل النكبة



المصدر: أبو ستة، هيئة أرض فلسطين.

ليس لدى «إسرائيل» حدود معترف بها، لا باعترافها ولا بموجب القانون الدولي. الحدود الحالية هي مجرد خطوط الهدنة لاتفاقيات 1949. ووفقاً لهذه الاتفاقيات، فإن هذه الخطوط ليست حدوداً. تنص اتفاقية الهدنة على أن خطوط الهدنة لا تمنح أو تنكر حقوق أي من المطالبين. وحتى اليوم، رفضت «إسرائيل» تحديد حدودها. والغرض منه هو احتلال المزيد من الأراضي الفلسطينية والعربية والمطالبة بها، كما حدث بعد عام 1967 في الضفة الغربية ومرتفعات الجولان وجنوب لبنان. وفي وقت كتابة هذا التقرير، شنت «إسرائيل» حرباً أخرى على قطاع غزة لإعادة احتلال الأرض والاستيلاء عليها وطرده السكان أو تدميرهم.

نكبة مستمرة: الاعتداء على اللاجئين في المخيمات

لم يتوقف التطهير العرقي في عام 1948. إذ هاجمت «إسرائيل» اللاجئين الفلسطينيين في مخيماتهم في المنفى، أينما كانوا، طوال السنوات الخمس والسبعين الماضية، بهدف القضاء عليهم في عمليات إبادة جماعية كاملة. إن ظاهرة مطاردة اللاجئين ومهاجرتهم، حتى في منفاهم، هي ظاهرة فريدة من نوعها في تاريخ التطهير العرقي. وما يأتي يوضح هذا. تعرض اللاجئون الفلسطينيون للهجوم في مخيمات غزة والضفة الغربية والأردن ولبنان وسوريا. وتصف التقارير السنوية لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا) مثل هذه الهجمات بحسب التوقيت. في السنوات الأولى: قُتل القرويون في قرية والبريج عام 1953، وارتكبت مجازر في خان يونس ورفع عام 1956. وبعد ذلك، نُفذت الهجمات في وادي الأردن في أثناء حرب عام 1967، وفي غزة عام 1971، وفي لبنان من أوائل السبعينيات، بما في ذلك مجازر صبرا وشاتيلا عام 1982، في الانتفاضتين الأولى (1987) والثانية (2000)، في الضفة الغربية وقطاع غزة. ويخضع قطاع غزة لحصار إسرائيلي كامل منذ عام 2005.

ازداد عدد الفلسطينيين النازحين ومستوى الدمار بشكل كبير داخل غزة، في أعقاب كل هجوم إسرائيلي كبير على غزة منذ (2008-2009). على سبيل المثال، جرى تهجير حوالي 50.000 شخص، ولحق الضرر أو التدمير بحوالي 60.000 منزل في 2008-2009. كما نزح ما يقرب من نصف مليون شخص في عام 2014، وتضرر أو دُمّر نحو 100 ألف منزل. وحتى وقت كتابة هذا التقرير (نوفمبر 2023)، كانت

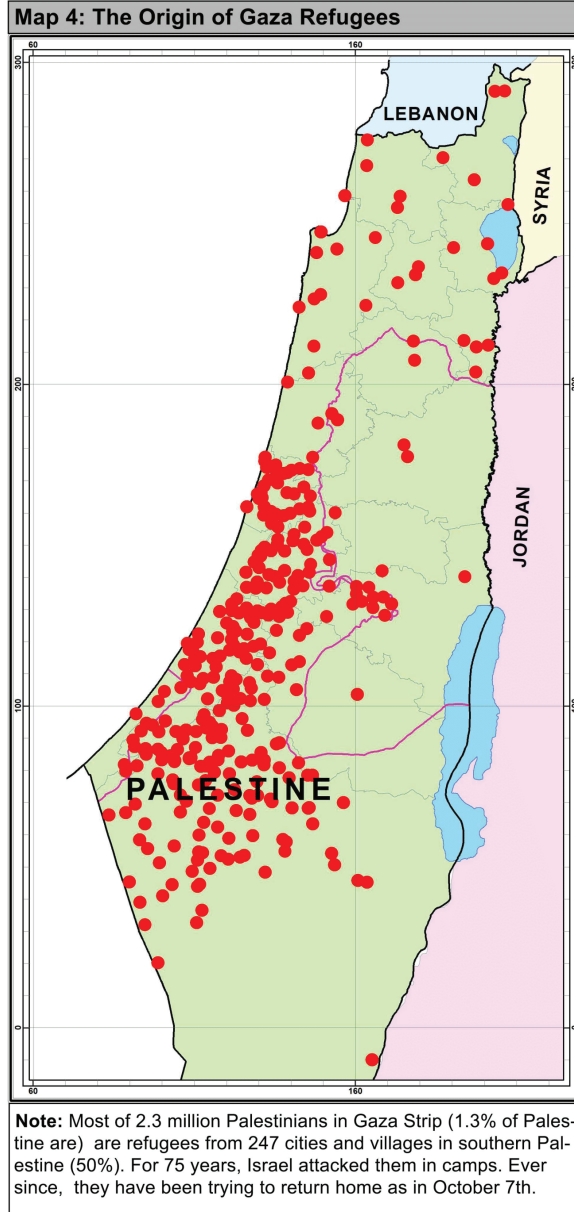


«إسرائيل» قد قتلت 15.000 فلسطيني، وما يزال 4000 في عداد المفقودين تحت الأنقاض، ودمّرت ما لا يقل عن 56.000 وحدة سكنية، وأسقطت قنابل على قطاع غزة الصغير في 46 يومًا أكثر مما أسقط على أفغانستان في 20 عامًا، وستظل الوحشية الإسرائيلية واضحة في تاريخها.

من هم لاجئو قطاع غزة اليوم؟

ينحدر 2.3 مليون فلسطيني يقيمون في قطاع غزة (1,3٪ من فلسطين) اليوم، من 247 قرية في النصف الجنوبي من البلاد قبل أن تطردهم «إسرائيل» عام 1948 (الخريطة 4). وهم محتجزون على شكل رهائن في قطاع غزة منذ ذلك الحين، محرومين من حق العودة إلى منازلهم وأراضيهم وقراهم.

الخريطة 4: جذور لاجئي غزة



المصدر: أبو ستة، هيئة أرض فلسطين.

عبر شبان من الجيل الثالث من اللاجئين، السياج الهائل في 7 أكتوبر للعودة إلى

ديارهم. المنزل على مرمى البصر. يمكنهم، بكل معنى الكلمة، العودة إلى المنزل. وفي المنطقة الجنوبية من فلسطين، حيث ينحدر اللاجئون من غزة، يوجد حاليًا حوالي 150 ألف مستوطن يهودي، يقيمون في 212 مستعمرة أنشئت بعد حرب عام 1948. ويحمل العديد من هؤلاء المستوطنين جنسية مزدوجة، معظمهم من أوروبا الشرقية. وهم المعتدون الذين يحتلون أرض اللاجئين. وبالمقارنة، فإن عدد المستوطنين في جنوب البلاد أقل من عدد سكان مخيم واحد للاجئين في غزة. وتبلغ الكثافة السكانية للمستوطنين حوالي 5 أفراد/كم²، مقارنة بكثافة سكانية فلسطينية تبلغ 8,000 فرد/كم² في قطاع غزة.

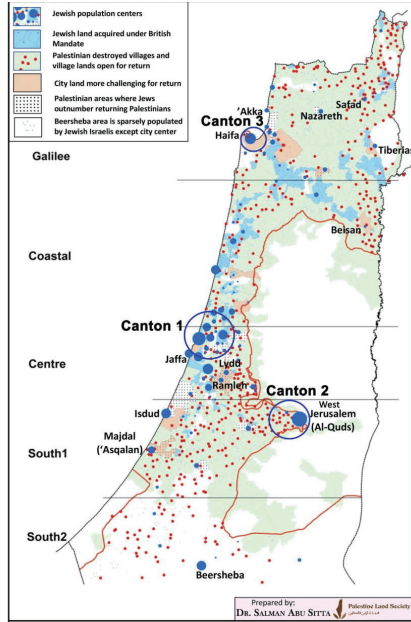
حق العودة:

القرار 194 (1948) الذي ينص على أنه ينبغي السماح للاجئين الراغبين في العودة إلى ديارهم، قد أكدته الجمعية العامة أكثر من 130 مرة، وهو الأطول في تاريخ الأمم المتحدة. ويكرّس القانون الدولي وعدد لا يحصى من الاتفاقيات الدولية (والإقليمية) العودة حقًا أساسيًا. وتشمل هذه الاتفاقيات الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، واتفاقية جنيف الرابعة، والاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري، ونظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، على سبيل المثال لا الحصر. ولم يُسمح للفلسطينيين بالعودة؛ لأن الحركة الصهيونية ودولة «إسرائيل» الاستعمارية الاستيطانية، التي مكّنتها الدول الغربية والولايات المتحدة على وجه الخصوص، بقيت ملتزمة بهدف بناء «إسرائيل» على أنقاض فلسطين.

كيف يمكننا عكس اتجاه التطهير العرقي في فلسطين؟

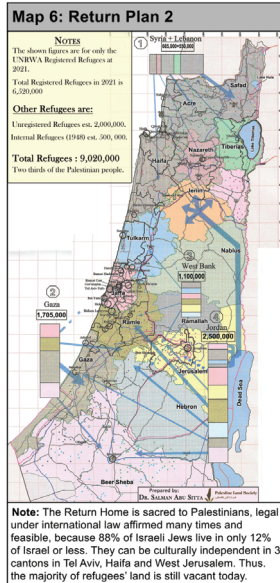
تناولنا مسألة كيفية تنفيذ القانون الدولي. وكما تظهر الخريطة رقم 5، فإننا نعرف مكان وجود اللاجئين وما هي قراهم الأصلية. في دراسة قمنا بها وجد أن 88 ٪ من اليهود الإسرائيليين يعيشون في 12 ٪ فقط من «إسرائيل». وهذا يعني أن معظم الفلسطينيين الريفيين يمكنهم العودة إلى أراضيهم دون تهجير كبير لليهود إذا كانوا يرغبون في البقاء في فلسطين. أراضي اللاجئين يحتلها الآن الكيبوتس الذي يشكل (1-2) ٪ من السكان الإسرائيليين. مساحات واسعة من أراضي اللاجئين في «إسرائيل» ما تزال فارغة أو يستخدمها الجيش لأغراضه (خريطة 6).

الخريطة 5: حق العودة 1



المصدر: أبو ستة، هيئة أرض فلسطين.

الخريطة 6: حق العودة 2



المصدر: أبو ستة، هيئة أرض فلسطين.

يتركز يهود «إسرائيل» في ثلاث كانتونات: تل أبيب، وحيفا، والقدس الغربية. وعلى افتراض أن اليهود يرغبون في العيش بوصفهم مواطنين عاديين، يمكنهم التمتع بالحرية الثقافية والدينية، كما هو الحال في أي بلد آخر. إن الشرط الأساسي للتعايش السلمي هو إلغاء العنصرية والاستعمار والاحتلال والفصل العنصري والصهيونية بشكل كامل.

ماذا علينا أن نفعل؟

علّمت الإبادة الجماعية الأخيرة في غزة العالم العديد من الدروس؛ إذ انكشفت جرائم الصهيونية البشعة أمام العالم للمرة الأولى. وجرى كسر الاحتكار الصهيوني/ الغربي للأخبار وإسكات صوت الضحية. هناك سببان وراء ذلك: النطاق المروع للجرائم الإسرائيلية الواسع الذي لا يمكن إخفاؤه، وقوة وسائل التواصل الاجتماعي بين الشباب. فضلاً عن ذلك فإن شجاعة الفلسطينيين المحصورين والمحرومين في غزة وثباتهم أمام الدبابات والطائرات، وقدرتهم على الوصول إلى العالم - كان سبباً في تحريك ضمائر الناس العاديين في مختلف أنحاء العالم. ولكن هذا يمكن أن يتلاشى مع مرور الوقت، وعلينا جميعاً واجب التغلب على تلاشيهِ. يجب على الأكاديميين أن يسخروا أقلامهم لعرض الحقائق المخفية وكشف جرائم الحرب. يجب على الطلاب والعمال والقطاعات النشطة في المجتمع التظاهر وحث السياسيين على اتخاذ الإجراءات اللازمة. على المجتمع الشط أن يقاطع منتجات مجرمي الحرب. ويجب بذل كل جهد ممكن لإنهاء الإبادة الجماعية في غزة وتقديم المجرمين إلى المحكمة؛ لينالوا العقاب والإنصاف.

إن الناس في غزة، بل وفي فلسطين كلها، بحاجة إلى مساعدة فورية. من يُقتل يُدفن، لكن خلفهم أطفال وأسرى يعانون من المجاعة في ظل الحصار الكامل الذي ما يزال قائماً. يحتاج الأطفال المصابون الذين فقدوا أسرهم إلى قدر كبير من الرعاية حتى يكبروا. ليست الجروح التي تصيب أجسامهم هي التي تحتاج إلى الشفاء فحسب، بل تحتاج صحتهم العقلية أيضاً إلى قدر كبير من الرعاية حتى يتعافوا.

وفوق كل شيء، فإن أولئك الذين أصيبوا أو شردوا والذين عانوا لفترة طويلة يستحقون الحصول على حقهم الثابت في العودة إلى ديارهم والعيش في فلسطين الحرة الديمقراطية. وستكون فلسطين هذه موطناً لأهلها الطبيعيين، مسلمين ومسيحيين ويهوداً غير صهيونيين، كما كانوا من قبل. المبدأ الأساسي هو أن الصهيونية والأيدولوجية والممارسات الأشكنازية، يجب أن تُلغى، تماماً مثل النازية في ألمانيا. وينبغي للفلسطينيين العائدين استعادة جميع ممتلكاتهم المنهوبة والحصول على تعويض عن استخدامها لمدة

75 عامًا وفقًا لقرارات الأمم المتحدة. ولكي تتحقق العدالة بشكل كامل، يجب تقديم جميع مرتكبي جرائم الحرب والإبادة الجماعية إلى المحكمة الجنائية الدولية. كما يجب تسجيل تاريخ جرائمهم وعرضها وتدريسها في المدارس. يجب أن يصبح عالمنا مكانًا أفضل بعد إزالة كل هذا الشر الواضح.

الهوامش والمراجع:

1. Salman H. Abu Sitta, "Palestinian People: Hundred Years of Struggle to Survive," in Habib Tiliouine and Richard J. Estes (eds.), *The State of Social Progress of Islamic Societies*, (Springer Cham: 2016), p. 506.

2. "Balfour Declaration 1917," *The Avalon Project: Documents in Law, History and Diplomacy*, (1917), retrieved from https://avalon.law.yale.edu/20th_century/balfour.asp.

3. Sharif Nashashibi, "Balfour: Britain's Original Sin," *Al Jazeera*, (November 4, 2014), retrieved from <https://www.aljazeera.com/opinions/2014/11/4/balfour-britains-original-sin>.

4. Salman Abu Sitta, "A Palestinian Address to Balfour: In Honor of Truth, Memory, and Justice," *Mondoweiss*, (November 30, 2022), retrieved from <https://mondoweiss.net/2022/11/a-palestinian-address-to-balfour-in-honor-of-truth-memory-and-justice/>.

5. "Explainer: Plan Dalet & The Ethnic Cleansing of Palestine," *Institute for Middle East Understanding*, (March 8, 2023), retrieved from <https://imeu.org/article/explainer-plan-dalet-the-ethnic-cleansing-of-palestine>.

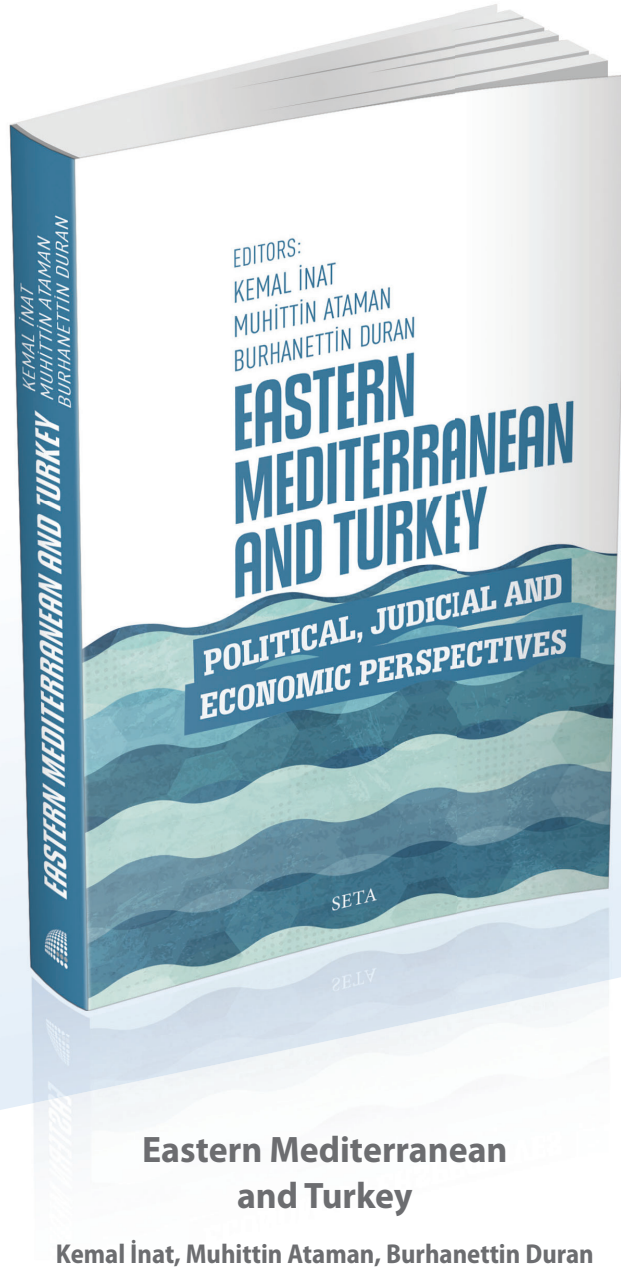
6. الجدول قائمة موجزة لجرائم الحرب كما هي مسجلة في كتب المؤرخين الإسرائيليين والفلسطينيين والدوليين في السنوات الخمس، حوالي عام 1948. القائمة ليست شاملة، ولكنها توضّح النطاق الواسع من الجرائم من حيث العدد والنوع. وهذا يوضح تغيير طبيعة الجريمة من التطهير العرقي، أي إخراج الناس من منازلهم، إلى الإبادة الجماعية الصريحة، أي إبادة الناس نهائياً. ورغم أن «إسرائيل» أنكرت ذلك لسنوات، وبدعم من الغرب، فإن الحرب الأخيرة على غزة كشفت عن حجم الجرائم التي ظلت مخفية لفترة طويلة.

politicstoday.org



Are you concerned with the contemporary world,
where human rights are violated, human dignity is trampled, international
order is indifferent to any principle or value, and the might silences the right?
Then, follow and join **Politics Today** in its endeavor to understand and
analyze the changing nature of international politics.

POLITICS TODAY



Eastern Mediterranean and Turkey

Kemal İnat, Muhittin Ataman, Burhanettin Duran

This book examines the political, legal, and economic dimensions of the Eastern Mediterranean, and brings new insights into the recent developments and Turkey's policy in the region.

الصهيونية المسيحية

شعلة البيرق*

ملخص: يتناول هذا البحث الصهيونية المسيحية في الوقت الذي تُوجَّه سهام النقد إلى الدعم الأمريكي غير المشروط لـ«إسرائيل»، حيث يسلط البحث الضوء على الصهيونية المسيحية وتطورها وخصائصها وموقعها في السياسة الأمريكية، ويشير إلى أن استخدام المقاربة اللاهوتية للصهاينة المسيحيين في السياسة الأمريكية تزايد في الفترة الأخيرة، سواء في قرارات الرئيس السابق ترامب الخاصة بالاعتراف بالقدس عاصمة لـ«إسرائيل» أم في سياسة بايدن الداعمة للإبادة الجماعية التي تقوم بها «إسرائيل» في غزة.

الكلمات المفتاحية: الصهيونية، المسيحية، الإبادة الجماعية، غزة، السياسة الأمريكية.

*جامعة مرمره،
تركيا.

Christian Zionism

ŞULE ALBAYRAK*

ORCID NO :0009-0003-5915-3669

ABSTRACT: The current article deals with Christian Zionism at a time when criticism is directed at America's unconditional support for "Israel." The article sheds light on Christian Zionism, its development, characteristics, and place in American politics. The article points out that the use of the theological approach of Christian Zionists in American politics has increased in The recent period, both in former President Trump's decisions to recognize Jerusalem as the capital of "Israel" as well as Biden's policy of supporting the genocide carried out by "Israel" in Gaza

Keywords: : Zionism, Christianity, genocide, Gaza, American policy.

*Marmara
University,
Türkiye.

رئيسة تركية،
2024-(1/13)
93 - 110

مدخل

الصهيونية المسيحية هي أيديولوجيا استعمارية لاهوتية-سياسية، تقول: إن اليهود جزء مهم في خطة الرب، وإن مؤازرة دولة «إسرائيل» الحديثة تُعدّ فرضاً دينياً. يؤمن الصهيوني المسيحي بأنّ الربّ وهب أرض فلسطين الشعب اليهودي؛ التزاماً بعهدته مع إبراهيم عليه السلام، وأن اليهود هم العرق المختار. وفقاً لأتباع هذه الأيديولوجيا، يُعدّ الدعم غير المشروط لـ«إسرائيل» دينياً واقتصادياً وسياسياً- أمراً إلهياً. وقد نجحت هذه العقيدة المنتشرة بين الأصوليين من البروتستانت الأمريكيين في جذب تأييد العديد من الساسة الأمريكيين، وبذلك نجحت الصهيونية المسيحية في النفوذ في دوائر السياسة الداخلية والخارجية في الولايات المتحدة، وهذا أثار أحياناً العديد من علامات الاستفهام حول العلمانية الأمريكية. وبسبب الأولوية التي يتمتع بها اليهود و«إسرائيل» في السياسة الأمريكية، جادل بعض الكتاب بأن الصهيونية المسيحية قد تحولت إلى ثيوقراطية أمريكية.¹

ظهرت حركة الصهيونية الأمريكية في القرن التاسع عشر ببريطانيا، وانتقلت إلى الولايات المتحدة في منتصف القرن نفسه، وكان تأثيرها الأكبر في المجتمع الأمريكي والسياسة الأمريكية. يشكل المنتسبون إلى هذه الحركة أكبر مجموعة لديها عقيدة مبنية على أساس نبوءات نهاية الزمان، تتمتع بنفوذ في المجتمع الأمريكي.² انتشر مصطلح الصهيونية المسيحية في تسعينيات العقد المنصرم، ويُستخدَم أحياناً على نطاق واسع لتعريف جميع المسيحيين الداعمين لـ«إسرائيل» لأي سبب من الأسباب. وأحياناً أخرى يُستخدَم على نطاق ضيق لتعريف البروتستانت الأصوليين الذين يعطون أولوية لـ«إسرائيل»، ويؤمنون بأحقيتها في الحصول على الدعم السياسي والمالي والديني؛ بسبب مكانتها في تحقيق النبوءات الإنجيلية. أغلب البروتستانت الإنجيليين وجزء من المسيحيين غير الإنجيليين يدعمون «إسرائيل» على الرغم من أنهم غير أصوليين. وعليه، يمكن تعريف الصهيوني المسيحي باختصار على أنه الشخص الذي يؤازر دولة «إسرائيل» الحديثة التي يعدّها وطناً يهودياً انطلاقاً من اعتقاداته ومشاعره.³

يشكل الصهاينة المسيحيون -وهم أقلية قوية ذات أفكار راديكالية- 20٪ من الناخبين الأمريكيين.⁴ حيث يصوّتون عادة للحزب الجمهوري، ويحظون بعلاقات متينة مع المحافظين الجدد.⁵ تشير نتائج البحوث الصادرة عن مركز «بيو» للدراسات أن 64٪ من البروتستانت و82٪ من البروتستانت الإنجيليين البيض في الولايات المتحدة يؤمنون بأن الربّ قد وعد اليهود بأرض فلسطين، بينما لا تتجاوز هذه النسبة

عند اليهود أنفسهم حاز 40٪. أما عن نسبة من يؤمنون بذلك من الأمريكيين بشكل عام فهي 44٪.⁶ ويمكن القول: إن هذه النسبة لم تتغير كثيرًا في الأعوام الأخيرة، وإن دعم «إسرائيل» بين الأمريكيين البروتستانت الإنجيليين ما يزال في مستويات عالية.

يمكن تفسير دعم المجتمع الأمريكي لـ«إسرائيل» من جوانب متنوعة؛ منها أن الولايات المتحدة تحتاج إلى «إسرائيل» لحماية مصالحها في الشرق الأوسط، واحتواء المنطقة على احتياطات ضخمة من النفط. علاوة على ذلك، فالنشاط الكبير للوبيات اليهودية ذات النفوذ في الولايات المتحدة من المسلمات. بالإضافة إلى ما تقدم، ثمة عامل آخر مهم، هو تطور عقيدة تقدّم دعمًا غير مشروط لـ«إسرائيل» في إطار الإيمان البروتستانتي الإنجيلي، وتبني الإدارات الأمريكية والشعب الأمريكي -أكثر المجتمعات الغربية تدينًا- هذه العقيدة.⁷ اكتسب الوجود اليهودي في فلسطين أهمية في القرن التاسع عشر؛ نظرًا لاهتمام الإمبراطورية البريطانية بالبلد في إطار المصالح الإمبريالية؛ بغية ضمان أمن طريق المواصلات إلى مستعمراتها في الهند، وفي القرن العشرين اكتسب هذا الوجود أهمية، ولكن هذه المرة في سياق المصالح الإمبريالية الأمريكية. فاعتنق البروتستانت الأمريكيون الصهيونية المسيحية بوصفها مجموعة من التعاليم الدينية التي تعطي أولوية لليهود. تتناول هذه الدراسة الصهيونية المسيحية التي يعتنقها جزء كبير من الشعب الأمريكي، وتهدف إلى تعرّف هذه العقيدة أكثر؛ إذ لها تداعيات مهمة على مجتمعات المنطقة التي نعيش بها. وفي هذا الصدد، تعالج الدراسة ملابسات ظهور الصهيونية المسيحية ومعتقدات المنتسبين إليها، والكيفية التي توجه بها العقيدة المذكورة السياسات الأمريكية.

تطور الصهيونية المسيحية

قبل نحو نصف قرن من انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول عام 1897، ظهر من يدافعون عن حق اليهود في العودة إلى فلسطين بين البروتستانتين الإنكليز. تطورت فكرة عودة اليهود في القرن التاسع عشر في الدوائر السياسية والدينية الإنكليزية، وتعود جذور هذه الفكرة إلى المذهب التطهيري الذي ظهر بعد حركة الإصلاح الديني.⁸ ولكن هذه الفكرة المأخوذة عن العهد القديم فهمت فترة طويلة على أنها عودة معنوية لليهود -أي اعتناق المسيحية. كان نابليون هو أول سلطة إمبريالية تحدثت عن استقرار اليهود في فلسطين، فيما كانت بريطانيا هي أول قوة استعمارية تتخذ خطوات على طريق تحقيق هذا الهدف في القرن التاسع عشر. ومع صعود الامبريالية البريطانية في القرن المذكور، أخذ مفهوم العودة معناه الحالي ليصبح عودة اليهود إلى أراضي فلسطين. النقطة الأهم

في هذا الصدد هي التوافق بين فكرة توطين اليهود في الأراضي المقدسة والمصالح الاستعمارية البريطانية.⁹ إذ عدّت النخب السياسية البريطانية أن من الضروري توطين اليهود في فلسطين الواقعة حينئذ تحت السيادة العثمانية للتعاون معهم انطلاقاً من أولوية بريطانيا في تأمين طريق المواصلات الإمبراطوري إلى مستعمراتها في الهند. وعليه، على أساس من نقطة تقاطع الاستعمار واللاهوت تلك، تطورت الصهيونية المسيحية بوصفها أيديولوجيا دينية تقدم مصوغات للإمبراطورية البريطانية أولاً، ثم الإمبراطورية الأمريكية. نقلت الجهات الدينية هذه المقاربة الدينية-السياسية إلى الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر، ليتضح بعدها نجاعتها في دعم المصالح الأمريكية.

يأتي اللورد شافتسبري (توفي عام 1885) -وهو من أشهر أرستقراطيي الحقبة الفيكتورية- على رأس الشخصيات التي آمنت بأن إعادة اليهود إلى فلسطين هي وظيفة كلف الرب بها الإمبراطورية الإنكليزية، وبذل في ذلك جهوداً مضنية، من أجل نيل اعتراف بالأفكار الصهيونية لدى الحكومة الإنكليزية. نجح شافتسبري الإنجيلي المتدين في إقناع اللورد بالميرستون -أحد أهم رؤساء الوزراء في هذه الحقبة- بحماية اليهود وتوطينهم في فلسطين.¹⁰ تزوج بالميرستون أم زوجة اللورد، وكان من ثمار هذه الروابط التي عززتها صلة القرابة تلك أن بدأ العمل على توطين اليهود في فلسطين. عمل شافتسبري على تنظيم هياكل متنوعة في بريطانيا ومحيط القدس وأدى دوراً مهماً في إنشاء أسقفية في القدس لمتابعة سير العملية، كما ضمن اتخاذ خطوات مهمة -تحت قيادة بريطانيا وبما توافق مصالحها- من أجل "تهيئة الأرض لنزول السيد المسيح".¹¹

كان اللورد يؤمن بحتمية انسحاب الدولة العثمانية من فلسطين، وبضرورة أن يُعاد تشكيل المنطقة بقيادة بريطانيا وفي إطار مصالحها، واعتقد بأنه لا بد من تهيئة الأرض من أجل القدوم الثاني للمسيح. يقول شافتسبري في مذكراته في مايو من عام 1854:

"إن الشرق كله مضطرب، والإمبراطورية التركية في طريقها للأفول؛ كل الأمم منزعة، وكل القلوب تتوق إلى أمر جلل، والكل ينظر إلى الحروب والتغيرات والهزات والقضايا الرائعة المثيرة الجديدة [...] لقد تحققت كل شروط النبوءة تقريباً؛ فسوريا عاطلة بلا سكان يستفيدون منها، وخلال فترة قصيرة ستكون هذه الأراضي الخصبة الشاسعة بلا حاكم أو أي قوة مقبولة لديها القدرة على ادعاء السيادة عليها. ستمنح هذه المنطقة بشكل أو بآخر إلى هذا أو إلى ذاك؛ هل تمنح إلى قوة أوروبية أو إلى أي مستعمرة أمريكية أو إلى أي حاكم أو قبيلة آسيوية.. لا،

لا، لا. ثمة وطن بلا شعب، والآن يوجّه الربّ ٩٠
بحكمته ورحمته أنظارنا إلى شعب بلا وطن -
أي إلى شعبه المختار من أبناء إبراهيم وإسحق
ويعقوب”¹²

وبينما كان شافتبيري يدوّن ملاحظاته حول
كيفية تقسيم المنطقة -التي لم يرها قط- بعد سقوط
الدولة العثمانية، صورها على خلاف الحقيقة كبلاد فارغة ضائعة متروكة بدون استفادة.

وكما ذكر المؤرخ بابيه، عند وصول أوائل المستوطنين اليهود -الذين ظنوا أنهم سيجدون
المنطقة فارغة- إلى فلسطين ورأوا أنها مسكونة بالعرب، نظروا إليهم ككائنات متوحشة
سلبوا أراضيهم.¹³ من ناحية أخرى، كان اللورد بوصفه أرسقراطياً إنكليزياً استعمارياً -
قادراً على الحكم على منطقة لم يرها. كما أن عبارة: “منح وطن بلا شعب إلى شعب
بلا وطن” من الأمور اللافتة للنظر في مذكراته؛ لأنها كانت الشكل الأولي لتعبير ثيودور
هيرتزل “منح بلد بلا شعب إلى شعب بلا بلد”. بإيجاز، كان اللورد شافتبيري من أوائل
الصهيانية المسيحيين الذين دعموا عودة اليهود إلى فلسطين من منطلق ديني، وأوائل من
أسهموا في اتخاذ خطوات ملموسة لتحويلها إلى مشروع للدولة الإنكليزية. فضلاً عن
ذلك، من الجدير بالذكر أن تعاطف اللورد مع اليهود واهتمامه بهم، وإن كان له خلفية
دينية، إلا أنه يتناغم مع مصالح الإمبراطورية البريطانية في المنطقة.

انتقلت الصهيونية المسيحية إلى الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر وتوسعت
في حدود التدين البروتستانتي الأمريكي، وكان جون نيلسون داربي (توفي عام 1882)
من بين أهم الأسماء التي نقلتها إلى الولايات المتحدة، حيث سعى خلال رحلاته إلى
الولايات المتحدة في ستينيات القرن التاسع عشر وسبعينياته إلى نشر تفسيره اللاهوتي
الذي يولي أهمية مركزية لليهود في نبوءات نهاية العالم.¹⁴ تميز داربي بتطويره لمفهوم
عن التاريخ يمر بـ7 مراحل ويرتكز على نبوءة عودة المسيح، ونبه على أن اليهود سيؤدّون
أدواراً محورية من أجل عودة المسيح عند اقتراب نهاية التاريخ.

ويرى داربي -الذي قُوبلت أفكاره باهتمام بالغ من المدارس البروتستانتية الأمريكية-
أن اليهود يتبوّؤون موقعاً مركزياً في قلب خطط الربّ الدنيوية:

“عندما يحين وقت اجتماع كل الأشياء، ستكون كنيسة الربّ هي مركز كلّ ما
هو سماوي، ويكون اليهود مركز كلّ ما هو دنيوي. أما المسيح فسيكون رأس كل

شيء.¹⁵ لاقت هذه الأفكار صدًى لدى المجتمع الأمريكي الذي كان يثُنُّ تحت وطأة تشاؤم الحرب الأهلية، وانتشرت في عموم البلاد المؤتمرات والندوات والكتابات عن النبوءات والكتاب المقدس.

وقد دمج سكوفيلد (تُوفي عام 1921) وهو أحد أتباع داربي التقسيمات التاريخية التي طرحها داربي وأفكاره عن مركزية اليهود في الخطط الربانية في تفسيره للكتاب المقدس الذي أضحي في يومنا هذا أحد أكثر النصوص الدينية انتشاراً في الولايات المتحدة. حتى إن سكوفيلد أصبح أحد أهم المراجع في تفسير الإنجيل، بل إن جزءاً كبيراً من الصهاينة المسيحيين يعدّون كتاباته هي بذاتها أحكام الدين المسيحي لا مجرد تفسير للإنجيل.¹⁶ وهكذا، أسهم شرح سكوفيلد للكتاب المقدس في نشر "عقيدة الألفية" (الإيمان بأن المسيح سيعود إلى الأرض قبل الألفية ليحكم العالم لألف عام) بين البروتستانت الأمريكيين.

وكان كتاب "المسيح قادم" لويليام بلاكستون المتأثر بداربي من الأعمال الأخرى التي نشرت فكر داربي عن نهاية الزمان ودور اليهود- في الرأي العام الأمريكي. يصف نتنياهو رئيس الوزراء "الإسرائيلي" ومهندس عملية الإبادة الجماعية في غزة بلاكستون بأنه من أبرز نماذج النخب الصهيونية المسيحية؛¹⁸ لأن بلاكستون (تُوفي عام 1934) كان قد كتب رسالة إلى الرئيس الأمريكي حيثُذ بنيامين هاريسون طلب منه فيها منح اليهود فلسطين، وإقناع حكام الدول بما في ذلك السلطان العثماني عبد الحميد الثاني بهذه القضية. حيث يقول في هذه الوثيقة المعروفة باسم "نُصب بلاكستون":

"لما لا تقوم القوى التي منحت صربيا للصر ببلغاريا للبلغاريين وفقاً لمعاهدة برلين عام 1878 بمنح فلسطين لليهود؟ فقد أخذت هذه الولايات بالإضافة إلى رومانيا والجبل الأسود واليونان من الترك ومُنحت إلى أصحابها الحقيقيين. أليس لفلسطين أيضاً حق في أن تنتمي إلى اليهود؟"¹⁹

وقّع على هذا النص 413 من الأمريكيين البارزين، منهم جي بي مورغان وجون روكفيلر، ورئيس المحكمة العليا وقتئذ ميلفيل فولر، ورئيس مجلس النواب تي بي ريد. أرسل بلاكستون نسخاً مُحدّثة من هذه الرسالة إلى الرؤساء الأمريكيين التاليين، وكان له دور في التأثير في الرئيس وودرو ويلسون وإقناعه بتبني وعد بلفور.

ألهمت أفكار داربي بعض المصنّفات التي أسهمت في توغل أفكار الصهيونية



المسيحية في الولايات المتحدة، وكانت من بين الكتب الأكثر انتشارًا بين الشعب الأمريكي. على سبيل المثال؛ وفقًا لجورج مارسدين، في عام 1978 فقط طُبعت 8 ملايين و800 ألف نسخة من كتاب "كوكب الأرض القديم الرائع" لهال ليندسي الصادر عام 1970.²⁰ جرت ترجمة هذا الكتاب إلى عشرات اللغات، وهذا فتح الباب أمام انتشار أفكار العقيدة الألفية سريعًا بين الإنجيليين؛ بحسب هذه العقيدة، ستنتهي المرحلة السادسة الحالية بصعود المؤمنين إلى جوار يسوع؛ أي إلى السماوات، وستؤدي إسرائيل دورًا محوريًا في ذلك، وسيتم ذلك اندلاع الحرب العالمية الثالثة. خلال هذه المرحلة سيزداد عدد المؤمنين بيسوع، ولكن لن يؤمن به من اليهود سوى 144 ألف. وبحسب ليندسي فإن قيام دولة «إسرائيل» عام 1948 واستيلاءها على القدس عام 1967 على قدر كبير من الأهمية لبدء تحقق هذه الرواية الأخروية. ولكن ثمة حاجة إلى إشارة ثالثة من أجل عودة يسوع إلى الأرض، هي [إعادة] تشييد هيكل سليمان. وتلك من أهم التطورات التي يراها الصهاينة المسيحيون اليوم ضرورية لعودة المسيح؛ أي بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى.

تطورت الصهيونية المسيحية تحت تأثير داربي، وانتشرت في المجتمع الأمريكي، بينما أثرت الخطب والكتب والندوات ذات الصلة في قطاعات واسعة في المجتمع الإنجيلي. وراح أساطين الوعاظ الإنجيليين من أصحاب الصيت، مثل جيرى فالويل (تُوفّي عام 2007) وبات روبرتسون (تُوفّي عام 2023) يقودون عملية نشر الفكر الصهيوني بين البروتستانت. لفتت هذه الشخصيات الأنظار بآرائها وأطروحاتها في المسائل الدينية والسياسية والدولية، وأسهموا في الحشد المجتمعي في العديد من القضايا، ونجحوا في التأثير في السياسة. حتى إن روبرتسون مثلاً سعى إلى الترشح للرئاسة الأمريكية من خلال الحزب الجمهوري، فيما عُرف عن فالويل صلاته المتينة بـ«إسرائيل»، حيث كان على علاقة قوية برئيس الوزراء مناحم بيغن وعمل على الوساطة بين الولايات المتحدة و«إسرائيل». على سبيل المثال، عندما قصفت «إسرائيل» العراق عام 1981 اتصل بيغن بفالويل قبل لقاء الرئيس ريغان، وطلب منه دعم الرأي العام المسيحي الأمريكي.²¹ علاوة على ذلك، خصّصت «إسرائيل» طائرة خاصة لفالويل عام 1979، كما منحته في عام 1980 جائزة جابوتينسكي - التي تمنحها لليهود فقط - تقديرًا لجهوده في دعم «إسرائيل».²²

الخصائص اللاهوتية للصهيونية المسيحية

يؤمن الصهاينة المسيحيون بأن اليهود، بوصفهم عباد الرب المختارين، هم أطراف في اتفاق إلهي، وأنهم قوم لهم دور مركزي في تحقيق أهداف الرب على وجه الأرض، كما يعدّون اليهود الوريث الوحيد لإبراهيم، ولهم معاملة تفضيلية من الرب، ويستدلون في ذلك بخطاب الرب لإبراهيم (عليه السلام) الوارد في العهد القديم. ففي سفر التكوين 12/3 يقول الرب لإبراهيم: “وأبارك مباركك ولاعنك ألعنه. وتبارك فيك جميع قبائل الأرض”. تبنت الصهيونية المسيحية التفسير الحرفي لهذا النص المقدس، وحولته إلى حجة أساسية وشعار للدعاية السياسية الصهيونية. وفي ذلك يقول أشهر الصهاينة المسيحيين في يومنا هذا: “إن اليوم الذي تتخلى فيه الولايات المتحدة عن الدفاع عن «إسرائيل» سيكون اليوم الذي يتخلى فيه الرب عن الدفاع عن أمريكا” في تذكرة للنص المذكور. بيد أن المسيحيين من غير الصهاينة يقولون: إن الصهاينة يحرفون هذا النص.²³ حيث يجادلون بأن النص ليس موجهاً؛ أي لا يتضمن توجيهاً شخصياً لإبراهيم (عليه السلام)، كما أنه لا يحوي أي إشارة إلى نسله، كما أن أبناء إبراهيم ليسوا اليهود وحدهم، بل يشمل ذلك المسيحيين أيضاً.

الاستناد إلى التفسير الظاهري - الحرفي للنص هو أهم السمات اللاهوتية للصهيونية المسيحية. الحرفية؛ أي الالتزام بالدلالة اللفظية للنص، تفتح الباب أمام قبول فكرة فهم

النبوءات الواردة في النص المقدس من دون السماح لأي فهم روحي أو رمزي. ولكن على الرغم من أن الصهاينة المسيحيين يقولون: إنهم يستندون إلى التفسير الحرفي للنص، إلا أنهم يختلفون حتى فيما بينهم حول النصوص، ويتوصلون إلى استنتاجات متناقضة.

لفهم دعم الصهاينة المسيحيين لـ «إسرائيل» وعزمهم على توجيه السياسات الأمريكية، ينبغي تقييم مفهوم تقسيم التاريخ الألفي اليهودي الذي تطرقنا إليه في الفقرات السابقة لدى تناولنا لأفكار داربي، بالإضافة إلى مفهوم آخر الزمان المرتبط به.²⁴ يؤمن أتباع هذه العقيدة بقرب عودة المسيح؛ ليقم مملكة على الأرض مركزها القدس، وتُعمّر ألف عام، كما يتبنون فكرة أن المستقبل القريب ستقع فيه اضطرابات كبرى، وحروب ومذابح عظيمة. وانطلاقاً من نهج داربي في تقسيم التاريخ، يستلهم هؤلاء من الرواية المذكورة في سفر دانيال 9 في العهد القديم، ويؤمنون بأن الرب قسم التاريخ إلى 7 مراحل. ويؤمن الصهاينة المسيحيون بأن كل مرحلة تنتهي بكارثة لتبدأ بعدها مرحلة جديدة، كما أن الإنسانية تعيش الآن في المرحلة السادسة. ويدّعي هؤلاء أنه عند نهاية المرحلة السادسة سيمر العالم بمرحلة من 7 سنوات تهيمن عليها الفوضى والاضطرابات، ثم يعود المسيح بعد ذلك ليؤسس مملكة مركزها القدس تعيش ألف عام.

يؤدي الوعاظ الصهاينة المسيحيون دوراً مهماً في نشر هذه الرواية اللاهوتية-السياسية في المجتمع، ويشرحون لأتباعهم مشاهد مرحلة الفوضى السوداوية بكل تفصيلاتها. وفقاً لروايتهم، يُعدّ هذا التصور المتشائم للمستقبل -حيث تندلع الحروب والمذابح الجماعية- جزءاً من خطة إلهية، إذ ستكون الأقلية البروتستانتية الإنجيلية هي الفريق الوحيد الذي سينجو من هذه الفوضى؛ لأن -وفقاً لهذه العقيدة- البروتستانت الإنجيليين ولدوا من جديد، وسيصعدون إلى جوار المسيح؛ أي إلى السماء، وسيشهدون كل ما يحدث من هناك بكل أريحية. وهذه الرواية التي تشير إلى الصعود الجسدي هي اعتقاد يتبناه الصهاينة المسيحيون الأمريكيون الذين يؤمنون بأفكار آخر الزمان.

هناك العديد من التنبؤات والتكهنات بشأن رواية "ملحمة أرمجدون" التي يعتقد الصهاينة المسيحيون أنها ستحدث في آخر الزمان. ويُعرّف الصهاينة المسيحيون "أرمجدون" التي أتى الكتاب المقدس على ذكرها بأنها المنطقة التي ستحدث فيها ساحة المعركة النهائية، وسيجسد فيها غضب الله.²⁵ حتى إن بعضهم أعد خرائط تعرض مناطق الحرب، وتتخيل الأماكن التي ستدور فيها الأحداث، مثل جاك فان إمبي. كما يقوم البعض بالكتابة عن الأطراف المتوقع مشاركتها في تلك الحرب، ويشيرون عادة إلى إيران وروسيا، وتركيا أحياناً. يعتقد الصهاينة المسيحيون أن الحرب الكبرى

المزعومة ورد ذكرها في الكتاب المقدس في سفر حزقيال 38؛ لذا يحاولون مطابقة الأسماء الموجودة في النص مع الدول القائمة في الوقت الراهن. على سبيل المثال، يعتقد الواعظ الشهير جون هاغي، الذي أقام فكره اللاهوتي وحياته المهنية بالكامل على دولة «إسرائيل» والدفاع عنها- أن الكتاب المقدس ينبئ بأن «إسرائيل» سوف تتعرض للغزو من قبل قوات قادمة من الشمال. ووفقاً له، فإن التحالف العسكري بقيادة روسيا، بمشاركة إيران وتركيا وسوريا وليبيا وألمانيا، سيهاجم «إسرائيل». ولكن هاغي يعود ليشير إلى أن بعض العرب جرت السيطرة عليهم بموجب اتفاقيات أبراهام. إن التقييمات الجيوسياسية اللاهوتية-السياسية الواردة في الخطب الدينية لهاجي -الذي كان أحد الداعمين المهمين للرئيس ترامب في سياساته تجاه «إسرائيل»- تُعرض وجهة نظر الصهيونية المسيحية حول العلاقات العربية الإسرائيلية اليوم. واتهم هاغي (جمهوري) الرئيس الديمقراطي الحالي جو بايدن بخدمة المصالح الروسية، ودعاه إلى التحول إلى الطرف الصحيح. يبدو أن بايدن سيظل بعيداً عن مجازاة التصور الصهيوني لهاغي، وإن منح الضوء الأخضر لعملية الإبادة الجماعية التي ترتكبها «إسرائيل»، ولم يحرمها من الدعم السياسي، والاقتصادي، والدبلوماسي، والعسكري.

وفقاً لهذه الأيديولوجية، يجب أن يجري توطين اليهود في فلسطين من أجل عودة المسيح، وإقامة مملكته؛ لذا عندما قامت دولة «إسرائيل» عام 1948 عدّ المسيحيون الأصوليون ذلك إشارة إلى عودة المسيح. ويقوم الصهاينة المسيحيون حالياً ببذل جهود حثيثة من أجل ضمان توسيع رقعة الاستيطان اليهودي في المنطقة، وهناك العديد من اللوبيات المنظمة لهذا الغرض.

الإسلاموفوبيا والقطع بمعاداة المسلمين والعرب والفلسطينيين لـ«إسرائيل» من السمات الأخرى للصهيونية المسيحية؛ حيث يكرر العديد من الكتاب الصهاينة المسيحيين الادعاءات الاستشراقية المعادية للعرب والإسلام، ويحاولون في هذا السياق الإشارة إلى وجود تشابه بين العرب وأدولف هتلر منفذ المحرقة اليهودية. على سبيل المثال، يقول ليندسلي الذي لا يخفي عداؤه للعرب: “لقد تنبأ الزبور قبل قرون بأن جيوش العرب ستقضي على أمة إسرائيل. سيظل الفلسطينيون شوكة في حلق العالم حتى يستولوا على الأماكن التي يعدونها أرضاً لهم. حيث تنظر الأمم العربية إلى إبادة دولة «إسرائيل» بوصفها قضية شرف عرقي”²⁶ تعزز هذا التوجه أكثر بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وأصبح بمثابة مادة لاصقة بين الصهاينة المسيحيين و«إسرائيل». ويستند هذا الادعاء إلى اعتقاد برغبة المسلمين في إبادة اليهود، ففي أعقاب



أحداث سبتمبر، شبه جيرى فالويل وبات روبرسون - وهما أهم الصهاينة المسيحيين في هذه المرحلة - المسلمين بهتلر الذي أراد إبادة اليهود في برنامج تلفزيوني، كما وجهوا إهانات للمسلمين وعدّوهم "وحوش الشرق الأوسط". زار الواعظ الصهيوني المسيحي فرانكلين غراهام (نجل بيلي غراهام أهم الوعاظ الإنجيليين في القرن الـ20) قبل فترة قصيرة «إسرائيل»، وأعلن دعمه لعملية الإبادة الجماعية التي يقودها نتنياهو في غزة.²⁷ يجادل غراهام بأن الإسلام يشكل تهديداً للغرب يتناقض مع جوهر نمط الحياة الغربي، لذلك ينبغي عدم استقبال المهاجرين المسلمين في أمريكا. ويصف غراهام العرب كما يأتي: "لن يشعر العرب بالسعادة حتى يموت آخر يهودي، إنهم يكرهون (إسرائيل)" ومن المعروف أن رغبة المسلمين المفترضة في تدمير اليهود كانت أحد العناصر القوية للوعي المسيحي عبر التاريخ.

إن «إسرائيل» هي الدولة الحديثة الوحيدة في العالم التي لم تعلن حدودها، ويرجع ذلك إلى أهدافها التوسعية والاستعمارية. ويمتلك الصهاينة المسيحيون حججاً دينية تدعم هذا الهوس «الإسرائيلي»، منها الاتفاق بين إبراهيم والربّ الوارد في سفر التكوين 15-18، حيث يربط الصهاينة اليهود والمسيحيون بين المناطق التي وعدها الربّ أبناء إبراهيم ودولة «إسرائيل» الحديثة: «في ذلك اليوم قطع الربّ ميثاقاً مع أبرام قائلاً: لنسلك أعط هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات». وتعدّ هذه المناطق التي

يشير إليها الصهاينة كثيرًا باسم إيرتس يسرائيل (أرض إسرائيل)، وهي تشكل أحد الأعمدة اللاهوتية للسياسات التوسعية الاستعمارية «الإسرائيلية». وعليه يعدّ هؤلاء أن الدعوة إلى انسحاب «إسرائيل» من الأراضي الفلسطينية المحتلة اعتراض على إرادة الرب؛ لذلك فإن مطالبة «إسرائيل» بالعودة إلى حدود الرابع من يونيو 1967 بما يتوافق مع القانون الدولي طلب لا قيمة له بالنسبة لـ«إسرائيل»، وهذه المجموعة، كما أنه ذنب عظيم أيضًا.

موقع الصهيونية المسيحية في السياسة الأمريكية

بحسب ما ذكرت كارين آرمسترونغ في كتابها «معارك في سبيل الإله»، رحب المسيحيون الأصوليون في الولايات المتحدة بوعد بلفور عام 1917، أما قيام دولة «إسرائيل» عام 1948 فقد عدّه الواعظ الإنجيلي الصهيوني الأشهر جيرى فالويل أكبر إشارة إلى عودة المسيح إلى الأرض، ورأى أن يوم تأسيسها هو ثاني أهم الأيام في التاريخ بعد صعود المسيح إلى الجنة. من ناحية أخرى، طيلة القرن العشرين كان هناك من الرؤساء الأمريكيين من يتبنّى أفكار الصهيونية المسيحية، منهم مثلاً الرئيس وودرو ويلسون الذي شغل المنصب بين 1913-1921، كان بروتستانتياً متديناً، وكان من داعمي وعد بلفور. وكذا كان هاري ترومان وليندون جونسون ورونالد ريغان وجورج بوش. أصبح نفوذ الإنجيليين الأصوليين الأمريكيين في المجال السياسي جلياً في عهد ريغان، وجورج بوش الذي كان إنجيلياً، وكأنّه وُلِد من جديد، لكن صوت هذه المجموعة خَفَت نسبياً في عهد أوباما، ولكن مع انتخاب ترامب رئيساً، سرعان ما نجحوا في التأثير في الآليات المحددة للسياسة الخارجية والمجال السياسي. أما الرئيس الديمقراطي بايدن، فهو وإن كان كاثوليكياً إلا أنه عرّف نفسه بشكل واضح على أنه صهيوني، كما أنه عين العديد من اليهود في مناصب مهمة، كوزارة الخارجية، وإدارة وكالة الاستخبارات المركزية، ووزارة الخزانة، ويقدم دعماً غير مشروط لـ«إسرائيل».

حظي ترامب بدعم كبير نسبياً من هذه الجماعات نظير الوعود التي أعطاها للبروتستانتين الإنجيليين خلال فترة حملته الانتخابية. ووفقاً لبيانات مركز «بيو» للبحوث، صوّت 81 في المئة من المسيحيين الإنجيليين لمصلحة ترامب الذي بدأ في اتخاذ الخطوات اللازمة لتحقيق نبوءات آخر الزمان الخاصة بالصهاينة المسيحيين، من خلال سياسات داعمة لـ«إسرائيل». كان ترامب قد صرح خلال مؤتمر انتخابي في ويسكنسن أنه اتخذ قرار الاعتراف بالقدس عاصمة لـ«إسرائيل» من أجل الإنجيليين، وعندما تولى مهام المنصب قال الواعظ فالويل: «إن الإنجيليين وجدوا أخيراً الرئيس الذي طالما حلموا به؛ لأنه وصل أمريكا بـ(إسرائيل)»²⁹

وبينما يدعم الصهاينة المسيحيون «إسرائيل» انطلاقاً من شعور بفرض ديني، تستفيد الأخيرة بشكل كبير من القوة الإمبريالية للولايات المتحدة؛ لذلك يُقال: إن الصهاينة المسيحيين في أمريكا هم الكنز الإستراتيجي الأهم لـ «إسرائيل» بعد جيش الاحتلال. ومن المعروف أيضاً أن مايكل فرويند مدير الاتصالات السابق في عهد بنيامين نتنياهو كان قد توجه بالشكر عام 2006 للصهاينة المسيحيين.³⁰ وكان تأثير الصهاينة المسيحيين واضحاً في السياسة الأمريكية خلال عهد ترامب (2017-2021) الذي حصل على دعمهم، وعيّن العديد منهم في إدارته، وعلى رأسهم نائبه مايك بنس المعروف بالتزامه الديني وحفاظه على القراءات الأسبوعية للإنجيل. بالإضافة إلى وزيرة التعليم بيتسي ديفوس، والمستشارين الإنجيليين في البيت الأبيض، مثل باولا وايت وجوني مور، الذين أكدوا أن وضع القدس من الموضوعات ذات الأولوية بالنسبة للرأي العام المسيحي. علاوة على ذلك، نجح الصهاينة المسيحيون مع صهر ترامب ومستشاره لشؤون الشرق الأوسط جاريد كوشنر -وهو يهودي صهيوني- في إعادة تشكيل السياسة الخارجية الأمريكية؛ لتخدم المطالب «الإسرائيلية» التي كان من بينها إعلان القدس عاصمة لـ «إسرائيل»، والاعتراف بهضبة الجولان أرضاً «إسرائيلية»، وهو ما أصبح ثمرة للتعاون بين الصهاينة المسيحيين واليهود في عهد ترامب.

كان هذا الإعلان (ديسمبر 2017) مكسباً مهماً بالنسبة للصهاينة المسيحيين واليهود على حد سواء؛ لأن الصهاينة المسيحيين عدّوا تقسيم القدس قسمين مخالفاً لإرادة الرب. على سبيل المثال، عندما استضاف بات روبرتسون الرئيس ترامب في يوليو 2017 في أحد القنوات التلفزيونية الأصولية، عدّ روبرتسون أن تقسيم مدينة الرب (القدس) قسمين والوساطة من أجل حل الدولتين أخطاء عظيمة يمكن أن تغضب الرب. إضافة إلى ذلك، أرسل 60 ممثلاً مسيحياً مرتبطين بتنظيم: «قادة مسيحيون أمريكيون من أجل إسرائيل» في مايو 2017م- رسالة إلى ترامب طالبوه فيها بنقل السفارة الأمريكية إلى القدس. وأرسل أعضاء هذا التنظيم الذي يدعي تمثيل 60 مليون أمريكي رسالة أخرى إلى ترامب دعوه فيها إلى الالتزام بالوعد الذي أعطاه إلى 650 زعيماً مسيحياً قبل الانتخابات. وبعد صدور قرار القدس، زار البيت الأبيض عدداً من النشطاء السياسيين الإنجيليين الممثلين لمنظمة «التحالف المسيحي» الأصولية، ومنحوا ترامب جائزة «صديق صهيون»، وكان من بين هؤلاء الناشط رالف ريد. وقد دافع الوعاظ من الصهاينة المسيحيين عن قرار الاعتراف بالقدس عاصمة لـ «إسرائيل» ونقل السفارة إليها بكل حرارة حتى أكثر من اليهود أنفسهم، ومن هؤلاء: جون هاغي الذي جادل بأن الإنجيليين يولون أهمية كبيرة لـ «إسرائيل»؛ لأن الإنجيل يحث على ذلك، وجتزين فرانكلين الذي عدّ قرار القدس «تغييراً مهماً للغاية في الكون».

بصورة مشابهة، أسس الصهيوني المسيحي الشهير مايك إيفانس فريقاً للدعاء من أجل القدس، وجمع 30 مليون إنجيلي للدعاء من أجل منح القدس لـ «إسرائيل»، وأعدّ دليل دعاء لـ «إسرائيل»، مدعياً أن اليهود يتعرضون لهجوم سياسي وعسكري، وأن الدعاء للقدس هو مشاركة لحب الربّ ورحمته. يقول إيفانس المعادي لفلسطين: “أدعوكم إلى مشاركتي الدعاء كل يوم من أجل القدس وأمة إسرائيل”.³¹ كما أسس إيفانس متحف “أصدقاء صهيون” في القدس، وقدم جائزة “صديق صهيون” إلى ترامب في ديسمبر 2017؛ تقديرًا لدعمه «إسرائيل». يقول إيفانس: “إن التاريخ لم يسبق أن شهد رئيساً مثل ترامب يتمتع بعلاقات قوية مع الشعب اليهودي وإسرائيل، فلم يسبق أن قام أي رئيس باستنفار الجهود كافة بكل شجاعة من أجل إسرائيل على المستوى الدولي مثل ترامب”. كما قال أيضاً عقب صدور قرار الاعتراف بالقدس: “سأقابل ترامب يوم الاثنين المقبل، وسأقول له: أنت كورش هذا الزمان! لأنك قمت بعمل تاريخي، وحققت النبوءة مثله، فالربّ قد استعمله من أجل إنقاذ اليهود” وكورش هو الملك الفارسي الذي أرجع اليهود إلى فلسطين. ولكن إيفانس الذي ذهب بعيداً في مدح ترامب إلى درجة تشبيهه بكورش، حمّله المسؤولية عن اقتحام الكونغرس في يناير 2021، وأعلن أنه لن يدعمه في انتخابات نوفمبر 2024.

وبالإضافة إلى اللوبيات اليهودية الفعالة في الإدارة الأمريكية ثمة ما يزيد عن 200 لوبي صهيوني مسيحي، مثل منظمة “مسيحيين موحدين من أجل إسرائيل” التي يديرها جون هاغي، وتقوم تلك اللوبيات بممارسة الضغط على الرئيس، وكل السلطة السياسية، وتعمل على إثارة المشاعر الدينية من أجل إقناع المجتمع، ونيل رضاه. في الوقت نفسه، تجمع هذه المنظمات التبرعات من المسيحيين الإنجيليين من أجل مساعدة «إسرائيل» على احتلال المزيد من الأراضي الفلسطينية وبناء مستوطنات عليها، وتتمتع هذه الأموال بإعفاء ضريبي. علاوة على ذلك، تُولي المنظمات الصهيونية المسيحية أهمية لإيقاظ الوعي الصهيوني لدى المسيحيين عبر تنظيم جولات سياحية دينية في القدس ومحيطها. تحولت السياحة الدينية المسيحية التي تُعدّ جزءاً من الأنشطة الإنجيلية مع الوقت إلى مصدر دخل مهمّ لـ «إسرائيل» يُقدّر بحوالي مليار دولار سنوياً.³²

خاتمة

تزايد استخدام المقاربة اللاهوتية للصهيانية المسيحيين في السياسة الأمريكية في الفترة الأخيرة، وكانت قرارات الرئيس السابق ترامب الخاصة بالاعتراف بالقدس عاصمة لـ «إسرائيل» وشرعنته ضم الأخيرة هضبة الجولان - مرتبطة إلى حد كبير بأهداف

الصهيونية المسيحية. إلى جانب ذلك، تحظى سياسة الرئيس الحالي بايدن الداعمة للإبادة الجماعية التي تقوم بها «إسرائيل» في غزة بقبول الرأي العام الأمريكي المتبني أفكار الصهيونية المسيحية. من الواضح إذن أن قطاعاً كبيراً من الشعب الأمريكي واقع تحت تأثير العقيدة التي تناولناها. ويثير هذا الوضع العديد من الأسئلة عن العلمانية الأمريكية من ناحية، فيما يبرز معضلة تطويع الدين لخدمة السياسات الاستعمارية.

تبعَ الوعاظ الصهاينة المسيحيون روبرت جيفريس وجون هاغي وجيري فالويل (الابن) وفرانكلين غراهام أسلافهم جيري فالويل وبات روبرتسون، وآمنوا بضرورة أن تُرسَم السياسات في ضوء إرشاد من الدين، وأقنعوا الرأي العام بذلك. وقد طرَحَ خطابُ هذه الشخصيات، التي كان لها تأثير في إدارة ترامب- وأفعالها أسئلة عن إمكانية التخلي عن النموذج الأمريكي للعلمانية. من ناحية أخرى، مدت الصهيونية المسيحية الاستعمار البريطاني ثم الإمبريالية الأمريكية بحجج مفيدة، وهي بذلك تشكل نموذجاً فريداً على صياغة وتطور الخطاب الديني الذي يخدم الأهداف السياسية. هذه المقاربة اللاهوتية- السياسية التي يراها البروتستانتون من غير الصهاينة «هرطقة»- ظاهرة تستحق- بدون شك- الدراسة؛ سواء من حيث تفسيرها للنصوص الدينية أم طريقة ربطها بالخطاب السياسي. كما أنها تستحق الاهتمام؛ خصوصاً لما لها من تداعيات على السياسة الدولية ونتائجها المدمرة بالنسبة للمجتمعات المسلمة.

تحظى الآليات التي أفرزتها الصهيونية المسيحية بأهمية قصوى بوصفها أحد العوامل التي مهدت الطريق للالتزام غير العقلاني بدعم «إسرائيل» لدى الإدارة الأمريكية التي طالما تعرضت لانتقادات؛ لأنها تولي أهمية أكثر من اللازم لمصالح دولة أخرى. تتجاوز هذه القضية أبعاد الرؤى الشخصية للرؤساء الأمريكيين؛ حيث ترتبط بأيدولوجيا دينية وأسس اجتماعية ذات جذور، وتتمتع بدعم منظمات متنوعة تفرضها على الرأي العام. كما أن الصهاينة المسيحيين يتعاونون بشكل كبير مع «إسرائيل». ومن هنا فإن الانتماء الحزبي للرئيس الأمريكي سواء كان جمهورياً أم ديموقراطياً لا يغير كثيراً في سياسات الولايات المتحدة تجاه «إسرائيل». فحتى أوباما المعروف بمقاربتة النقدية تجاه «إسرائيل»، عندما مُسَّ أُنْمُها لم يتوان عن تأكيد قدسيتها بالنسبة لبلاده، كما لم تشهد علاقات بلاده مع «إسرائيل» مشكلات كبيرة خلال عهده.

وعلى الرغم من كل ذلك، فالانتقادات التي تُوجَّه إلى الصهيونية المسيحية في تزايد مضطرد، خصوصاً مع صعود تساؤلات الشباب الأمريكي ومواقفه منها. حيث تُوجَّه سهام النقد إلى الدعم الأمريكي غير المشروط لـ«إسرائيل»، كما أن بعض الإنجليبيين

يرفضون الرواية السوداوية الخاصة باللاهوت الصهيوني المسيحي عن المستقبل. فضلاً عن ذلك، هناك رجال من الكنيسة من أتباع التيار الرئيس من يَعدّ الصهيونية المسيحية هرطقة. وبناء عليه، هناك حاجة لتحليل عميق متعدد الأوجه للصهيونية المسيحية، والاعتراضات الموجهة لهذه الأيديولوجيا اللاهوتية-السياسية.

الهوامش والمراجع:

1. Philips, Kevin. (2006). American Theocracy, New York: Viking.
2. Aldrovandi, Carlo. (2011). "Theo-Politics in the Holy Land: Christian Zionism and Jewish Religious Zionism". Religion Compass. 5/4: 114-128.
3. Spector, Stephen. (2009). Evangelicals and Israel. New York: Oxford University Press.
4. Albayrak, H. Şule. (2019). "ABD'de Hristiyan Siyonizmi: Kökeni, İnanç Esasları ve Günümüz Amerikan Siyasetine Etkisi" darulfunun ilahiyat, 30/1: 141-169.
5. Lipka, Michael. "More White Evangelicals than American Jews say God Gave Israel the Jewish People." Pew Research Center, 3 October 2013. Erişim: 30 Ocak 2024. <https://www.pewresearch.org/fact-tank/2013/10/03/more-white-evangelicals-than-american-jews-say-godgave-israel-to-the-jewish-people/>.
6. Albayrak, H. Şule. (2024a). "Hristiyan Siyonizminin Teolojik Temelleri, İtiraz ve Mücadele" Lacivert, S. 108.
7. المرجع السابق.
8. Albayrak, H. Şule. (2023a). "İngiliz Aristokrasisi ve Hristiyan Siyonizmi: VII. Lord Shaftesbury Örneği" Milet ve Nihal. 20/2: 135-165.
9. Albayrak, H. Şule. (2023a). "İngiliz Aristokrasisi ve Hristiyan Siyonizmi: VII. Lord Shaftesbury Örneği" Milet ve Nihal. 20/2: 135-165.
10. Albayrak, H. Şule. (2024a). "Hristiyan Siyonizminin Teolojik Temelleri, İtiraz ve Mücadele" Lacivert, S. 108.
11. Hodder, Edwin. (1888). The Life and Work of The Seventh Earl of Shaftesbury, K.G. Vol. 2, London: Casell&Company, Limited.
12. Barat, Frank (Ed.). (2016). Filistin Üzerine Konuşmalar: Noam Chomsky, İlan Pappé. Solmaz Kamuran (çev.). İstanbul: İnkılap Yayınları.
13. Albayrak, H. Şule. (2023b). "Hristiyan Siyonizminin Amerika'ya İhtikali John Nelson Darby'nin Rolü" Oksident. 5/2: 139-159.

- Darby, John Nelson. (1868). Lectures on the Second Coming, Lecture II, .14
Ephesians I. Londra: G. Morrish.
- Aldrovandi, Carlo. (2011). "Theo-Politics in the Holy Land: Christian .15
Zionism and Jewish Religious Zionism". Religion Compass. 5/4: 114-128.
- Ice, Thomas D. (2009). "William Blackstone and American Christian .16
Zionism" Article Archives. Paper 56.
- Moorhead, Jonathan. (2010). "The Father of Zionism: William E. .17
Blackstone?" JETS 53/4, December: 787-800.
- Marsden, George M. (1980). Fundamentalism and American Culture. .18
Oxford: Oxford University Press.
- Haija, Rammy M. (2006). "The Armageddon Lobby: Dispensationalist .19
Christian Zionism and the Shaping of US Policy towards Israel-Palestine"
Holy Land Studies: A Multidisciplinary Journal, Volume 5, Number 1:
75-95
- Mearsheimer, John J. ve Walt, Stephen M. (2007). The Israel Lobby and .20
U.S. Foreign Policy. New York: Farra Straus and Giroux.
- Sizer, Stephen. (2008). Zion's Christian Soldiers: The Bible, Israel and .21
The Church, Intervarsity Press.
- Albayrak, H. Şule. (2019). "ABD'de Hristiyan Siyonizmi: Kökeni, İnanç .22
Esasları ve Günümüz Amerikan Siyasetine Etkisi" darulfunun ilahiyat,
30/1: 141-169.
- Sizer, Stephen. (2010). "The Bible and Christian Zionism: Roadmap to .23
Armageddon?" Transformation 27, no. 2: 122-132.
- Albayrak, H. Şule. (2024b). "Hristiyan Siyonizminin Ortaya Çıkışı ve .24
Etkisi" Aktüel Tarih, S. 8.
- المرجع السابق. .25
- Mearsheimer, John J. ve Walt, Stephen M. (2007). .26
- Evans, Mike. (2013). How to Pray for the Peace of Jerusalem: A Guide to .27
Praying for Israel, Jerusalem and God's Chosen People. Illinois: Timothy
Books.
- Mearsheimer, John J. ve Walt, Stephen M. (2007) p.166. .28

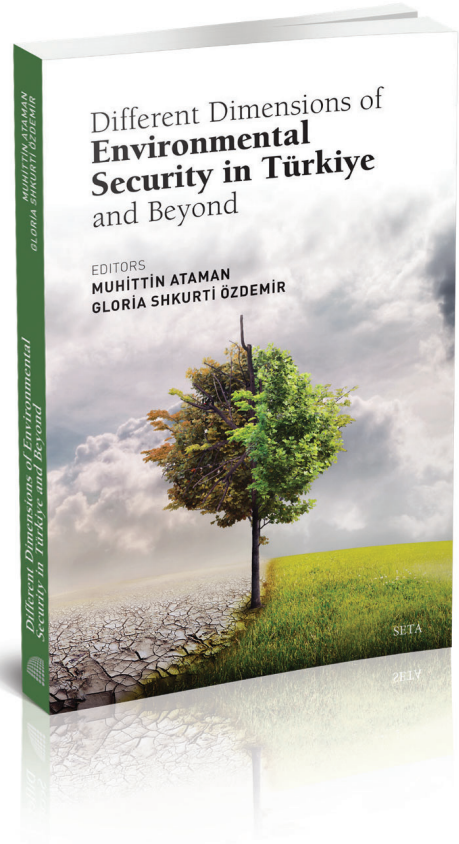


Different Dimensions of **Environmental Security in Türkiye** and Beyond

EDITORS

MUHİTTİN ATAMAN

GLORIA SHKURTI ÖZDEMİR



المسألة اليهودية من منظور مالك بن نبي: دراسة تحليلية

بدران بن لحسن*

ملخص: تتناول هذه الورقة كتاب مالك بن نبي «وجهة العالم الإسلامي: المسألة اليهودية»، وتهدف إلى استخلاص المنظور الذي عالج به بن نبي الموضوع، والخلاصات التي توصل إليها؛ لذلك اعتمدت الورقة على منهج تحليل مضمون الكتاب. وقد توصلت إلى مجموعة نتائج، أهمها: أن بن نبي درس المسألة اليهودية ضمن أطروحته العامة لمعالجة مشكلات الحضارة، وفي سياق دراسته لظاهرة الاستعمار والعنصرية الغربية وأثرها في مشروع التحضر الإسلامي. كما أن بن نبي اعتمد على التحليل التاريخي والاجتماعي النفسي لتطور النفوذ اليهودي في أوروبا، ورأى أن النفوذ اليهودي هو سبب الرؤية المادية والعنصرية والاستعمار الغربي، وأن الإسلام يمثل الملاذ الروحي للحضارة الإنسانية؛ لإنقاذها من وضعها الحالي، ولكن ذلك يحتاج من المسلمين إلى إستراتيجية واضحة وتخطيط وقيادة مركزية.

الكلمات المفتاحية: المسألة اليهودية، القابلية للاستعمار، الاستعمار، العنصرية، الإسلام.

The Jewish Question from the Perspective of Malik Bennabi: Analytical Study

BADRANE BENLAHCENE*

ORCID NO :0000-0002-9742-2108

ABSTRACT: This paper discusses Malek Bennabi's book "Wijhat Al- 'Alim Al-Islamic: The Jewish Problem," aiming to extract Bennabi's approach to the subject and the conclusions he reached. The paper adopts a method of analyzing the book's content and arrives at several key findings. Bennabi studied the Jewish issue within his broader thesis on addressing civilization's problems, particularly in the context of Western colonialism, racism, and their impact on the Islamic civilizing project. He relied on historical and socio-psychological analysis to trace the evolution of Jewish influence in Europe, attributing Western materialism, racism, and colonialism to this influence. Bennabi posited that Islam represents the spiritual refuge for human civilization, However, achieving this requires clear Muslim strategies, planning, and centralized leadership.

Keywords: Jewish question, colonialism, colonialism, racism, Islam.

مركز ابن خلدون
للعلوم الإنسانية
والاجتماعية، جامعة
قطر.

*Ibn Khaldon
Center for
humanities and
social sciences,
Qatar University.

رأبسة، نركبسة،
2024-(1/13)
111 - 144

مقدمة:

شهدت فلسطين يوم السابع من أكتوبر 2023 حدثاً مهماً في تاريخ مقاومة الاحتلال الصهيوني انطلق من قطاع غزة، ومثلَّ الحدث تحولاً نوعياً في المقاومة، كسر كثيراً من المسلّمات التي رَوَّج لها الاحتلال طيلة 75 سنة، في أنه قوة لا تُقهر، وأنه يسيطر على الجو والبر والبحر، وأن أجهزة استخباراته تعلم بأدنى تحرك في فلسطين المحتلة.

ولكن الحدث كسر كلَّ هذا، وجعل القوى الغربية تسارع إلى الوقوف داعمة للاحتلال الصهيوني، بقوة الجيوش، والدعم المالي، والتغطية الإعلامية من قبل المؤسسات الإعلامية الغربية الكبرى، ومنع المؤسسات الدولية من اتخاذ أي قرار ضد الكيان الصهيوني ودعم غزة.

وهذا بقدر ما أدى إلى اكتشاف هشاشة الكيان الاحتلالي، ونبه العالم إلى جوهر القضية الفلسطينية، التي هي قضية إنسانية؛ قضية مقاومة شعب لاحتلال استيطاني يمارس أبشع وسائل الاحتلال - فإن هذه الأحداث أيضاً كشفت مدى تغلغل اللوبي الصهيوني في المؤسسات الرسمية الغربية ووسائل إعلامها الكبرى، ونفوذه لدى مراكز صنع القرار الغربية.

لذلك عاد النقاش في موضوع النفوذ اليهودي في العالم عموماً وفي الغرب بوجه خاص، وكيفية تشكل هذا النفوذ، حتى جعل القوى الغربية تسارع إلى نجده ودعمه في جرائمه الاحتلالية، ومنع اتخاذ أي قرار دولي فاعل يناصر المقاومة الفلسطينية أو يحمي المدنيين الفلسطينيين من القتل والمذابح التي ترتكبها آلة الحرب والقتل الصهيونية في غزة والضفة وبقية الأراضي الفلسطينية.

إن هذا الموقف الغربي الرسمي مما يفعله الكيان الصهيوني، والتأييد الكبير الذي لقيه وهو يرتكب جرائم ضد الإنسانية وتتجاوز القانون الدولي والقانون الدولي الإنساني - يطرحان تساؤلات عن مدى النفوذ اليهودي في هذه الدوائر الرسمية الغربية وفي وسائل إعلامها وشركاتها الكبرى ودوائر صنع القرار فيها.

في هذا السياق، فإن كتاب مالك بن نبي "وجهة العالم الإسلامي: المسألة اليهودية" يُعدّ واحداً من الكتابات المبكرة التي تناولت هذا النفوذ اليهودي الصهيوني في أوروبا والغرب. وعليه فإن هذه الورقة تتناول "المسألة اليهودية" من منظور مالك بن نبي؛ أي كيف تناول مالك بن نبي موضوع النفوذ اليهودي في العالم، وفي الغرب خصوصاً؟ وما السياق الذي تناول فيه الموضوع؟ وما الحلول التي اقترحها لمواجهة والتقليل من أثره

في الأمة، بما يخدم قضية تحرير فلسطين من الاحتلال، واستعادة التوازن بين العالم الإسلامي والعالم الغربي؟

تهدف الورقة إلى استخلاص المنظور الذي عالج به بن نبي الموضوع، والخلاصات التي توصل إليها، بما يخدم موقف المسلمين من الموضوع، ويعطي للنخبة المسلمة فهمًا للمسألة اليهودية، يسهم في التخلص من العنصرية والاستعمار والمادية التي كانت من آثار النفوذ اليهودي في الحضارة المعاصرة، ويفتح مجالاً لإسهام الإسلام في تقديم بديل روحي وحضاري يحقق السلام العالمي، ويحفظ إنسانية الإنسان.

أولاً. حضور كتاب المسألة اليهودية في الأدبيات البحثية والفكرية:

في بداية مراجعتنا لأدبيات الموضوع، تجدر الإشارة إلى أن مالك بن نبي كان قد أنهى تأليف كتابه المشار إليه في يناير 1952، لكنه أرجأ نشره، وتوفي في أكتوبر 1973، ولم ينشر الكتاب، بل تم نشره في يناير 2012؛ أي بعد ستين عاماً على تأليفه.

وأول ما كُتب عن كتاب بن نبي هو مقدمة الكتاب التي كتبها رضوان السيد، ثم نشره في مقال منفصل. أشار السيد إلى أن بن نبي يدخل إلى المسألة اليهودية، بوصفها من العوامل المساعدة للاستعمار، والاستبقاء على القابلية له، وأن السيطرة التي حققها اليهود «حدثت من خلال السيطرة على المنظومات الفكرية الرئيسية في أوروبا والسيطرة والحديث، وهي الآن تسيطر أيضاً على منظومات العمل»¹.

ومن بين أهم ما كُتب حول الكتاب، ما قام به عبد الرزاق بلعقروز، الذي أشار إلى ربط بن نبي بين الحضارة الغربية ومشروع تحديثها وبين دخول اليهود إليها، حتى شكلوا روح الحضارة الغربية وقلبها، ممّا دعا بن نبي إلى تفكيك نقدي للتاريخ الثقافي للحضارة الغربية. وهذا ما جعل بلعقروز يطرح أسئلة مهمة تتعلق بمسألة نص بن نبي عن حقيقة بداية الحداثة الغربية مع دخول اليهود إلى أوروبا، والمنهج الذي توسل به بن نبي في إنجاز دراسته هذه، ومدى وعي المسلم بقوة اليهود في الغرب وتأثيره في مستقبل الإسلام. والتحدي الذي يطرحه ذلك الأمر في وجه المسلمين في سبيل التخلص من القابلية للاستعمار وإنجاز نهضتهم وتحقيق العيش المشترك بدل الصراع مع الغرب². كما أن ميزة ما قدمه بلعقروز أنه نظر إلى مستوًى طرح الموضوع في وقتنا الراهن، والدور العميق الذي تناوله بن نبي في كون اليهود عقل الحضارة الغربية وروحها، وتصنيف بن نبي لليهود على أصناف متعددة، والمنظور الحضاري الذي نظر من خلاله بن نبي إلى المسألة اليهودية في صلتها بالغرب وبالحضارة الإسلامية³. ولولا أنه مقال قصير لكان دراسة متميزة لا يمكن تجاوزها.

أما عماد العبار فيرى أن بن نبي وضع يده «مبكراً على مشكلة الحضارة الغربية، محاولاً أن يفسر لغز المسألة اليهودية ودورها في بناء العالم الأوروبي، وفي ظاهرة الاستعمار»⁴، وأن بن نبي حين كتب كتابه هذا لم يكن الحديث عن الموضوع «من المحرمات بعد، ولم يكن الحديث عن مسؤولية اليهود قد أصبح جريمة يعاقب عليها القانون بتهمة معاداة السامية، فجاء الكتاب صريحاً ومباشراً في تفكيك القضية اليهودية ودورها في بناء العصر الحديث، ونشوء ظاهرة الاستعمار والعنصرية»⁵... وكان بن نبي استشراف «التحولات التي حدثت لاحقاً، والتجريم الذي صار يطال أولئك الذين يخوضون في مواضيع كهذه يمكن وضعه في ذات السياق الذي تحدّث فيه مالك؛ أي في دور القضية اليهودية نفسها في تكوين سياسات الغرب، وقوانينه، ونظرته العامة للأشياء»⁶.

وفي مقال له، كتب إبراهيم العجلوني أننا نفهم من كتاب مالك بن نبي أن «ثمة تواشجاً بنيوياً بين الصهيونية وبين أوروبا المنفلتة من ظلام عصورها الوسطى. وان لليهود سيطرة على أوروبا وأمريكا في شتى مجالات الحياة... وأن الصهيونية أصبحت جزءاً حميمياً من البنية الشعورية والعقلية للغرب»⁷.

وفي رسالتها للماجستير في مقارنة الأديان، تناولت دلال الجار الله⁸ المسألة اليهودية مقارنة بين ماركس وبن نبي. تناولتها باعتبارها قضية دينية ارتبطت بأبعاد متعددة اجتماعية واقتصادية وسياسية. وقد أشارت الباحثة إلى التطور الديني الذي حدث في الحضارة الغربية، حيث تطورت العلاقة بين اليهودية والمسيحية من ندية وشك إلى توافق مصلحي تغاضى عن الاختلافات الدينية. وقد ركّزت الباحثة على دور اليهود في تشكل الحضارة الغربية، وكيف أدخلوا فيها الفكر العنصري والمادية. وتوصلت الدراسة إلى أن المسألة اليهودية في نظر بن نبي هي أحد عناصر الصراع الحضاري في العالم، وأنها من وراء كثير من مشكلات العالم اليوم.

من جهتها رأت سمية قواجلية أن هذا الكتاب رغم أنه كتب منذ أكثر من سبعين سنة فإنه يلامس الواقع الجديد بمختلف متغيراته. كما أنه يُعدّ «هذا الكتاب بمثابة دراسة خارجية ركّزت على القضية الإسلامية في إطارها العام، كما قامت بتسليط الضوء على عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية، التي تبلورت خلالها الهوية اليهودية، أين اتخذت لنفسها مكاناً عالمياً»⁹. كما أشارت إلى تناول بن نبي «الإجابة عن الأسئلة المطروحة حول الهيمنة اليهودية. مبرّزاً من خلال الدراسة كيف قام اليهود ببناء دولتهم معتمدين على استثمار في مجمل الأحداث التي مروا بها على مر السنين الماضية. وكيف استطاعوا التأثير في أوروبا حتى نالوا مراكز القرار والدور العالمي»¹⁰.

وقد تطرق أحمد طرفاوي في دراسته إلى إبراز **هيمن اليهود على الحضارة الغربية ثقافياً وسياسياً واقتصادياً وأثر ذلك في تحول أوروبا إلى العنصرية ونشوء الاستعمار** ^{٦٦} وعلاقة اليهود بالغرب من وجهة نظر بن نبي، وطرق تعرّفه القضية اليهودية، «ومسار استكشافه وتوسيع دائرة معارفه حول القضية اليهودية في أوروبا، ودور اليهود في الحضارة الغربية الحديثة منذ عصر النهضة، وسطوتهم على رأس المال في الغرب، وكذا فاعلية اليهود وقدرتهم على التكيف مع مستجدات الأحداث الأوروبية»^{١١}

أما عبد القادر بن قدور فقد تناول «المسألة اليهودية في فكر مالك بن نبي»^{١٢} من خلال محاور ثلاثة: اختراق اليهود لأوروبا والعالم، والتوصيف الذي أعطاه مالك بن نبي لأصناف اليهود في أوروبا، ثم موقع المسألة ضمن سياق مستقبل الإسلام والتدافع الحضاري. ورأى الباحث أن بن نبي ركز على «الجزور التاريخية للإنسان اليهودي وثقافته وتكوينه، وتحليل الحالة النفسية للظاهرة اليهودية دولياً وإقليمياً؛ لذلك ربط مالك بن نبي بين تجذر الفعل الحداثي في أوروبا والهوية اليهودية»^{١٣}. وعليه كانت الهيمنة اليهودية، وكيفية قيام اليهود «ببناء دولتهم معتمدين في ذلك على الدولار والمرأة والمصلحة، فاستطاعوا تهويد أوروبا والتحكم في مراكز القرار السياسي والاقتصادي والعسكري والديني». وهذا جعلهم «قلب وروح الحضارة الغربية»^{١٤}.

وكذلك الأمر مع مصطفى كحل الذي قام بعرض للكتاب، ورأى أن بن نبي تتبع «التحليل التاريخي للحضور اليهودي في أوروبا، من أجل تفسير الهيمنة اليهودية على أوروبا، وهي الإشكالية التي يتصدى لها بن نبي للكشف عن السر الخفي للعالم الحديث أو لغز العصر، وهو لغز تأثير الفكر اليهودي في بناء العالم الأوروبي والاستعمار، وما ترتب عن ذلك من قابلية للاستعمار»^{١٥}.

إن الدراسات السابقة التي جرت مراجعتها، تمثل في معظمها مقالات قصيرة، لم تتناول الموضوع بدراسة مستفيضة، رغم أنها قدمت أفكاراً مهمة تسهم في فهم دراسة بن نبي لموضوع المسألة اليهودية، وبخاصة السياق التاريخي وهيمنة اليهود على الحضارة الغربية ثقافياً وسياسياً واقتصادياً، وأثر ذلك في تحول أوروبا إلى العنصرية، ونشوء الاستعمار، وصلة ذلك بمستقبل الأمة الإسلامية ومشروعها الحضاري.

لذلك تسعى ورقتنا هذه إلى وضع الكتاب في سياق أطروحة مالك بن نبي لمعالجة مشكلات الحضارة، والتحليل التاريخي والنفسي لدخول اليهود إلى أوروبا وتشكيلهم لروح وعقل أوروبا الحديثة، ثم دور المسلم اليوم في التعامل مع هذا الوضع لتجاوز حالتي

الاستعمار والقابلية للاستعمار اللتين تعوّقان تقديم الإسلام حلاً لمعضلات الحضارة المعاصرة وملاً ذاروحيًا للإنسانية يحتاج من المسلمين وضع إستراتيجية لتحقيقها.

ثانيًا: المحاور الكبرى لكتاب «وجهة العالم الإسلامي: المسألة اليهودية»

إن الناظر في كتاب «وجهة العالم الإسلامي: المسألة اليهودية» يجد أنه يتكون من محاور أساسية لا يمكن إغفالها لفهم أطروحة مالك بن نبي في درس النفوذ اليهودي في الغرب. ذلك أن بن نبي تناول في هذا الكتاب مقدمات نظرية تبين أن تناول «المسألة اليهودية» يندرج في سياق معالجته مشكلة الاستعمار والعنصرية الغربية، ثم بعد ذلك تناول كيفية تطور النفوذ اليهودي في أوروبا في عصرها الحديث، وما يتعلق به من الأصناف التي يظهر فيها اليهودي في أوروبا، ثم بعد ذلك أطروحة بن نبي في كيفية تحول العالم الإسلامي إلى ملاذ للحضارة الإنسانية يخرجها من عصرها الذي هيمن عليه اليهود وتميز بالعنصرية والاستعمار.

1. وجهة العالم الإسلامي بين الاستعمار والقابلية للاستعمار:

يصرح بن نبي في مقدمة كتابه هذا أنه تكملة لدراسته الأخرى التي تحمل العنوان نفسه (وجهة العالم الإسلامي). وبالرغم من أنهما دراستان مختلفتان فإن كليهما تشكل منظوره في دراسة واقع ووجهة العالم الإسلامي في سياقين متكاملين: سياق القابلية للاستعمار، وسياق الاستعمار، وهما سياقان يشكلان العامل الداخلي والعامل الخارجي للتخلف الحضاري في العالم الإسلامي.

يقول بن نبي: «القسم الأول من هذه الدراسة (وجهة العالم الإسلامي) الذي نشر في كانون الثاني/يناير والقسم الثاني الذي نحن بصده الآن مختلفان من حيث طبيعتهما»¹⁶. لكن أين يكمن الاختلاف بينهما؟ وماذا يتناول كل منهما؟ وبأي منظور؟

يجيبنا بن نبي بقوله: «القسم الأول يمكن أن يعتبر في العمق اختصاراً لدراسة داخلية للعالم الإسلامي، وبالخصوص من زاوية (القابلية للاستعمار)، وهذا قد اقتضى العودة إلى استعراضنا خط تطور العالم الإسلامي من قيام حالة القابلية للاستعمار (عصر ما بعد الموحدين)، إلى قيام حالة الاستعمار حينما استعمرت أوروبا المسيحية البلاد الإسلامية»¹⁷. أما هذه الدراسة التي بين أيدينا فيقول فيها بن نبي: «بالمقابل فهذه الدراسة في القسم الثاني من (وجهة العالم الإسلامي) هي دراسة خارجية مستقبلية تركز على القضية الإسلامية في إطار القضية العامة التي سوف تأتي»¹⁸.



وكلاهما تندرجان ضمن سلسلة كتبه: «مشكلات الحضارة». فالحضارة تُعدّ الإطار الذي ينظّم تلك الأجزاء المتفاوتة في ظاهرها المتصلة في باطنها، التي نسمّيها هنا مشكلة سياسية، وفي مكان آخر مشكلة اقتصادية، وفي موضع ثالث مشكلة أخلاقية. وقد كرس بن نبي جهده ومؤلفاته باحثاً عن أسباب الغياب الحضاري للعالم الإسلامي الذي دام طويلاً، وذلك بتّعرف أسبابه، والبحث عن علاج جذري له لا علاج أعراضه ومظاهره الجزئية¹⁹. لكنه يعالج مشكلات الحضارة في العالم الإسلامي، في الكتابين في صلتها بالغرب؛ من منظوري القابلية للاستعمار والاستعمار، كما ذكرنا آنفاً. ومن هنا فإن معرفة الحضارة الغربية وتاريخها يُعدّ أمراً أساسياً لمعالجة مشكلة الحضارة في العالم الإسلامي، وبخاصة أن الحضارة الغربية تُعدّ تجربة لا يمكن تجاهلها في إنجازاتها وفي فوضاها على العالم²⁰. ولهذا يقول بن نبي: «لا شك أن هذا الإشعاع العالمي الشامل الذي تتمتع به ثقافة الغرب، هو الذي يجعل من فوضاه الحالية مشكلة عالمية، ينبغي أن نحللها وأن نفهمها في صلاتها بالمشكلة الإنسانية عامة، وبالتالي بالمشكلة الإسلامية»²¹.

فكلا المسارين: الاستعمار والقابلية للاستعمار يشكّان عاملين للتخلف الحضاري في العالم الإسلامي؛ فإذا كانت القابلية للاستعمار هي ثمرة سيرورة داخلية لحركة المجتمعات الإسلامية عبر التاريخ، ونتيجة لتراكم اختلافات حدثت عبر التاريخ إلى أن

وصلت بالإنسان المسلم منذ عصر "ما بعد الموحدين"²² إلى أن تترهل إرادته الحضارية ويصير في حالة تتقبل أن يتم استعمارها واحتلاله - فإن الاستعمار ثمرة لعامل خارجي هو الحضارة الغربية بعنصريتها ونهبها لخيرات الشعوب خارج أوروبا في العصر الحديث.

ولكن هذا العامل الخارجي (الاستعمار الغربي) الذي يعمق تخلف أمتنا، ويسهم في تعطيل سعيها للتحرر، يستوجب منا فهماً ووعياً وفق منهج يستوعب تشكل الغرب الحديث ويفهم مكوناته، وتحوله إلى هذه العنصرية التي تستعلي على الشعوب وتغزوها، بل وتشكل العالم الحديث، الذي وصل بعد الحرب العالمية الثانية إلى نقطة تستدعي بديلاً حضارياً مختلفاً، وبخاصة بعد الإخفاق الأخلاقي للحضارة الغربية، وفقدانها لإنسانيتها.

وهذا لا يكون من دون ترشيد السياسة الإسلامية وبنائها على وعي منهجي. يقول بن نبي: "العنصرية والتجريبية والعاطفة النبيلة والغضب المقدس؛ ذلك كله، هو طابع السياسة الإسلامية اليوم... وقد تشفى أمراض بأعجوبة عقب غضب كهذا، ولكن متى؟ وكيف؟ هذه مشكلات لا تفرضها التجريبية كما لا تطرحها كمشكلة. فالعالم الإسلامي سوف يشفى مع الزمن - بدون شك - من قابلية الاستعمار، وغضبه الحاضرة ضد الاستعمار ستساعده بالتأكد، ولكن كيف؟ ومتى سيشفى؟ إذا لم يبن على وعي منهجي له مقدماته ونتائجه"²³.

هذا الوعي المنهجي الذي له مقدماته ونتائجه ينبغي، كما توجه في الجزء الأول من «وجهة العالم الإسلامي» إلى دراسة تيارات الإصلاح، وفوضى العالم الإسلامي؛ تلك الفوضى الموروثة وتلك التي جاء بها الغرب وعمقت فوضانا، مما جعل الغرب يفقد مكانته أن يكون نموذجاً للخروج من التخلف، فإن الجزء الثاني انصب على دراسة تاريخية استشرافية في الوقت نفسه. حيث إن الجزء الثاني من «وجهة العالم الإسلامي» انشغل أساساً بموضوع «المسألة اليهودية». فبن نبي قدّم استشرافاً مفاده أن اليهود «سيملكون العالم ويسودون في مجالات الحياة العلمية والسياسية والدولية؛ في الوقت الذي كان اليهود لم يملكوا العالم بصورة كما هم عليه اليوم؛ فهو نوع من الحسن المستقبلي الذي يبنّي على تأويل الحاضر نحو المستقبل»²⁴.

هذا الاستشراف بناه على استقراء تاريخي لحركة الشتات (Diaspora) اليهودي نحو الغرب، واستقراره في أوروبا، وإسهامه في نشأة الغرب الحديث. وهذا أدى إلى نوع من التداخل بين الهوية اليهودية والحدثة في تاريخ أوروبا. وقد ركّز بن نبي على هشاشة الهوية الأوروبية قبل العصر الحديث، وهو ما سهل للشتات اليهودي المتجه غرباً اختراق المكون المسيحي لأوروبا، والدخول في بنيته الحديثة، وتهويد أوروبا؛ ليس على المستوى العقدي بتحويلها إلى الديانة اليهودية، ولكن بفهم اليهود للحاجة الأوروبية التي

تتطّلع لكل ما هو جميل ومفيد، فقاموا بتوفير تلك الحاجات بتكوين يهودي، حتى برزوا وبرعوا فيه، ومن ثم أمسكوا بمراكز سياسية واقتصادية وصناعية وإعلامية كبرى حتى أصبحوا مشرعين للقرارات المصيرية في أوروبا²⁵، بل ومحورًا رئيسًا في تطوّر الحضارة الأوروبية. وهذا ما سعى بن نبي إلى تتبعه تاريخيًا وتحليله نفسيًا واجتماعيًا، حيث كان يراه واضحًا جليًا أمامه في 1951 كمسيرة مستمرة إلى نهاية القرن العشرين وتمهد لعصر جديد. على المسلمين أن يكونوا على وعي بالتحوّلات الحاصلة فيه للإسهام الإيجابي في الحضارة والخروج من وضعية التخلف والقابلية للاستعمار²⁶.

2. تهوّد الحضارة الغربية الحديثة:

في سياق هذه الفكرة، فإن بن نبي ليس الوحيد من بين المفكرين المسلمين الذين قالوا بفكرة تهوّد الحضارة الغربية في مستوى قيمها ورؤيتها وعلومها ومنتجاتها الحضارية، فقد ذكرها المسيري وطه عبد الرحمن وغيرهم²⁷. ولكنه يُعدّ رائدًا في ذلك، حيث كتب عن الموضوع مبكرًا.

ففي مذكراته يذكر بن نبي اليهود وكيفية سعيهم للهيمنة الاقتصادية والسياسية والثقافية، بمساعدة الاحتلال الفرنسي الذي نزع من الأهالي الجزائريين أملاكهم ومنحها لليهود والمستوطنين الأوروبيين، وأعينهم على فلسطين²⁸. ويبدو أن هذه الملاحظات التي سجلها وهو طالب، قد سجلها أيضًا في مذكراته وهو كاتب، عندما رأى سرعة استجابة الأوروبيين لشكاوى اليهود والمصارعة إلى حلها بينما لا يلتفتون إلى صرخات المسلمين في فلسطين أو في غيرها²⁹، وهذا ما جعله يعيش حيرة دفعته إلى طرح تساؤلات عنها، وقادته إلى ضرورة التتبع التاريخي لتشكيل هذا التأثير اليهودي في أوروبا. ولهذا يقول بن نبي: «إني كنت أرى في تاريخ (إسرائيل) ظاهرة محيرة: عندما ألفت ساعة الشتات، أي الخروج الثاني لهم خارج فلسطين، توجه اليهود نحو أوروبا التي لا تزال حينها متوحشة ودون تجارة، عوض التوجه نحو آسيا المتحضرة التي كانت تزدهر فيها التجارة»³⁰. وكان بن نبي يرى أن هذا السؤال لم يطرحه أي مؤرخ رغم أنه سؤال تفرضه طبيعة هجرة الشتات اليهودي نحو الغرب. يقول بن نبي: «لم يطرح أي مؤرخ هذا السؤال الذي بدا لي مسلّمة قطعية. وكان الجواب يفرض نفسه على ضميري. لقد أحس اليهود غريبًا أن نفوذهم سيكون في أوروبا، أي في البلدان الوحيدة التي يمكن لهم أن يسيروا فيها الأفكار والرجال على هواهم»³¹.

هذه الملحوظات التي سجلها في مذكراته عبر مراحل عمره - كما يذكر بلعقروز في مقاله القيم - قادت إلى الانتباه «إلى أهمية تجاوز المظاهر السطحية المباشرة وتعميق السؤال حول البنية العميقة للأحداث والمظاهر» عند «تفحصه للظاهرة اليهودية»³².

وبالرغم من ذلك، فقد كان على وعي أنه يعالج مسألة فيها من الخفايا ما يصعب مهمته، وقد يجعل الجيل المقبل يشكك في المعطيات التي يبني عليها تحليله واستشراؤه. يقول بن نبي: «إنني المسلم الوحيد في هذه اللحظة الذي يحاول أن يترك للجيل الذي سيأتي مفتاح ما يُخفي الغرب من استيطان طبع عالما هذا الذي من حولنا... وحينما أستعمل عبارة الاستبطنانية هذه لمسيرة الغرب؛ فلست أعني هنا المعتقد الديني الغيبي الملازم للأشياء التي صنعت العالم الحالي، بل هو ذلك السر الخفي نفسه الذي يظهر ظلا لبعض الرؤى، إنما لا يشف عن حقيقته، ومن المؤسف أن غبش رؤية ما سوف أشرحه في هذا القسم الثاني يتجلى خيالا في حالات معينة أو يمنحها في حالات أخرى تفسيراً ناقصاً».³³

ولذلك، حاول بن نبي مقارنة «المسألة اليهودية» من منظورين متكاملين؛ منظور تاريخي يتتبع رحلة الشتات اليهودي إلى أوروبا، ومنظور نفسي اجتماعي يحلل التحولات النفسية والاجتماعية التي رافقت هذا الاستقرار اليهودي في أوروبا وأثره في الذهنية والنفسية الأوروبية، وفي واقع أوروبا العصر الحديث. وذلك ليصل إلى نتيجة يريد أن يبينها في وعي المسلم المعاصر، ليعي واقعه وكيف يتعامل مع الغرب الاستعماري المتهود ثقافياً وسياسياً واقتصادياً. والنتيجة التي ذكرناها هي قول بن نبي: «إن أوروبا هي مهد العالم الحديث، لكن الحدث الرئيسي لكلمة أوروبا في التاريخ هو وصول اليهود إليها كشخصية مستقلة عن الفكرة المسيحية، وهي التي سيطرت على سائر تسلسل حضارتها».³⁴ وهذا بحق، نص مركز مكثف الدلالة عن هوية الحضارة الغربية الفعلية، ونتيجة تربط ربطاً قوياً بين هوية أوروبا الحديثة وبين الفكر اليهودي والحضور اليهودي فيها.³⁵ وهذا الدخول اليهودي إلى أوروبا، يجده بن نبي بيتاً في مختلف جوانب الحياة في أوروبا، وفي مختلف المجتمعات الأوروبية، في المال، والعلم، والسياسة، والصناعة وغيرها.

لإثبات وجهة نظره في أثر هجرة الشتات اليهودي إلى أوروبا، يستعمل مالك بن نبي التتبع التاريخي لهذه الهجرة، ويرفقها بتحليل نفسي لأسبابها والتحولت التي صاحبها في شخصية اليهودي نفسه، وفي تشكل هوية أوروبا الحديثة. ولهذا فإن الاكتفاء بالأشياء الظاهرة يخفي عنا حقيقة أوروبا الحديثة ودور اليهود فيها. ولذلك يرى بن نبي أننا «لكي نفهم عالماً ما لا يكفي أن ندرسه في مظاهره البادية فحسب، بل من خلال روحه التي تتوارى خلف مظاهره الرائجة».³⁶

ويتعجب بن نبي من تغافل المؤرخين عن طرح سؤال عن مسوغات توجه اليهود غرباً لا شرقاً، بالرغم من أن المنطق يقول: إن الشرق أقرب إليهم بحكم الارتباط الثقافي

والتاريخي. يقول بن نبي: «لم يسأل أي مؤرخ: لماذا أخذ الشعب اليهودي هذا الاتجاه دون سواه؟ علمًا أن الاتجاه نحو آسيا هو الأجدى والأجدر والأوفر لأسباب بادية؛ فاليهود ينتمون من حيث الجنس إلى أصل شرقي، ثم إن الرخاء التجاري والحضاري يحتم اختيار الانطلاق نحو مدن تتلاقى فيها عقدة الطرق التجارية والعالمية، كما هي حركة الانتقال بين الشعوب لألفي عام بين الهند والصين، وهذه الطرق تتلاقى حين تمر بالضرورة عبر الشاطئ اليمني - الطريق البحري - أو عبر فارس وآسيا الوسطى عبر خطوط القوافل».³⁷

يعلّل مسار هجرة اليهود إلى أوروبا، الذي يعود إلى بدايات نشأة المسيحية ذاتها، بأن اليهودي بعد بداية الشتات لم يجد له موطئ قدم في الشرق؛ لأن الشرق تاريخيًا كان متحضرًا ومتفوقًا من الناحية الثقافية والحضارية ولا يمكن أن يجد فيه اليهودي مكانة قيادية، رغم أنه يستطيع العيش فيه، ولكن ليس كقوة قيادية. ولهذا فإن فهم اليهود للشرق وثقافته وصلابته الفكرية والحضارية، دفعهم نحو الغرب بدلًا من البقاء في الشرق. فقد وجدوا في أوروبا بيئة ملائمة خصبة، إذ لم تكن أوروبا عند دخول اليهود إليها قد سلكت طريق التضرع بعد، ونجحوا في كسب تعاطف الغربيين وشفقتهم، رغم الماضي المتوتر بينهم بسبب الاعتقادات المسيحية.³⁸

ثم يستمر بن نبي في تقديم مجموعة من التفسيرات المركبة، حيث يجمع بين العوامل الدينية والنفسية وتأثير الثقافة. وفيما يتعلق بتأثير الثقافة، يرتبط اليهود تاريخيًا بالحضارة الآشورية والفرعونية، وهذا جعل صورهم الذهنية ترسم دائمًا صورة الخادم أو الشخص المنبوذ. ومن هنا، لا يرغبون في تكرار تجربة أجدادهم كعبيد، خاصة وأن تحليل المؤرخين يؤكد هذه السمات بشكل مشابه³⁹. وهذا يؤكد نص مهم لغوستاف لوبون يقول فيه: «ظل اليهود حتى آخر مرحلة من تاريخهم في أدنى درجة من الحضارة قريبين من دور التوحش الخالص، ولم يجاوز اليهود طبائع أمم الزراع والرعاة إلا قليلًا جدًّا، وخضع اليهود لنظام رعائي، ولم يكادوا يدخلون دائرة التطور الاجتماعي»⁴⁰، فمن الناحية الثقافية كانوا على هامش الأمم المتحضرة في الشرق.

أما من الناحية النفسية، فيتجه بن نبي إلى تحليل نفسية اليهودي الذي له بنية نفسية خاصة، تجعل منه لا يستطيع العيش في الشرق الممتلئ ثقافيًا وحضاريًا، وغير قابل للتوظيف لأهداف اليهود، ولهذا وجد اليهود في أوروبا في بداية تشكلها عجينة رخوة قابلة للتشكل وفق خصوصيتهم وتحقق أهدافهم في التأثير وعدم التأثر. يقول بن نبي: «فالشعب اليهودي له خصوصية معروفة جدًّا ولها موقعها في علم النفس الإنساني،

وخياره قد وجد مساحته كاملة في العجين الرخو البادي في طبيعة الأوروبي، وهذا هو السبب الأكيد في خيار لا محل له في طبيعة الشرقي على الخصوص، فالرجل الشرقي يعيش روحه وفكره وينظر إلى علاقاته مع الآخر من فكره.⁴¹ ففي تلك الحقبة التاريخية، لم يكن للغرب ماض ثقافي قوي يقدم نماذج واضحة للرؤية أو التصنيف؛ لذا، أدرك اليهود أن الشرق لا يُنظر إليهم على أنهم مجتمع خلو من أي هوية ثقافية، بل يُنظر إليه من خلال نموذج ثقافي معين يعكس دلالاته، وكيفية استخدامه لإخفاء هذه الهوية وتمويهها. بالإضافة إلى ذلك، كان لدى اليهود تحفظ كبير حيال التعريف بانتمائهم الديني، وبخاصة في بدايات وصولهم إلى أوروبا، بسبب الكراهية الصامتة والغريزية التي كانت تحيط بهم.⁴²

لا ينفي بن نبي أن اليهود في بدايات وجودهم في أوروبا كانوا يسكنون الجيتو (Ghetto) على هامش المدن الأوروبية، ولكن مسار تحولهم من الهامش إلى المركز أخذ ألفي سنة تقريباً، ليتحولوا إلى مركز الحضارة الغربية وعقلها وروحها، حتى صار الجيتو "شيئاً فشيئاً في قلب لندن، وعقل أمة، ومرجع الإمبراطورية"⁴³ في أوروبا كلها لا في لندن فقط.

هذا التحول منذ بداية الهجرة اليهودية إلى أوروبا حتى تحول اليهود إلى قوة صانعة لهوية أوروبا الحديثة يرصده بن نبي من خلال تحويل الهوية المسيحية لأوروبا إلى هوية علمانية؛ ليستطيع اليهودي الخروج من عزلته في الجيتو إلى تحقيق مواطنة يستوي فيها مع المسيحي، ثم تطور الأمر إلى سيطرة اليهود على المال والأعمال والصناعة والفكر والعلم والسياسة إلى الحد الذي وصلنا إليه اليوم، حيث تبدو أوروبا ذات روح وعقل يهوديين، تستجيب لمطالب الكيان الصهيوني ولرغبات اليهود بلا تردد؛ لهذا يدعونا بن نبي إلى أن نتابع «خطوة خطوة مسار اليهودي وشرطه الأولي في الولوج في عمق أوروبا وصولاً إلى سدة قيادته الحالية، وعلينا أن نمسك بالمراحل الخاصة التي سوف تقوده يوماً... إلى فلسطين، وهو اليوم الذي عرفه جيلنا.⁴⁴ إن بن نبي هنا يدعونا لتتبع «اليهودي التائه في نفسية الأوروبي»⁴⁵، الذي دخل من باب الشفقة التي يشعر بها الأوروبي نحوه، ويسمح له بالعيش في الجيتو؛ ليتحول بعدها إلى «محور في تطور الحضارة الغربية»⁴⁶، ويؤثر في مختلف مجالاتها. ويذكر بن نبي نماذج كثيرة على تأثير اليهود في أوروبا؛ في قطاع المال والأعمال، وفي الأكاديميا، والصناعة، وغيرها.

ويستعرض بن نبي أمثلك كثيرة ليدلل على هذه الحقيقة، حيث يظهر تأثير اليهود في المجتمع بوساطة المال والصناعة، حيث يكون اليهودي هو صاحب العمل و«وراءه



سائر البنوك التي أنشأها جدوده في كل مكان، وهي دائماً خلف تقدمه، فليديه أبناء هم المؤسسون، سواء كانوا في باريس أم لندن، وآخرون في برلين، ومن ثم آخرون في نيويورك؛ فمورجيو في (City)؛ وهو ابن عم مورجان في (wall Street) وروتشيلد باريس هو ابن عم روتشيلد لندن، و(Shneider du Chreusot) هو ابن عم (schiffer) في نيويورك، وفي كل مكان لديهم أبناء عم، ولكل منهم اختصاص. فروكفلر هو ملك البترول، وواحد من أبناء عمه لا بد أن يكون ملك شيء آخر.⁴⁷ وغيرها من شركات المال والصناعة في فرنسا وأوروبا عموماً، مثل شركة ستروان وغيرها.

وكذلك في الميدان الفكري والفلسفي والعلمي، في كامل أوروبا، فنجد هذا التأثير في هولندا منذ إسبينوزا وكتابه في الأخلاق وفلسفته «التي سوف يبتنى عليها من الوجهة النفسية؛ ضمير عصر استعماري»⁴⁸، ونجد هنري برغسون، وأندريه مورو، وسارا برنار، وماري كوري وغيرهم في المجتمع الفرنسي. و«هكذا نرى في هولندا الحالة نفسها في انتشار اليهود كما في أمريكا، ويكفي القول: إن هذه البلاد أصبحت ملجأ لليهود العالم، كما أن الذين تركوا البلاد التي وُلِدوا فيها لسبب أو آخر قد استقبلتهم أمريكا بانفتاح، فأينشتاين الذي طرده هتلر من الجامعة الألمانية استقبله (Princeton)».⁴⁹

والأمر يتعدى إلى جوانب أخرى من الحياة الأوروبية، وبخاصة القيادات السياسية والمالية والصناعية. وكما هو الأمر «في فرنسا فكذا في بريطانيا؛ كبار القادة والماليين

والصناعيين والأكبر اختصاصاً في الطب، ثم إن الخياط الأفضل في بريطانيا هو بصورة طبيعية يهودي»⁵⁰، وفي إنكلترا يبدو الأمر أكثر وضوحاً، حيث «يبدو الانتشار اليهودي أكثر دلالة في الماسونية»⁵¹. ليس ذلك فحسب، فإن أمريكا ذاتها بحسب بن نبي ما هي إلا مزرعة يهودية، بل إن «(Wall Street) حيث سيطر الدولار في العالم الحاضر هي يهودية كما هي (City) في إنكلترا. فقد خيم اليهود في أمريكا على مساحة السلطة السياسية في الممارسة العملية، فيما تركت الواجهة لروزفلت وسواه، واليوم تُدار السياسة الأمريكية عبر يهودي (Bariel).»⁵²

ويعقب بن نبي على ذلك بأنه يشير إلى المشهورين فقط، وأنه يذكر أمثلة مختصرة فقط. بقوله: «هكذا نرى أماننا قائمة من القيادات اليهودية في مختلف المواقع والميادين لها دلالتها ومعناها، وأنا هنا أشير إلى المشهورين، وأتجاوز الحديث عن الآلاف التي تترافق بالضرورة مع الانتشار المتسارع لليهود، ويأتي في المقدمة الإنتاج السينمائي والصحف الكبرى»⁵³

3. أصناف اليهود في منظور بن نبي:

يشير بلعقروز إلى فكرة سائدة عن اليهود، وهي اعتقاد الكثيرين أن اليهود هم جماعة واحدة، لهم آراء وثقافة واحدة. غير أن التحليل العميق يظهر حقيقة مغايرة، إذ يُظهر أن اليهود مجموعات متعددة بدلاً من جماعة واحدة. ولكن بين هذه الجماعات رابط يوحدّها، وهي الإيمان المشترك بالأرض الموعودة والوطن المفقود، بينما تختلف هياكلهم وتنظيماتهم بشكل متباين.⁵⁴ وهذه الفكرة التي ذكرها بلعقروز نجدها واضحة في أطروحة بن نبي عن «المسألة اليهودية» حينما نبه على ارتباط يهود الشتات برابط نفسي يوحد مختلف قبائلهم وأصنافهم. حيث يقول بن نبي: «لفهم نفسية يهودي في الشتات؛ هناك شيء أساسي هو أن اليهودي لا يترك وطنه نهائياً دون أمل في العودة إليه. فالوطن هو الأرض الموعودة لأجداده وأحفادهم، وهو يتمثله عودة نهائية إليه في فكره وأحلامه؛ لأنه القطب الذي يشده إلى قدره».⁵⁵

وهذا الرباط النفسي والحنين إلى الوطن الموعود في رأيهم، هو ما يجعل اليهودي حينما كان يوالي اليهودي الآخر في أي مكان وُجد، عبر مختلف أجيال الشتات. ويمكن ملاحظة ذلك في واقعنا اليوم لنرى «كيف أن اليهودي الأمريكي والإنجليزي والألماني يلتقي في فلسطين مع يهودي شمالي إفريقية...»⁵⁶. وهذا ما دعا بن نبي إلى محاولة تصنيف اليهود في أوروبا أصنافاً عديدة. ولكن ما ينبغي الانتباه إليه أن بن نبي نظر إلى هذه الأصناف المتعددة لليهودي في أوروبا من منظور مسار التطور التاريخي للحضور

اليهودي في الحضارة الغربية، وكذلك من منظور نفسي يبين في كل صنف ما تتميز به شخصية اليهودي بحسب المرحلة التاريخية.

وهذا التقسيم يمثل «تسلسل الاندماج الاجتماعي الذي سلكه اليهود وطبيعة انخراطهم في الدول الغربية، بحسب تطوّر تلك الحلقات النفسية التي مرّ بها اليهودي».⁵⁷ ويمكن وضع هذه الأصناف أو التقسيمات كما في الجدول الآتي.⁵⁸

أ. اليهودي التائه:

يتزامن وجود هذا الصنف مع عصر ما قبل النهضة في أوروبا. في هذا العالم الذي وصل إليه اليهود، يجد اليهودي نفسه أمام صراع داخلي في ضمير المسيحي؛ إذ يُعدّ أولاً قاتلاً للمسيح، وفي الوقت نفسه فهو يحمل مسؤولية وعد الله لإبراهيم وذريته. ولذلك لم يرغب اليهودي في هذه المرحلة أن يكون معروفاً، ولا يمكنه الاندماج في المجتمع الأوروبي إلا إذا كان وجوده يلفّه الغموض والأسطورة. المسيحي الذي يلتقي به يتجاهله غالباً ويظهر إشارات الصليب التي تبعد الروح الشريرة. واليهودي هنا يعرف أنه محط كراهية. وأمام الشعور الذي يتابه بسبب ما تُغلف به حضوره بنظرة الشك والازدراء في عيون المسيحي، بدأ يث في إحساس الأوروبي أسطورة اليهودي الهائم على وجهه، بدلاً من صورة اليهودي الجشع الدنيء المثير للاشمئزاز. وبهذا النحو، انتقل إلى صورة عاطفية تثير الشفقة والرحمة نحو اليهودي الذي يهيم على وجهه جزاءً على خطاياها بدون استقرار.⁵⁹ وهنا يكمن التحول النفسي الأول الذي حدث في نفسية الأوروبي تجاه اليهود.

ب. اليهودي المثقف:

مع بداية عصر النهضة، وبداية ظهور العلمانية، وجد اليهود فرصة للإسهام في ميادين النهضة الأوروبية التي كانت تُبرز أسماء يهود في واجهتها. وهنا يبرز تجميع الطاقات اليهودية، والإسهام في «تكوين الأفكار في أوروبا، وعلى الخصوص فكرة الاستعمار... التي تركز على الكراهية لكل ما هو آسيوي، وهي ردة فعل مزدوجة: الكراهية لآسيا وللإسلام معاً»⁶⁰. هذا الانخراط اليهودي في الحياة الثقافية الأوروبية في عصر النهضة، حقّق لهم هدفين مهمين؛ أما الهدف القريب فهو الخروج من عزلتهم المعنوية داخل الحيت، وأما الهدف البعيد المدى فهو إدارة الحياة الفكرية الأوروبية الوليدة بكاملها. والمجتمعات الأوروبية التي فتحت أبوابها لليهود الذين كانوا بؤساء ومساكين، فإن ازدياد عددهم، واستمرار انخراطهم في الحياة الثقافية جعلهم يتبوّؤون المكان الأبرز في الحياة الثقافية والفكرية منذ عصر النهضة الأوروبية.⁶¹

ت. اليهودي المواطن:

للتخلص من الصورة النمطية التي كان عليها اليهودي في الضمير المسيحي، واستغلالاً للشفقة والرحمة تجاهه من قبل الأوروبي، زاد اليهودي سعيه للخروج من نمط الحكم القديم القائم على الروابط المسيحية بين الحاكم ورعيته، وأسهم في الثورة الفرنسية، وإعلان حقوق الإنسان، والدعوة للمواطنة، ليتحول من ساكن الجيتو المسكين المستحق للشفقة أو اليهودي الخبيث المشكوك فيه إلى مواطن كامل الحقوق، بل حتى الأسماء جرى تغييرها. «إعلان حقوق الإنسان والمواطن كان لازماً في إطار خطة عمل اليهودي في العالم، وهو الأكثر أهمية إذا ما اعتبر في فرنسا في مستوى القانون كي يعمل في ظله. من خلال هذه الصفة (المواطن) كان اليهودي قد أخذ من سائر أوروبا بعض لون الأرض التي يعيش فيها، ولن يُسمّى أحد بعد ذلك باسم دافيد، إسحاق، إسرائيل، بل دزرائيلي أو ابنهايمر أو فرنسيس دكرواسي».⁶²

ث. اليهودي الحديث:

يؤكد بن نبي ما ذكرناه سابقاً، حينما بين أن اليهودي مهما كان فإن هناك رابطة نفسية تربطه بغايته النهائية ووطنه الموعود؛ لهذا يقول بن نبي في سياق تحليله لنفسية اليهودي الحديث: «ستكون كلمة (الحديث) بالنسبة لليهودي لا معنى لها؛ لأن اليهودي كالأشياء الثابتة مع الزمن لا عمر لها؛ لأنها لا تتغير أبداً. فاليهودي الآن أصبح مواطناً قد نزع عنه اللحية واللباس وكل ما يميّزه كيهودي، لكن أفكاره هي نفسها على مر الزمن»⁶³ لكن هذه المرحلة شهدت تحول اليهود إلى أرباب أعمال، «تحت قناع النظام الاجتماعي الأوروبي، ومن تهويد الديمقراطية للمساواة إلى الطموح على رأس التراتبية»⁶⁴ وكونهم صلوا إلى رأس معظم الأعمال جعل منهم المخططين لما تعمل عليه أوروبا، حتى صار «تنظيم أوروبا الإداري تحت إشراف يهودي»⁶⁵.

ج. اليهودي المذهبي المتزمت:

يعطي بن نبي ملحوظة مهمة جداً في عمل اليهودي، وهو أن «عمل اليهودي يبني وبذور تهدمه في تضاعف بنائه»⁶⁶. وهنا يجيبنا بن نبي أن اليهود الذين ابتدعوا الرأسمالية، وجدوا أنهم سرّعوا مسارها بما لا يحقق أهدافهم، ولهذا فإنهم كانوا في حاجة إلى أيديولوجيا مضادة لها، وهنا تأتي الماركسية. «فاليهود هم الذين ابتدعوا هذا العالم الرأسمالي. وإذا غدا شيوعياً ووطنياً واشتراكياً فذلك لأنهما جملتان مختلفتان لرد فعل واحد. وهكذا أصبح العالم متهوداً، لكن اليهود رأوا أنهم استعجلوا نتائجهم»

هذه بما ليس في خطتهم حينما واصل تطوره الطبيعي، وهكذا بدا وكأنما اليهود ضد عملية التهوديد هذه، فعمدوا إلى تحويل طريقها بما سارع إليه ماركس⁶⁷ فالحاجة كانت ملحة إلى أيديولوجيا مترممة كالماركسية؛ لأن سيرورة الرأسمالية اتجهت خارج ما كانوا يسعون إليه، لكبح جماحها.

ولهذا كما يقول بن نبي أن ماركس رأى «أن ثمة خطرًا يدهم إمبراطورية عصره، وهكذا قيد المسار حينما طرح كتابه (رأس المال) كمعيار عقدي كي يضيف إلى الرأسمالية نتائج في مصلحة مملكته اليهودية. فالماركسية في الأساس كنظام جاءت تبطن بالثورة القادمة لأغراض تتصل بالمصالح في المملكة اليهودية.»⁶⁸ ويستدل بن نبي على ذلك بالمساعدات التي قدمها كبار رجال المال والبنوك والأعمال الرأسماليون الغربيون في أوروبا وأمريكا للثورة البلشفية في شكل قروض ومساعدات مادية في الوقت الذي كانت فيه غير قادرة على الاستمرار.⁶⁹

ح. اليهودي العالمي:

ما ميّز شخصية اليهودي في هذه المرحلة هو تسلّم قيادة الحضارة في أوروبا، في شتى الميادين التي ذكرناها سابقاً عند تشكيلهم روح أوروبا وعقلها، وتذكير الأوروبيين بدور اليهود في نشأة إمبراطورياتهم الاستعمارية وتوسعها. ويعتبر بن نبي أن ذلك ظهر جلياً مع الرسالة التي أرسلها الكنيس العالمي للشعب الهولندي، التي جاء فيها: «يُرَجَى من الشعب الهولندي ألا ينسى أن اليهود هم الذين أقاموا إمبراطورية هولندا الاستعمارية، فأصبحت الإمبراطورية هي الأغنى».⁷⁰

بل إن بن نبي يرى أن هذه المرحلة بدأت مع استقرار آل روتشيلد في باريس، «ومنذ ذلك التاريخ يصح التساؤل كم من هؤلاء العلماء الكبار يستطيعون إدراك أن ترومن ليس سوى صورة، وأن باروخ وارث روتشيلد هو الملك الحقيقي الذي يسير جمهورية الولايات المتحدة!»⁷¹. وهذا الرأسمال المتحكم في أوروبا وأمريكا هو التعبير المحسوس المادي عن «سيطرة اليهود على العالم»، وهو الذي يشكل روح الرأسمالية الغربية.⁷² فاليهودي العالمي مؤسّر على أن اليهودي صار يتحكم في رأسمال العالم، ويوجه الحركة الاستعمارية الغربية. وهو في ذلك محكوم بفكرته الأصلية الاستعلائية العنصرية. أو كما يقول بن نبي: «فاليهود رأوا في العالم طبيعتين من الكائنات: اليهود وهم الشعب المختار، والحظيرة وهي التي يُحشَر فيها عموم الجنس البشري الغوييم»⁷³. ومن هنا زرعوا في الثقافة الأوروبية العنصرية وأنتجوا الاستعمار.

خ. اليهودي الذي رمى القنّاع:

أما الصنف الأخير، فهو اليهودي الذي رمى القنّاع، بعد ألفي سنة. وفي هذا يقول بن نبي: «هكذا ألقى اليهودي بالقنّاع بعد ألفين من السنين، وكما خرج اليهودي من الجيتو ليصبح مواطناً في بلد أجنبي ها هو اليوم يخرج من الظل، من الخيال»⁷⁴ وهذا يخرجه من الهامش، ويجعله يعلن ميلاد دولة «إسرائيل» وجنسيته، و«بقدر هذه الجنسية أعلن نفسه مؤلف ومعلم العصر الحديث...»⁷⁵. وبهذا الإعلان، ونزع القنّاع، يعلن اليهودي نهاية عصر اليهودي المتخفي الهامشي إلى اليهودي مركز العالم الذي يجعل العالم كله في خدمة جنسيته في «إسرائيل».

وبالرغم من أن هذه الهيمنة اليهودية على أوروبا، فإنه كما يقول بن نبي: «كثيراً ما تسير الأفكار إلى أبعد من العقل الذي ابتكرها»⁷⁶. فإن هذه الإمبراطوريات الأوروبية الاستعمارية التي أسهم اليهود في تأسيسها، صاروا هم ضحية لها، وبخاصة مع تطور القومية والولاء للجنس الآري، وهذا جلب انتباه بعض من الأوروبيين كما فعل هتلر، وحاول القضاء على النفوذ اليهودي، غير أنه أخفق كما يرى بن نبي؛ بسبب أن هتلر نفسه استعمل شعاراتهم ومفاهيمهم أنفسهم كالعنصرية والاستعمار اللذين هما «الخلاصة اليهودية التي تختصر كل تاريخ الدياسبورا»⁷⁷.

إن هذا التحليل الذي قدّمه مالك بن نبي للمسألة اليهودية، يذكّرنا بما قام به بعض المفكرين الذين جاؤوا بعده أمثال إسماعيل راجي الفاروقي⁷⁸، وجمال حمدان⁷⁹، عبد الوهاب المسيري⁸⁰، لكن تحليل بن نبي كان سابق لكل تلك الجهود، وهو تحليل لتطور التمرکز اليهودي في أوروبا، والتحوّلات التي حدثت في مسارهم، يكشف بوضوح الثقافة الواسعة التي لدى بن نبي عن هذا المسار التاريخي لليهود، وإستراتيجياتهم في السيطرة على الشعوب والثقافات الأخرى، بالإضافة إلى الاستعدادات النفسية والميول الثقافية التي مكّنتهم من التحكم بالحضارة الغربية الحديثة. ولذلك فإن هذين التحليلين التاريخي والاجتماعي النفسي مهمّان جدّاً في فهم الظاهرة الصهيونية وهيمنتها وبسط نفوذها وكيفية التعامل معها، رغم مرور أكثر من نصف قرن على ما كتبه بن نبي.⁸¹ ويعطينا مفاتيح من خلالها نتّمكن من التعامل بفعالية مع السيطرة اليهودية على الحضارة الغربية، والوعي بكيفية تفكيك هذه السيطرة، لحماية الإنسانية من عنصريتها، والإسهام في تحقيق السلام العالمي واستعادة دور المسلمين اليوم.

ثالثاً. الدور الحضاري للإسلام في مواجهة آثار تهود الحضارة الغربية:

كما ذكرنا في الصفحات السابقة، لم يستطع اليهود أن يجدوا لهم مكانة تمكّنهم من تحقيق هيمنتهم في الشرق كما سبق القول في العنصر السابق؛ لأن شعوب الشرق كانت عريقة في الحضارة، ولها وعي بذاتها الحضارية التي لا يمكن تطويعها لمصالح اليهود؛ لهذا توجهوا إلى أوروبا في بداية تشكّلها؛ لأنها كانت خلواً من الحضارة، وعجينة رخوة قابلاً للتشكل على أيديهم. والأمر الأكثر وضوحاً في عدم قدرة اليهود على اختراق الشرق هو الإسلام ذاته والحضارة الإسلامية. يقول بن نبي: «إن العربي يحمل في دعوته للإسلام نظاماً جديداً ذا عمق ديني يخالط الروح في الصلة بين الفاتحين والأهلين الذين تبلغوا الدعوة، ولا يترك أي موقع للعبقريّة المادية لدى اليهودي»⁸². ولذلك وجد اليهودي منافساً خطيراً لطموحاته في الهيمنة، «وبخاصة في الأندلس؛ لذا ألزمتهم الحقبة الإسلامية التوقف في طريقه؛ لا يستطيع النفاذ إلى أهدافه إلا ثغرة دسّ خفيّ ينفذ منها إلى هدم الحضارة والإمبراطورية الإسلامية، فالعربي في دعوته الروحية كالقرطاجيين القدماء في مكانتهم الاقتصادية والتجارية؛ كلاهما منافس خطير لمسار الشتات اليهودي التاريخي»⁸³.

غير أن هذا التوجه اليهودي إلى أوروبا جعل بن نبي يتتبعه تاريخياً ونفسياً، ويرى إسهامه في الحضارة الغربية إلى أن صار روحها وعقلها، حتى أورثها الاستعمار والعنصرية، وجعل العالم يعيش حالة صراع واستقطاب يكاد يقضي على الحضارة الإنسانية. وقد شهد بن نبي قيام الحربين العالميتين، ومخاطر الصراع النووي، وما يهدّد البشرية. وفي الوقت نفسه كان يرى أن اليهودي الذي وصل إلى نزع القناع وإظهار ذاته، ينذر بنهاية عصر وبداية عصر جديد، على المسلمين أن يكون لهم فيه دور محدد، ويقدموا الإسلام ملاذاً للإنسانية يحفظها من العنصرية والاستعمار بما يملكه من قيم عالمية وروح المساواة بين البشر ورفض للعنصرية.⁸⁴

ولكن بحسب بن نبي، فإن هذا الدور ينبغي أن يعالج ثلاث قضايا حتى يتمكن المسلمون من تقديم الإسلام حلاً لمعضلات الحضارة الحديثة، ويستعيدوا حريتهم ودورهم: أولها الخروج من الثقة الحائلة بأمريكا والأمم المتحدة، وثانيها النظر إلى القضايا من منظور أنها قضايا حضارية، والثالثة التبشير بالإسلام باعتباره الملاذ الروحي الوحيد للإنسانية التي أفقدتها الحضارة الحديثة روحها.

1. الخروج من الثقة الحائلة بأمريكا والأمم المتحدة:

يسجل بن نبي ملحوظة مهمة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، فانتصار أمريكا، ونشأة الأمم المتحدة، أدى بالسياسة الإسلامية إلى «الاعتماد على الأيديولوجيا الأممية؛ أي الثقة الكاملة بهيئة الأمم المتحدة»⁸⁵، كما أن انتصار أمريكا في الحرب العالمية الثانية زاد من اعتماد العرب على القوة الأمريكية، بالرغم من أن العالم الإسلامي لم يخرج من الاستعمار بعد.⁸⁶

ولكن هذا الانحياز إلى أمريكا، كان لا شعورياً ضد روسيا. غير أنه انحياز عاطفي حالم؛ لأنه اعتمد على «المواقف التي تسوقها الظروف... والأحلام التي تسوقها الشعارات»⁸⁷ وهذا جعل السياسة الإسلامية تمثل «تناقضاً في الوسائل والأفكار»⁸⁸؛ لأن هذه الثقة في الأمم المتحدة والانحياز لأمريكا لم يخدم السياسة الإسلامية وهي «تعالج القضية الفلسطينية... فمنذ أعلن بن غوريون الدولة الصهيونية؛ أعلنت أمريكا الاعتراف بها في منتصف ليل اليوم نفسه، والباقي كله سار في طريقه عبر الأمم المتحدة التي غدت ضد مصالح العالم العربي وحقوقه وآماله... وهكذا ما إن أعلنت دولة «إسرائيل» حتى كان التسليح يأتيها من سائر المرافئ الأوروبية»⁸⁹.

فالرومانسية السياسية في العالم العربي - كما يسميها بن نبي - التي حلمت بالأمم المتحدة، بدون مجهود يُذكر في التعامل مع الأزمات الدولية، تجد نفسها تأخذ موقعاً هامشياً في الساحة العالمية كشريك متميز أو حتى تحقيق أهداف محددة. وهكذا، فإن الثقة بالأمم المتحدة انهارت بسرعة، من دون أي جهد لإصلاح الثقة بها. تلاشى الإيمان بها فجأة وبدون أي استعداد، ولم يتم دراسة لإصلاح الثقة المتصدعة بدور الأمم المتحدة. فالسياسة العربية اعتمدت منذ البداية على تبني المواقف استناداً إلى الفرص المناسبة، حيث أسست جذورها على مزيج من الخوف والاحترام للقوة الأمريكية. فالخوف من الولايات المتحدة كان العامل الرئيس الذي ساد في السياسة العربية، وظهر ذلك في الثقة العمياء بدور الأمم المتحدة كوسيلة للتأثير في السياسة الدولية، ولكن هذه الثقة اختفت كريحة في عاصفة من التغيرات السياسية العالمية.⁹⁰

هذه الثقة الرومانسية بالأمم المتحدة والاحترام والخوف من أمريكا - أفضت إلى تسليم فلسطين لـ «إسرائيل»، بينما هذا الاحترام وهذا الخوف من أمريكا أصابتهما الحرب الكورية في خمسينيات القرن العشرين في مقتل، إذن ف«القوة الأمريكية ليست هي القوة التي لا تندحر، والفلاحون في كوريا الشمالية في جيشهم البدائي؛ أعطوا المثل بما يهدم أو هام العالم، والعالم الإسلامي على الخصوص»⁹¹.

ولكن ينه بن نبي على أن الدبلوماسية الغربية بعد الحرب العالمية الثانية إلى اليوم تسعى إلى إدخال العرب والمسلمين في الصراع، وجعل العالم الإسلامي ساحة حرب، وتعطيل كل فرصة مادية أو فكرية أو أخلاقية، في مصلحة المسلمين، وهذا ما ينبغي الانتباه له.⁹² ولهذا دعا في كتابه (فكرة الإفريقية الآسيوية) الذي كُتب بعد كتاب «المسألة اليهودية»، ولكنه نُشر قبله - إلى ضرورة أن يتم تنسيق جهود العالم الإسلامي مع جهود شعوب آسيا وإفريقيا، والاستقلال في المواقف عن التبعية لأمريكا أو غيرها؛ لأن العالم «خضع لسيطرة أوروبا الأخلاقية والسياسية منذ قرنين من الزمان»⁹³ وهذا جعل من الأوروبي خاصة والغربي عمومًا سببًا للمأساة الإنسانية؛ لأن هذا السيطرة وضعت كل موارد الإنسانية تحت تصرف الغربيين، وأحدثت أزمة في الضمير الإنساني، وغرست فيه العنصرية. وهكذا «خصص الغرب نظرتَه بالنسبة إلى المبادئ كما خصصها بالنسبة إلى الرجال، فإذا بنظرته إلى ما هو أوروبي تختلف عما ليس كذلك، فهو يرى بصورة طبيعية مشكلات أوروبا ورجالها، أما حين ينظر إلى مشكلات الشعوب الأخرى، أو حين ينظر إلى هذه الشعوب نفسها فإنه يضع نظارة على عينيه، وإذا بهذه النظرة غير المباشرة لا تتصل بقيم الأخلاق أو بقيم السياسة».⁹⁴

وهذا ما يقتضي التعاون مع الإطار الأوسع للإنسانية في إفريقيا وآسيا وحتى أمريكا اللاتينية، بعيدًا عن هيمنة النظرة الغربية وسياساتها العنصرية الاستعمارية، وعن مركزية أمريكا فيها، بوصف أمريكا هي الممثلة للعنصرية والمركزية الغربية اليوم.

2. النظر إلى القضايا على أنها قضايا حضارية:

يُفرد بن نبي القسم الثاني من كتابه لتناول التحولات التي حدثت والمتوقع حدوثها؛ لتنبئ بنهاية عصر وبداية عصر جديد. حيث بدأت الإشارات تتكشف عن نهاية العصر الحديث، وسينهار تدريجيًا مع ولادة عصر جديد. وسيظل أثر الحروب القادمة وتدفع دماء الملايين خالداً في ذاكرة الشعوب، باعتبارها النتيجة الوحيدة لصفحات التاريخ التي خلفها العصر السابق. وهنا يتساءل بن نبي عن العالم القادم الذي ما يزال غامضًا، فمن سيكون مسؤولاً عن رسم ملامحه وتحديد مستقبل الإنسانية؟ وهو سؤال يشيره المسلمون لما يواجهون من مصير، كما كان يتبوأ الاهتمام في الفكر اليهودي. وبغض النظر عن كيف يكون العالم الجديد، فإنه سيجد نفسه مجبراً على التعامل مع خصائص متنوعة وموروثات واضحة. بعضها يشكل إرثاً من عالم سابق، وبعضها الآخر ينبع من واقع وجوده المستقبلي كما يقول بن نبي. ولفهم هذا الإرث ودوره في المستقبل، يجب التفكير فيما جرى وما زال يتعين القيام به، لنحدد دورنا في العصر الحديث. وهنا يعيد

بن نبي التذكير بخصائص العصر الحاضر الذي أسهم اليهود في تشكله وإعطائه روحه وعقله. وهي خصائص حققت أهدافها كما يرى، وهي: أن هذا العصر الحاضر؛ عصر يهودي، ورأسمالي، واستعماري، وعنصري، ومتمركز أوروبياً، ومادي، وتكنولوجي، ومسيحي.⁹⁵

لكن هناك ملحوظة يرى بن نبي أنه ينبغي فهمها من الواقع الذي نعيشه، وهي "غياب الدين، وبدونه فإن حضارة ما غير ممكنة، فالمسيحية قد أدت مهمتها الحضارية في العالم الحديث، لكن محورها الذي عرفته سيترك المكان خالياً لدين جديد لا بد أن يملأه؛ كي تستعيد الحضارة دورها ورسالتها، أما المادية فلن تحمل أيما إحياء لروح إنسانية".⁹⁶

فالحضارة الإنسانية تعاني فقدان الروح، ولا يمكن أن تكون المسيحية ولا اليهودية ولا الأيديولوجيات التي تسببت في أزمة العالم الحديث أن تكون تلك الروح، من أجل إنقاذ الحضارة واستمرارها. وهنا يأتي دور الإسلام؛ لأن له النزعة التخطيطية، والقدرة على استيعاب الأيديولوجيات الموجودة وتصحيحها، وبخاصة الاشتراكية والرأسمالية، ويتفادى اختزالاتها ومشكلاتها، كما يجسد الإسلام العالمية. فالإسلام «دين قادر في تكوينه على تصحيح الرأسمالية وتعديلها، وكذلك الشيوعية ومحو العنصرية والاستعمار ليأخذ على يد اليهود في إدارة العالم. وهكذا نرى دور الإسلام في عالم جديد؛ يعتمد على قيمته الداخلية بقدر ما للقيمة الروحية وفاعليتها من قدرة على استيعاب مخلفات عصر مضى في تجدد الحضارة الإنسانية.»⁹⁷ من هنا يأتي دور الإسلام في إنقاذ الحضارة، من العنصرية والأيديولوجيات التي أفقدت الحضارة روحها، وكذلك تقليص دور اليهود الذين هيمنوا على إدارة العالم. ويمكنه أن يشكل «مركز العالم الحديث حيث محت الحضارة التكوينات والأوضاع الأخلاقية التقليدية، حين فرضت تكويناتها وأوضاعها الصناعية، فخلقت بذلك فراغاً روحياً هائلاً».⁹⁸

3. الإسلام الملاذ الآمن للحضارة الإنسانية:

يرى بن نبي أن الحضارة التي فقدت روحها بفعل العنصرية والاستعمار والرأسمالية والأيديولوجيات الأخرى المرتبطة بها، التي أورثها اليهود للحضارة الغربية الحديثة - في أمس الحاجة إلى شرط ضروري يعيد لها أمنها وسلامها، ويتجاوز بها الحروب والصراعات، ويحقق السلام العالمي. وهذا الشرط هو الإسلام. وفي هذا يؤكد بن نبي قائلاً: «تزداد الحاجة - كما لم يكن من قبل - إلى روح جامعة، روح لها دورها الفاعل في حل المشكلات في سلم عالمي، حيث الحضارة في هذه المرحلة لا تختصر في قارة أو جنس، بل تشمل الإنسان على اختلاف الألوان والأنفس كما هو التعبير القرآني.



ففي قائمة القيم الروحية الحالية... يبدو الإسلام وحده هو المؤهل لمستقبل رسالة نبي بشروط البقاء على هذا الكوكب لسائر الأجيال المستقبلية»⁹⁹؛ لأنه «رسالة عالمية»¹⁰⁰، وهو «الذي يمتلك من المقومات الحضارية ما يعالج به مشكلات العالم... وتحقيق الأمن والسّلام العالمي للإنسانية، وتحقيق العدالة والتوزيع العادل للثروة، وإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ورحمته».¹⁰¹

ولكن بن نبي يستدرك على هذا التفاؤل بإسهام الإسلام في الحضارة وكونه ملاذًا آمنًا للبشرية، بقوله: «لكن إمكانية كهذه لا تحمل أي تأكيد»¹⁰²؛ لأن هذا المكان أو الاستعداد الذاتي للإسلام أو ما يسميه بن نبي: «القيمة العينية الأصيلة للإسلام» مرتبط بشروط على المسلمين تحقيقها، كما حققها جيلهم الأول في بداية انتشار الإسلام، وإلا فإن العالم الإسلامي «يمكن أن يُخفق إذا لم يلتزم بالمعايير والمعطيات الداخلية والخارجية للمشكلة».¹⁰³

وهنا نعود إلى النقطة الأولى التي ناقشناها في هذا البحث، وهي أن بن نبي يربط معالجة «المسألة اليهودية» وآثارها السلبية على الحضارة الغربية خصوصًا والحضارة الإنسانية عمومًا، بالمشروع الحضاري للعالم الإسلامي، المتمثل في تحقيق نهضته عن طريق مسارين متكاملين للتخلص من التخلف؛ هما مسار نزع القابلية للاستعمار، ومسار

مقاومة الاستعمار وآثاره في الإنسانية وفي العالم الإسلامي، ثم تقديم الإسلام للإنسانية في صيغة مشروع حضاري يقوم على التخطيط الشامل؛ الداخلي والخارجي.

وفي سبيل ذلك على المسلمين اليوم ألا تغيب عنهم الرؤية الواضحة للظواهر المعقدة اليوم، وبخاصة الاستعمار الذي رحل في الظاهر وخرج من بلداننا، ولكنه ما يزال يستغل القابلية للاستعمار، التي قد يغفل عنها «فكرٌ مخطط الدعوة إلى الإسلام باعتبارها شيئاً يقع وراء مشكلات الدعوة وليس أمامها»¹⁰⁴.

والوعي بهذه التشابكات بين مخططات الاستعمار وبين مخلفات القابلية للاستعمار، تجعل المسلم على استعداد لتقديم الإسلام ليستعير منه العالم القيم الأخلاقية، بدل أن «يستعير قيمًا صُنعت من اليهود»¹⁰⁵؛ لأنه إذا استعار من اليهود قيمهم الأخلاقية التي أنتجت العنصرية والاستعمار فإنه «لن يكون مستحيلاً حينئذ أن تتضافر المصالح والأفكار ضد العالم الإسلامي، كما كان من قبل تضامن الاستعمار، وهو يعمل بإدارة اليهود»¹⁰⁶.

كما أن الوعي بهذه التشابكات يجعل من الدعوة إلى الإسلام والتبشير به وبقيمه، عملاً واقعياً، لبناء مستقبل الإنسانية في ظل السلام والأمن بمضامين جديدة تمنع العصر الاستعماري من أن يتكرر. ومن هنا فالمطلوب من العالم الإسلامي «سياسة طويلة المدى وإستراتيجية فاعلة هادئة، إستراتيجية تسعى نحو مستقبل تزول فيه أسباب الحرب»¹⁰⁷.

ولهذا يرى بن نبي، أن على المسلمين، لأجل نجاح هذه المهمة، أن يشخصوا ميراث هذا العصر وممكنات العصر المقبل، واستيعابها في بعدها العالمي، وأن تكون أنشطة المسلمين لها طابع التعاون المشترك والتخطيط، والدعوة إلى الإسلام وفق ذلك. ولذلك يحذّر من أن يأخذ المسلمون المستقبل بعفوية، ومن دون «خطة مقررّة تحدد المراحل والوسائل والأهداف»¹⁰⁸.

ويفصّل بن نبي في القسم الثاني من هذا الكتاب في وضع خطة إستراتيجية للتبشير بالإسلام بكونه ملاذ الحضارة الإنسانية الذي يوفر لها الزاد الروحي والمضمون الأخلاقي. ويرى أن هذه الإستراتيجية ينبغي «أن تُبنى على مركزية قيادة عليا»¹⁰⁹ توجه وتنظم وتعمل على أداء رسالتها في وجهين متكاملين: «الوجه الأول يتعلق بالخطة في جانبها الداخلي لتقوم بدراسة واقع البلاد الإسلامية نفسها وتزود الإستراتيجية بالوسائل، والوجه الثاني يتعلق بجانبها الخارجي الذي هو البلاد غير الإسلامية التي تشكل مساحة هذه الإستراتيجية»¹¹⁰.

فالوجه الأول عبارة عن خطة تتوجّه للداخل، وتدرس واقع العالم الإسلامي ودوله

ومجتمعاته، وعوامل الانحطاط والقابلية للاستعمار، ثم القيام بعمل تركيبي أشار إليه في كتابه (شروط النهضة) للتخلص من القابلية للاستعمار، وإعداد نخبة مختارة، وتنويع السبل وتحديدها، انطلاقاً من مركزية قيادة إستراتيجية عليا. وهذا يقتضي مشروعاً ثقافياً يعيد بناء الثقافة لتكون ثقافة نهضة لا ثقافة تخلف.¹¹¹

أما الوجه الثاني فهو كيفية توصيل الإسلام إلى غير المسلمين. وهذا يتعلق بتكوين من يدعو إلى الإسلام، ويفترض فيها الإيمان بالإسلام ديناً، والالتزام الأخلاقي، والبناء الفكري وغيره مما نسميه دستور الثقافة¹¹²: «جمالية الأداء، وأخلاقية السلوك، والمنطق العملي في المبادرة... والخبرة الفنية»¹¹³. وهذا أيضاً يتطلب معرفة بلغات الشعوب، وعاداتها، وثقافتها، وهذا يستدعي الوعي بأنثروبولوجيا الثقافات والأديان والشعوب؛ لرسم إستراتيجيات إيصال الإسلام وقيمه، بطرائق مختلفة، «الطريقة الأوروبية التي تخصّ بلاد الغرب بما فيها أمريكا وأستراليا، والطريقة الآسيوية التي تخصّ الهند والصين واليابان، وأخيراً الطريقة الإفريقية».¹¹⁴

ولمواجهة العنصرية التي أنتجت الحضارة الغربية بفعل تهودها، فإن بن نبي يرى أن هناك مبدأً إسلامياً ضرورياً لنجاح تقديم الإسلام إلى العالم، وقبل ذلك هو مبدأ ضروري لخروج المسلمين من تخلفهم وتفرقهم الذي أورثته لنا سيورة القابلية للاستعمار، واستغله الاستعمار وعمقه، هذا المبدأ هو «الوحدة والأخوة»¹¹⁵ الذي عبّر عنه الآية الكريمة: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}¹¹⁶، وبالرغم من أن المسلمين لم يفقدوا الشعور بالأخوة، لكنه ينبغي أن يتحول إلى وعي بصير تُرسم على أساسه الخطط والإستراتيجيات. يقول بن نبي: «الأخوة التي يُعبر عنها في مختلف أنحاء العالم الإسلامي لا تزال في عمق الشعور، ولا بد أن تنتقل إلى وعي يجند الطاقة في بناء للمؤاخاة هادف وتطوعي بين المسلمين والعالم الإسلامي»¹¹⁷.

ومن جهة أخرى، فإن الإسلام يتمتع «بوضع القاسم المشترك مع جميع الثقافات التي تؤلف الخريطة الروحية في العالم»¹¹⁸؛ لأنه بإمكانه الاستجابة روحياً وتشريعياً وإنسانياً لمختلف تطلعات الشعوب على اختلاف أديانها الكتابية أو غير الكتابية. كما أنه بسبب إهدار الحضارة الغربية المعاصرة للإمكانات الأخلاقية والنظم التقليدية للإنسانية، فإنها خلقت فراغاً روحياً كبيراً، وإن الإسلام «بسبب روابطه العديدة بالنسيج الإنساني الراهن... وبفضل طبيعته واتصالاته... هذا الإسلام هو الجسر الذي يصل ما بين الأجناس والثقافات، فهو عامل بلورة، وعنصر جوهري إذا ما أردنا اليوم تكوين (مركب) حضارة أفريقية، وغداً تكوين حضارة عالمية»¹¹⁹.

وهذا لا يجعل الهدف من هذا التبشير بالإسلام للعالم ديني فقط، بل من أجل أن يستعيد العالم سلامه وأمنه، ولتتعافى الحضارة من سيطرة العنصرية والاستعمار والمادية التي هيمنت عليها بفعل هيمنة اليهود عليها، وكان من ثمرات هذه الهيمنة اليهودية «دولة إسرائيل»¹²⁰، التي هي مصدر توتر وصراعات وهدر لكرامة الإنسان وتقطيع لجسور التواصل والتعاون بين العالم الإسلامي والغرب وغيره من الكيانات الحضارية.

الخاتمة:

نختم هذا البحث بتسجيل مجموعة نتائج:

أولها: أن موضوع المسألة اليهودية في فكر مالك بن نبي قد تناوله ضمن أطروحته في معالجة مشكلات الحضارة الإسلامية، وفي سياق الاستعمار والقابلية للاستعمار، ومن الصعب فهم معالجته للمسألة بمعزل عن تناوله لمعوقات جهود النهضة والتحرر في العالم الإسلامي، وكيف أسهم النفوذ اليهودي في أوروبا والعالم الغربي في تأجيج العنصرية والصراع مع العالم الإسلامي وتركيز مشروع الاستعمار على تعطيل العالم الإسلامي عن نهضته وتشتيت جهوده وإحداث التوترات فيه، ومن أظهرها الاحتلال الصهيوني لفلسطين، الذي نشهد اليوم آثاره الوخيمة، ووقوف كل القوى الغربية المؤسسية مساندة للمشروع الصهيوني.

ثانيها: أن بن نبي تناول النفوذ اليهودي في أوروبا والحضارة الغربية لا بوصفه حدثاً طارئاً أو عرضياً، بل هو مسار تاريخي متدرج إلى أن وصل إلى هيمنة اليهود على الحضارة الغربية في قيمها ومؤسساتها ومصالحها وأصبح عليها المادية والعنصرية، وأثمر الاستعمار. وإن هذا المسار الطويل صاحبه تحولات اجتماعية على الوجود اليهودية والتركيبية اليهودية في أوروبا من السكنى في الجيتو على السكنى في المركز وتبوؤ صدارة صناعة المال والأعمال والسياسات.

ثالثها: أن فهم المسألة اليهودية ومسارها وتموقعها واختراقها للوعي الغربي والمؤسسات والمجتمعات الغربية اقتضى من بن نبي دراسات تاريخية وملاحظات اجتماعية، ولهذا فإنه اعتمد التحليل التاريخي لانتشار الشتات اليهودي في أوروبا منذ ألفي سنة، وكذلك التحليل النفسي الاجتماعي للشخصية اليهودية في كل مرحلة تاريخية خلال تلك المدة الزمنية، ليصل إلى تصنيف اليهود تاريخياً واجتماعياً نفسياً إلى فئات ذكرناها في البحث، تشبه ما قام به المسيحي وغيره فيما بعد.

رابعها: أن آثار التغلغل اليهودي في الحضارة الغربية أدت إلى أنها صارت حضارة متهوذة في قيمها ورؤيتها وسياساتها، وهذا أنتج أن تفقد الحضارة المعاصرة مضمونها الإنساني، وتعاني خواءً كبيراً، بفعل سيطرة الرؤية المادية والعنصرية التي غرسها اليهود في أوروبا الحديثة، وقيام حروب كثيرة في العالم بسبب ذلك، وهذه الوضعية جعلت البشرية تتطلع إلى عالم جديد مختلف عن العالم الذي سيطر فيه اليهود وأورثوه الصراع والعنصرية وفقدان المعنى.

خامسها: أن الإسلام هو الوحيد المؤهل ليكون الملاذ الروحي للحضارة الإنسانية بما يملكه من مضمون روحي ومن استعصاء على التحريف والتبديل في رؤيته وقيمه ورسالته، وهو الوحيد المؤهل لتحقيق السلام العالمي والأخذ على يد اليهود. ولكن لتحقيق ذلك يجب أن تكون للمسلمين إستراتيجية التبشير بالإسلام في العالم، وفق خطة واضحة وقيادة مركزية، وألا يُترك الأمر للعفوية والصدفة.

الهوامش والمراجع:

1. رضوان السيد، "مالك بن نبي والقابلية للاستعمار والمسألة اليهودية"، العدد 12152، 6 مارس 2012.
<https://archive.aawsat.com/details.asp?section=17&article=666700&issue=12152> شوهد بتاريخ 27 /11 /2023.
2. عبد الرزاق بلعقروز، "المسألة اليهودية في فكر مالك بن نبي: في أن اليهود هم عقل الحضارة الأوروبية وروحها". 11 مارس 2015.
<https://www.nama-center.com/articles/details/30524> شوهد بتاريخ 27/11 2023
3. بلعقروز، المرجع نفسه.
4. عماد العبار، "مالك بن نبي والصورة الكاملة". 22 فبراير 2017.
<https://freedomraise.net/%d9%85%d8%a7%d9%84%d9%83-%d8%a8%d9%86-%d9%86%d8%a8%d9%8a-%d9%88%d8%a7%d9%84%d8%b5%d9%88%d8%b1%d8%a9-%d8%a7%d9%84%d9%83%d8%a7%d9%85%d9%84%d8%a9>
5. العبار، المرجع نفسه.
6. المرجع نفسه.
7. إبراهيم العجلوني، "مالك بن نبي والمسألة اليهودية". 2017 /3/5.
<https://alrai.com/article/10389070> كتاب/مالك-بن-نبي-والمسألة-اليهودية شوهد بتاريخ 2023 /27/11.

8. دلال الجار الله، المسألة اليهودية بين كارل ماركس ومالك بن نبي دراسة مقارنة، الدوحة: جامعة حمد بن خليفة، 2018، ص58.
9. سمية قواجلية، «مراجعة كتاب وجهة العالم الإسلامي (المسألة اليهودية) لمالك بن نبي». 11 أكتوبر 2019.
<https://www.proquest.com/docview/2640412898/fulltextPDF/2F9A7355DF6B4748PQ/1?accountid=13370>
<https://bluenoqta.com/7193> شُهِد بتاريخ 2023 / 27 / 11.
10. المرجع نفسه.
11. أحمد طرفاوي، «اليهود والغرب في أدبيات مالك بن نبي»، جسور المعرفة، مجلد 6، عدد 1، 2020، ص3-27.
<https://www.asjp.cerist.dz/en/article/112363> شُهِد في 27/11/2023.
12. عبد القادر بن قدور، «المسألة اليهودية في فكر مالك بن نبي»، منار الإسلام، 19 نوفمبر 2021.
<https://islamanar.com/the-jewish-question/> شُهِد بتاريخ 2023 / 11 / 27.
13. المرجع نفسه.
14. المرجع نفسه.
15. مصطفى كحل، «المسألة اليهودية في فكر مالك بن نبي». أخبار الوطن، السنة 3، العدد 1125، 22 أكتوبر 2023، ص15.
<https://cdn.akhbarelwatane.dz/wp-content/uploads/2023/10/watane-95.pdf> شُهِد بتاريخ 2023 / 11 / 27.
16. مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي: المسألة اليهودية، ط1، دمشق: دار الفكر، 1433هـ/ 2012م، ص29.
17. بن نبي، المسألة اليهودية، ص29.
18. بن نبي، المسألة اليهودية، ص29.
19. بدران بن لحسن، الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري، الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1999، ص45-48.
20. بن لحسن، الظاهرة الغربية، ص61.
21. بن نبي، المسألة اليهودية، ص123.

22. وعصر ما بعد الموحدين، يؤرخ به بن نبي للنقطة التي انتهى فيه النفس الحضاري للمسلمين، ولحظة انقلاب القيم الإسلامية الحقّة إلى أشياء لا قيمة لها. بالرغم من أنه لم يكن «انقلابًا فجائيًا، إذ هو النهاية البعيدة للانفصال الذي حدث في (صفين)، فأحل السلطة العصبية محل الحكومة الديمقراطية الخليفية، فخلق بذلك هوة بين الدولة وبين الضمير الشعبي، وكان ذلك الانفصال يحتوي في داخله جميع أنواع التمزق، والمناقضات السياسية المقبلة في قلب العالم الإسلامي». مالك بن نبي، *وجهة العالم الإسلامي*، دمشق: دار الفكر، 2002، ص35-36.
23. بن نبي، *المسألة اليهودية*، ص32.
24. عبد الرزاق بلعقروز، «المسألة اليهودية في فكر مالك بن نبي: في أن اليهود هم عقل الحضارة الأوروبية وروحها». 11 مارس 2015. <https://www.nama-center.com/articles/details/30524> شُوهِد بتاريخ 27/11 2023
25. بلعقروز، المرجع نفسه،
26. بن نبي، *المسألة اليهودية*، ص18.
27. طه عبد الرحمن، *الحق العربي في الاختلاف الفلسفي*، ط2، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2006، ص65-60؛ عبد الوهاب المسيري، *من هو اليهودي*، ط3، القاهرة، دار الشروق، 2002، ص52-9.
28. مالك بن نبي، *مذكرات شاهد القرن: الطفل والطالب*، دمشق: دار الفكر، 1984، ص41، 279، 367.
29. مالك بن نبي، *العفن: 1932-1940*، ترجمة: نور الدين خندودي، ط1، الجزائر، دار الأمة، 2007، ج1/ص78.
30. بن نبي، *العفن*، ج1/ص79.
31. بن نبي، *العفن*، ج1/ص79.
32. عبد الرزاق بلعقروز، «المسألة اليهودية في فكر مالك بن نبي: في أن اليهود هم عقل الحضارة الأوروبية وروحها». 11 مارس 2015. <https://www.nama-center.com/articles/details/30524> شُوهِد بتاريخ 27/11 2023
33. بن نبي، *المسألة اليهودية*، ص36-37.
34. بن نبي، *المسألة اليهودية*، ص42.

35. عبد الرزاق بلعقروز، "المسألة اليهودية في فكر مالك بن نبي: في أن اليهود هم عقل الحضارة الأوروبية وروحها". 11 مارس 2015.
شُهِد بتاريخ 27/11 2023 <https://www.nama-center.com/articles/details/30524>
36. بن نبي، المسألة اليهودية، ص41.
37. بن نبي، المسألة اليهودية، ص43.
38. بن نبي، المسألة اليهودية، ص43.
39. عبد الرزاق بلعقروز، "المسألة اليهودية في فكر مالك بن نبي: في أن اليهود هم عقل الحضارة الأوروبية وروحها". 11 مارس 2015.
شُهِد بتاريخ 27/11 2023 <https://www.nama-center.com/articles/details/30524>
40. غوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة: عادل زعيتر، يورك هواس: مؤسسة هنداوي، 2016، ص33.
41. بن نبي، المسألة اليهودية، ص50.
42. عبد الرزاق بلعقروز، "المسألة اليهودية في فكر مالك بن نبي: في أن اليهود هم عقل الحضارة الأوروبية وروحها". 11 مارس 2015.
شُهِد بتاريخ 27/11 2023 <https://www.nama-center.com/articles/details/30524>
43. بن نبي، المسألة اليهودية، ص62.
44. بن نبي، المسألة اليهودية، ص60.
45. بن نبي، المسألة اليهودية، ص60.
46. بن نبي، المسألة اليهودية، ص61.
47. بن نبي، المسألة اليهودية، ص73.
48. بن نبي، المسألة اليهودية، ص60.
49. بن نبي، المسألة اليهودية، ص60.

50. بن نبي، المسألة اليهودية، ص46.
51. بن نبي، المسألة اليهودية، ص46.
52. بن نبي، المسألة اليهودية، ص47.
53. بن نبي، المسألة اليهودية، ص45.
54. عبد الرزاق بلعقروز، "المسألة اليهودية في فكر مالك بن نبي: في أن اليهود هم عقل الحضارة الأوروبية وروحها". 11 مارس 2015. <https://www.nama-center.com/articles/details/30524> سُوهِد بتاريخ 27/11 2023
55. بن نبي، المسألة اليهودية، ص54.
56. بن نبي، المسألة اليهودية، ص54.
57. الجار الله، المسألة اليهودية بين كارل ماركس ومالك بن نبي، ص58.
58. بن نبي، المسألة اليهودية، 91-60.
59. بن نبي، المسألة اليهودية، ص65-60.
60. بن نبي، المسألة اليهودية، ص65.
61. بن نبي، المسألة اليهودية، ص67.
62. بن نبي، المسألة اليهودية، ص71.
63. بن نبي، المسألة اليهودية، ص71.
64. عبد الرزاق بلعقروز، "المسألة اليهودية في فكر مالك بن نبي: في أن اليهود هم عقل الحضارة الأوروبية وروحها". 11 مارس 2015. <https://www.nama-center.com/articles/details/30524> سُوهِد بتاريخ 27/11 2023
65. الجار الله، المسألة اليهودية بين كارل ماركس ومالك بن نبي، ص59.
66. بن نبي، المسألة اليهودية، ص75.

67. بن نبي، المسألة اليهودية، ص76.
68. بن نبي، المسألة اليهودية، ص76.
69. بن نبي، المسألة اليهودية، ص76-79.
70. بن نبي، المسألة اليهودية، ص79.
71. بن نبي، المسألة اليهودية، ص79.
72. بن نبي، المسألة اليهودية، ص81.
73. بن نبي، المسألة اليهودية، ص83.
74. بن نبي، المسألة اليهودية، ص91.
75. بن نبي، المسألة اليهودية، ص91.
76. بن نبي، المسألة اليهودية، ص91.
77. بن نبي، المسألة اليهودية، ص98.
78. إسماعيل راجي الفاروقي، الملل المعاصرة في الدين اليهودية، القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، 1968، ص109-128.
79. جمال حمدان، اليهود أنثربولوجيًا، القاهرة: دار الهلال، 1996، ص79-129.
80. عبد الوهاب المسيري، من هو اليهودي، ط3، القاهرة، دار الشروق، 2002، ص52-9؛ عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ط1، القاهرة: دار الشروق، 1991، المجلد الثالث والمجلد الرابع.
81. كيجل، المسألة اليهودية في فكر مالك بن نبي، ص15.
82. بن نبي، المسألة اليهودية، ص57.
83. بن نبي، المسألة اليهودية، ص57.
84. بن نبي، المسألة اليهودية، ص102.

85. بن نبي، المسألة اليهودية، ص109.
86. بن نبي، المسألة اليهودية، ص109.
87. بن نبي، المسألة اليهودية، ص109.
88. بن نبي، المسألة اليهودية، ص109.
89. بن نبي، المسألة اليهودية، ص109-110.
90. بن نبي، المسألة اليهودية، ص110.
91. بن نبي، المسألة اليهودية، ص113.
92. بن نبي، المسألة اليهودية، ص118-123.
93. مالك بن نبي، فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، ط 8، دمشق: دار الفكر، 2012، ص21.
94. بن نبي، فكرة الإفريقية الآسيوية، ص22.
95. بن نبي، المسألة اليهودية، ص127-128.
96. بن نبي، المسألة اليهودية، ص129.
97. بن نبي، المسألة اليهودية، ص130.
98. بن نبي، فكرة الإفريقية الآسيوية، ص227.
99. بن نبي، المسألة اليهودية، ص135.
100. عبد الرزاق بلعقروز، «المسألة اليهودية في فكر مالك بن نبي: في أن اليهود هم عقل الحضارة الأوروبية وروحها». 11 مارس 2015. <https://www.nama-center.com/articles/details/30524> شُهِد بتاريخ 27/11 2023
101. بنقور، «المسألة اليهودية في فكر مالك بن نبي»، منار الإسلام، 19 نوفمبر 2021.
102. بن نبي، المسألة اليهودية، ص135.

103. بن نبي، المسألة اليهودية، ص136.
104. بن نبي، المسألة اليهودية، ص136.
105. بن نبي، المسألة اليهودية، ص137.
106. بن نبي، المسألة اليهودية، ص137.
107. بن نبي، المسألة اليهودية، ص137.
108. بن نبي، المسألة اليهودية، ص136.
109. بن نبي، المسألة اليهودية، ص137.
110. بن نبي، المسألة اليهودية، ص137.
111. بن نبي، المسألة اليهودية، ص137-138.
112. بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق: دار الفكر، 1986، ص82-81.
113. بن نبي، المسألة اليهودية، ص139.
114. بن نبي، المسألة اليهودية، ص140.
115. بن نبي، المسألة اليهودية، ص144.
116. القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية 10.
117. بن نبي، المسألة اليهودية، ص145.
118. بن نبي، فكرة الإفريقية الآسيوية، ص227.
119. بن نبي، فكرة الإفريقية الآسيوية، ص227.
120. بن نبي، المسألة اليهودية، ص149.

التقارب التركي المصري: التحديات والمصالح المشتركة

جان أجون* - محمد عبد الرحمن علي**

ملخص: تركيا ومصر دولتان توليان دائماً أهمية للعلاقات المتبادلة، وعلى الرغم من أن العلاقة بينهما شهدت صعوداً وهبوطاً فإن التاريخ والثقافة/ الحضارة المشتركة والقرب الجغرافي بين مصر وتركيا؛ كل ذلك يجعل العلاقات بين البلدين حتمية. تعد العلاقات التركية المصرية من أهم العوامل المؤثرة في التطورات الجيوسياسية في الشرق الأوسط؛ لأن البلدين يمتلكان إمكانات لا يمكن تجاهلها في قيادة المنطقة، ورغم ذلك شهد العقد الماضي مواجهة خطيرة بين البلدين، حيث جرى تجميد العلاقات، واصطدم الطرفان وجهاً لوجه بشأن القضايا الجيوسياسية الحاسمة، مثل شرق المتوسط وليبيا. وقد تكون زيارة الرئيس أردوغان مصر بعد 12 عاماً، نقطة تحول تاريخية ستؤثر بشكل إيجابي في العلاقات بين البلدين.

الكلمات المفتاحية: تركيا، مصر، الشرق الأوسط، العلاقات التركية المصرية.

*سيتا، تركيا.

**سيتا، تركيا.

The Turkish-Egyptian Rapprochement: Challenges and Common Interests

CAN ACUN*

MOHAMED ABDELRHMAN ALI **

ORCID NO :0000-0002-2763-3583

ORCID NO :0000-0002-1550-6229

ABSTRACT: Turkey and Egypt have always given weight to mutual relations despite their ups and downs. The common ancient history, culture, civilization and geographical proximity between Egypt and Turkey make relations between the two countries inevitable. As for the context of the economic and geopolitical dynamics of the two countries, it brings close cooperation on many issues, especially foreign policy. From another perspective, Turkey-Egypt relations are vital factors affecting geopolitical developments in the Middle East. Both countries are countries with non-underestimated potential to lead the region. However, the last decade has witnessed a serious standoff between the two countries. After Turkey's determined reaction to the military intervention in Egypt, relations were frozen and the parties came face to face on critical geopolitical issues such as the Eastern Mediterranean and Libya. President Erdoğan's visit to Egypt after 12 years may be a historical turning point that will positively affect the relations between the two countries. This analysis evaluates potential cooperation opportunities for the new period, considering the changes in relations between Egypt and Turkey in the last decade.

Keywords: Turkiye, Egypt, the Middle East, Turkish-Egyptian relations.

*Seta, Türkiye.

**Seta, Türkiye

رئيسة، تركية
2024-(1/13)
145 - 160

مدخل

على الرغم من أن تركيا ومصر شهدتا صعودًا وهبوطًا بوصفهما قوتين إقليميتين رئيسيتين في جغرافيا صعبة مثل الشرق الأوسط، إلا أنهما دولتان تعطيان دائمًا أهمية للعلاقات المتبادلة. وفي نهاية المطاف فإن الذي يجعل العلاقات بين مصر وتركيا حتمية هو التاريخ والثقافة/ الحضارة المشتركة والقرب الجغرافي. إن المصالح الاقتصادية والجيوسياسية للبلدين، عند النظر إليها مع الدوافع المذكورة آنفًا- تؤدي إلى العمل الوثيق في العديد من القضايا، وبخاصة السياسة الخارجية. ومن منظور آخر، تُعدّ العلاقات التركية المصرية من أهم العوامل المؤثرة في التطورات الجيوسياسية في الشرق الأوسط. لأن البلدين من الدول التي تمتلك الإمكانيات التي لا يمكن تجاهلها في قيادة المنطقة. ومع ذلك، شهد العقد الماضي مواجهة خطيرة بين البلدين. وبعد رد فعل تركيا القاسي على التدخل العسكري في مصر، جرى تجميد العلاقات واصطدم الطرفان وجهًا لوجه بشأن القضايا الجيوسياسية الحاسمة مثل شرق البحر الأبيض المتوسط وليبيا.

منذ عام 2021، شهدت العلاقات الثنائية محاولة للتقارب، ومن أجل تطبيع العلاقات سُكّلت وفود فنية وبدأت المفاوضات. وبعد المصافحة بين الرئيس التركي رجب طيب أردوغان والرئيس المصري عبد الفتاح السيسي في حفل افتتاح بطولة العالم التي أقيمت في قطر في نوفمبر 2022، ظهرت الإرادة للتطبيع أولاً ثم الارتقاء بالعلاقات بين البلدين إلى المستوى التالي بشكل واضح. وقد مثلت زيارة الرئيس أردوغان إلى القاهرة في 14 فبراير 2024 نقطة تحول جديدة في العلاقات.

ومع تهديد التحديات الإقليمية لكلا البلدين وبدء المصالح المشتركة في الظهور مرة أخرى، يميل الطرفان إلى وضع الماضي جانبًا وفتح صفحة جديدة في العلاقات. ومن أجل تحقيق التقارب، قام الطرفان مؤخرًا بتقسيم مناطق الخلاف إلى أجزاء وترك الحلول تدريجيًا للوقت.¹ إن التعاون في الملفات التي يمكن التوصل إلى اتفاق فيها وترك الملفات التي من شأنها أن تسبب الخلاف إلى الخطوة التالية، أصبح أسلوبًا مهمًا لإعادة العلاقات إلى مسارها الصحيح. ومع زيارة أردوغان إلى القاهرة، من المتوقع إحراز تقدم جدي في المجالات الإشكالية.

التحديات

تواجه مصر وتركيا حاليًا تحديات كبيرة تعتمد على الديناميكيات الإقليمية والاقتصاد. إن الموقف العدواني الإسرائيلي وخطط التهجير في غزة، والخطوات

العدوانية التي اتخذتها إثيوبيا، والصراع الروسي الأوكراني، وديناميكيات الصراع الإقليمي، وبالطبع الأزمة الاقتصادية التي يتزايد تأثيرها يومًا بعد يوم - كل ذلك برز بصورة تهديدات متزايدة لمصر. وبحسب الأرقام الرسمية، فإن مصر التي يتجاوز عدد سكانها 110 ملايين نسمة، تتمتع باقتصاد اسمي يبلغ نحو 400 مليار دولار. وتظل القطاعات الإستراتيجية للاقتصاد تحت سيطرة الجيش بشكل مباشر أو غير مباشر. وبينما تزداد عدالة توزيع الدخل سوءًا يومًا بعد يوم، يواجه عشرات الملايين من المصريين في البلاد الآن صعوبة في تلبية احتياجاتهم الأساسية.

وعلى صعيد التجارة الخارجية، يظهر عجز تجاري خطير كل عام، حيث تصل الواردات إلى ما يقرب من 90-100 مليار دولار، مقابل 45-50 مليار دولار من الصادرات. وفي البلاد، التي تواجه صعوبة في ضمان الأمن الغذائي، يجري استيراد جزء كبير من الاحتياجات الأساسية من الخارج مقابل العملات الأجنبية. ومن أجل سد عجز الحساب الجاري، اعتمدت الإدارة المصرية على السياحة وعائدات قناة السويس وتحويلات العملات الأجنبية من المصريين المقيمين في الخارج، كما لجأت إلى الاقتراض المحلي والخارجي بشكل جدي.

إن أبرز مظاهر الأزمة الاقتصادية التي تمر بها مصر (أزمة ميزان المدفوعات) هو نقص النقد الأجنبي. وفي عهد الرئيس عبد الفتاح السيسي، الذي استمر 10 سنوات، تجاوز الدين الخارجي لمصر 166 مليار دولار في العام الحالي 2024. وبالنظر إلى أن احتياطي النقد الأجنبي الحالي، الذي يتكون معظمه من الأموال المحولة إلى البنوك المصرية لدول الخليج للاستخدام، يبلغ نحو 35 مليار دولار، وأنها تواجه جدول سداد ديون قدره 30 مليار دولار في عام 2024 وحده، فهناك ما يكفي لإظهار أن الوضع الاقتصادي الذي تعيشه البلاد عالق على جبهة الدولة/ الحكومة.

وبحسب البنك المركزي المصري، فبينما ستتجاوز الديون قصيرة الأجل 80 ٪ من الاحتياطيات الأجنبية في 2022، فإن هذا الرقم وصل إلى ضعف ما كان عليه في 2021. وتُعد مصر التي تستخدم القروض بشكل جدي من خلال إبرام اتفاقيات «الائتمان» مع صندوق النقد الدولي - هي الدولة الثانية التي تستخدم معظم القروض من صندوق النقد الدولي، بعد الأرجنتين. وتجرى المفاوضات حاليًا لتقديم قروض جديدة. وبحسب التصريحات التي تشير إلى أن المفاوضات مع صندوق النقد الدولي وصلت إلى المرحلة النهائية، فإن هناك طلب قرض بقيمة 3 مليارات دولار.

وتشمل الشروط التي عرضها صندوق النقد الدولي «خفض قيمة العملة المصرية أمام الدولار، وانسحاب الجيش تدريجيًا من الاقتصاد، وبيع بعض الاستثمارات والمشروعات المهمة في البلاد للأجانب». ومع ذلك، جرى التحذير من أن هذا سيؤدي إلى زيادة التضخم في البلاد، وسيزيد من الضغط على فرص المعيشة الضيقة بشكل متزايد للشعب. وبالإضافة إلى الأضرار التي ألحقتها صراعات غزة بالسياحة المصرية، فإن قيام الحوثيين في اليمن بإغلاق البحر الأحمر وباب المندب أمام مرور سفن «إسرائيل» وحلفائها يعني خسارة نصف الدخل السنوي البالغ 10 مليارات دولار التي يتم الحصول عليها عبر قناة السويس.

بالإضافة إلى الاقتصاد، هناك مخاطر جيوسياسية مهمة للغاية بالنسبة لمصر. والأكثر وضوحًا هو الهجمات المستمرة في غزة، وخطة «إسرائيل» لترحيل سكان غزة إلى شبه جزيرة سيناء. ويبرز هذا الوضع بوصفه تهديدًا كبيرًا للقضية الفلسطينية، وللأمن القومي المصري كذلك. هناك العديد من القضايا المهمة التي تزعج مصر، مثل التهديدات التي يشكّلها سد النهضة (النهضة) الذي بنته إثيوبيا على نهر النيل على الأمن المائي في مصر، والصراعات الداخلية في السودان، وعدم وجود نظام مستقر في ليبيا.

وبالمثل، هناك قضايا مهمة بالنسبة لتركيا. ففي حين أن تركيا لا يمكن مقارنتها بمصر، إلا أنها تواجه صعوبات مختلفة في اقتصادها، وتبذل جهودًا لتقليل عجز حسابها الجاري، وزيادة سيولة النقد الأجنبي من خلال تغيير جديد في السياسة. وتهدف إلى حل المشكلات السياسية مع دول المنطقة وزيادة ازدهارها الاقتصادي من خلال الفرص الجديدة التي يخلقها التطبيع. ويُعدّ النمو والتنمية القائمان على التصدير من بين أهدافها الإستراتيجية الاقتصادية.

ومن الناحية الجيوسياسية، فإن منع تشكيل تحالف ضدها في شرق البحر الأبيض المتوسط والحصول على حصة من موارد الطاقة في المنطقة من بين أولويات تركيا. وفي سوريا فإنّ الدعم الأمريكي لحزب الاتحاد الديمقراطي/ وحدات حماية الشعب الذي هو الفرع السوري لحزب العمال الكردستاني، يزيد من المخاطر الأمنية التي تواجهها تركيا الناشئة أو المنطلقة من سوريا. كما أن عدم الاستقرار في ليبيا، والحرب الأوكرانية الروسية، والهجمات الإسرائيلية على غزة، من بين القضايا التي تزعج تركيا، مثل مصر. ولا تزال الحرب بالوكالة التي تشنها الولايات المتحدة وإيران ووكلاؤهما في المنطقة والتهديدات المحتملة التي تشكلها تخلق حالة من عدم اليقين بشأن الأمن القومي لكلا البلدين. وفي نهاية المطاف، بالإضافة إلى المصالح المشتركة، فإن المشكلات الفريدة

لكلا البلدين والتطورات الإقليمية والتحديات^{١٩} المشتركة تجعل من الضروري العمل معاً.

تتقاطع السياسة الخارجية
لتركيا ومصر في المناطق ذات
الاهتمام الجغرافي المشترك،
وهي: الشرق الأوسط،
وأفريقيا، والعالم الإسلامي

النقاط المشتركة في السياسة الخارجية

“

المناطق ذات الاهتمام الجغرافي المشترك

عند دراسة السياسات الخارجية لمصر وتركيا، يمكن ملاحظة أن سياسات البلدين تتقاطع في العديد من الأماكن. وتتمثل مصالح السياسة الخارجية المصرية في ثلاث دوائر: الدائرة العربية، والدائرة الإسلامية، والدائرة الإفريقية.² وعلى الرغم من أن السياسة الخارجية المصرية شهدت تغيراً شاملاً مع مرور الوقت، إلا أن هذه الأبعاد الثلاثة لا تزال تحدد السياسة الخارجية المصرية.³

كما تغيرت المعالم الأساسية للسياسة الخارجية التركية مع مرور الوقت، فبدلاً من اتباع نهج أحادي الجانب موجّه نحو الغرب، تطورت تدريجياً إلى نموذج يجري فيه التوازن بين الشرق والغرب، ومن ذلك العالم الإسلامي والشرق الأوسط وإفريقيا.

وقد تحقّق تعزيز هذا الفهم وظهر في السياسة الخارجية التركية تجاه الشرق الأوسط وإفريقيا خاصة في فترة حزب العدالة والتنمية.⁴ ولذلك فإن مجالات الاهتمام في السياسة الخارجية للبلدين تتقاطع إلى حد كبير. وهذا التقاطع يمكن أن يؤدي إلى دبلوماسية إيجابية وتعاون بين البلدين.

إفريقيا

إن القارة الإفريقية هي إحدى المناطق التي يمكن للبلدين أن يتعاونوا فيها، وهما دولتان لهما تأثير إيجابي في الدول الإفريقية، حيث كانت مصر من أكبر الداعمين لحركات الاستقلال في إفريقيا في الماضي، كما نفذت تركيا مشروعات تنموية ولديها نهجها السياسي/الاقتصادي الذي تنفذه من خلال العديد من المؤسسات والشركات.

ويتيح هذا النفوذ الكبير والسمعة الطيبة التي يتمتع بها البلدان فرصة كبيرة لمزيد من التوسع وتعاون أكبر مع القارة الإفريقية، خصوصاً أن شعوب هذه القارة تبحث عن شركاء جدد كبديل للشركاء الغربيين. ويمكن ملاحظة ذلك في التغيرات السياسية الأخيرة التي حدثت في النيجر وبوركينا فاسو والغابون، إلى جانب الانتشار العسكري الروسي وتوسع الصين في القارة. ومن منظور آخر، قد يكون لتركيا دور وسيط مهم في النزاع المائي بين

مصر وإثيوبيا في سياق سد النهضة. وخاصة بعد إخفاق الولايات المتحدة والجامعة العربية ووساطة السعودية، في الوقت الذي تبحث فيه مصر عن وسيط.

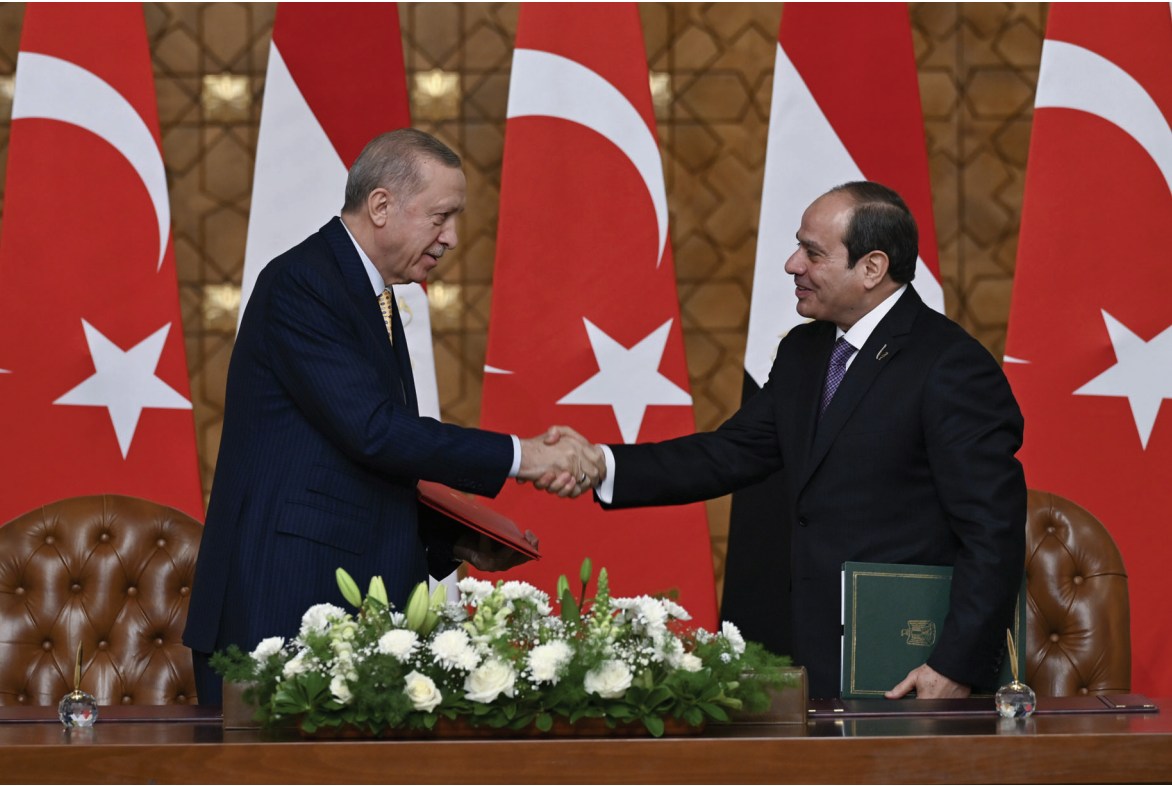
ومرة أخرى، يمكن للبلدين العمل معاً لإنهاء الصراع المدني في السودان، وضمان الاستقرار السياسي في البلاد. وبطبيعة الحال، كانت قضية ليبيا هي القضية التي أدخلت البلدين في صراع أكثر من أي وقت مضى في إفريقيا. وقد اختلف البلدان في السياسة الليبية، حيث تدعم مصر الجنرال حفتر بينما تدعم تركيا حكومة الوفاق الوطني. ومع ذلك، في هذه المرحلة، جرى تحقيق سلام نسبي، ويمكن تحقيق إجماع سياسي كبير في ليبيا باستخدام تركيا ومصر لنفوذهما. إن تحقيق الاستقرار في ليبيا الغنية بالنفط له أهمية حيوية لمصالح البلدين.

وتشكل المصالح الاقتصادية أحد أهم المحاور في علاقات تركيا ومصر مع إفريقيا. ففي حين تبلغ الاستثمارات التركية في القارة ما يقارب 6 مليارات دولار⁵، فإن الاستثمارات المصرية تصل إلى ما يقارب 10.2 مليار دولار⁶. ومع ذلك، فإن هذه الأرقام ليست كافية للبلدين. ولذلك فإن كلا البلدين يبحثان عن سبل لزيادة هذه الاستثمارات. ويبلغ عدد البعثات الدبلوماسية المصرية في إفريقيا 43 بعثة دبلوماسية فيما تمتلك تركيا في إفريقيا 44 بعثة دبلوماسية⁷، وهذا يعكس مدى اهتمام البلدين بالقارة الإفريقية.

الشرق الأوسط

في الوقت الذي يشهد الشرق الأوسط فترة من الفوضى حيث تتآكل سلطات الدولة وتتوسع الحروب بالوكالة، فمن الأهمية بمكان بالنسبة لكل من تركيا ومصر أن تعمل على إعادة ترسيخ الاستقرار في المنطقة استناداً إلى البنية الأمنية. ولا يرغب أي من البلدين في بث الصراعات. وفي حين أن الأولوية هي تشكيل حكومات قادرة على استيعاب التوازن العرقي والطائفي في العراق وسوريا وحماية السلامة الإقليمية لهذه البلدان، فإن لديهما أيضاً موقفاً مشتركاً ضد الإبادة الجماعية التي ترتكبها «إسرائيل» في غزة. وفي حين أن البلدين يشعران بالقلق أيضاً بشأن الصراع بالوكالة بين الولايات المتحدة وإيران وعناصرهما بالوكالة، إلا أنهما يبرزان في السعي بقوة لتحقيق السلام الإقليمي.

تعدّ مصر -بوصفها أكبر دولة عربية- حماية سيادة العراق وسوريا وسلامتهما الإقليمية من بين أولوياتها المهمة. كما تتفق تركيا مع مصر في دعم وحدة العراق وسوريا وسيادتهما. وهذه القضية هي قضية تتفق عليها مصر وتركيا وإيران. إضافة إلى ذلك فإن حماية أمن العراق وسوريا أمر مهم بالنسبة لتركيا فيما يتعلق بحماية الحدود وقضية



اللاجئين. لكن مصر تنظر بعين الشك إلى الوجود التركي في شمال العراق وسوريا. وفي واقع الأمر، أشار وزير الخارجية المصري سامح شكري، في اللقاء الذي عقده مع نظيره التركي مولود تشاوش أوغلو في أنقرة يوم 13 أبريل/نيسان، إلى وجود خلافات في الرأي بشأن سوريا؛ بسبب نشر تركيا قوات في الحرب، ودعمها جماعات المعارضة⁸. كما تنتقد مصر العمليات العسكرية التركية عبر الحدود في العراق وسوريا.

وفي الواقع، تعمل العمليات التركية ذات الصلة على حماية السلامة الإقليمية لكلا البلدين إلى جانب أمنها القومي. كما أن الوجود التركي في كلا البلدين يوازن إيران، ومصل لا تريد وضع أن تقع هاتان الدولتان العربيتان بالكامل تحت نفوذ إيران. ومن المتوقع أن يتغير موقف مصر مع انتقال العلاقات الشائبة إلى مرحلة جديدة.

محور شرق المتوسط والطاقة

في سياق شرق البحر الأبيض المتوسط، يُعدّ تحديد مناطق الولاية البحرية والحدود، وكذلك موارد الطاقة في المنطقة - من أهم القضايا بالنسبة للبلدين، وبخاصة أنه بعد

الاتفاق الموقع بين تركيا وليبيا نهاية عام 2019 الذي حدد مناطق الاختصاص البحري بين البلدين - حدثت تطورات تسببت في صراع بين مصر وتركيا. وردت مصر على هذه الخطوة بالتوقيع على اتفاقية ترسيم الحدود بين اليونان ومصر في 6 أغسطس 2020. وتقع الحدود المرسومة بالاتفاق بين خطي الطول $26^{\circ}00'00''$ و $28^{\circ}00'00''$. وبحسب أطروحات تركيا، فإن مصر التي تخلت عن 11500 كيلومتر مربع بموجب الاتفاقية الموقعة مع الإدارة القبرصية اليونانية لجنوب قبرص عام 2003، تفقد مرة أخرى ولايتها البحرية من خلال ما يُسمى بالاتفاقية الموقعة مع اليونان. وبينما تثبت تركيا أنها يجب أن تتصرف بمنظور يتمحور حول الدول الساحلية، فإن هذا المنظور سيوفر لمصر ولاية بحرية إضافية تبلغ آلاف الكيلومترات المربعة وفقًا لاتفاقياتها القائمة في المنطقة.

ولا تريد تركيا أن تتحرك مصر ضدها من خلال تشكيل تحالف مع اليونان وجنوب قبرص في شرق البحر الأبيض المتوسط، وترى أن هذا ليس في مصلحة البلدين. وعلى الرغم من التوترات مع تركيا، اختارت مصر اتخاذ خطوات حذرة بشأن بعض القضايا وإغلاق جميع الأبواب. وأكد مولود تشاوش أوغلو، وزير الخارجية آنذاك، في لقائه مع نظيره المصري سامح شكري في مارس 2023، أن «مصر تأخذ مصالح تركيا في الاعتبار عند توقيع الاتفاقيات البحرية مع اليونان».⁹

وفي الواقع، فإن أحد أهم المجالات التي يمكن أن يجري فيها التعاون بين البلدين هو شرق البحر الأبيض المتوسط. وفي واقع الأمر، وُقعت مذكرة تفاهم في مجال الغاز بين البلدين في عام 2006. وبموجب مذكرة التفاهم هذه، ستُنشأ شركة تسمى «تيرجاس» بشراكة مناصفة بين مصر وبوتاش. وستكون هذه الشركة مسؤولة عن إنشاء خط أنابيب لنقل الغاز وتسويق الغاز من مصر إلى أوروبا. إلا أن هذا المشروع لم يتحقق بسبب الثورة التي بدأت في مصر عام 2011.¹⁰ ومع تطبيع العلاقات الثنائية، خلال قمة مجموعة العشرين التي عُقدت في نيودلهي، عاصمة الهند، في سبتمبر 2023، أبلغ الرئيس أردوغان الرئيس المصري السيسي أن تركيا تولي أهمية لتنشيط التعاون مع مصر في مجالات الغاز الطبيعي المسال والطاقة النووية. وبحسب بيانات منظمة الدول العربية المصدرة للبترول (أوابك)، تنبؤاً تركيا المرتبة الأولى في صادرات مصر من الغاز المسال بحصة 41 بالمائة من إجمالي الصادرات في الربع الأول من عام 2023.¹¹

قضية ليبيا

هناك قضية أخرى ترتبط بقوة بقضية شرق المتوسط، هي قضية ليبيا. كانت مصر متشككة في الوجود العسكري التركي في ليبيا منذ البداية. لكن تركيا أكدت مرارًا

وتكراراً أن الوجود التركي في ليبيا ليس موجّهاً نحو مصر. بالإضافة إلى ذلك، يؤكد الجانبان المصري والتركي أن استقرار ليبيا يصب في المصلحة المشتركة للبلدين. وبخاصة أن مصر بدأت في تغيير نهجها تجاه ليبيا بدءاً من عام 2021، وقد يستمر التقارب بين مصر وتركيا في ملف ليبيا. فإذا كانت ليبيا دولة مجاورة لمصر وذات قيمة إستراتيجية لها، فإنّ ليبيا تتمتع أيضاً بقيمة إستراتيجية بالنسبة لتركيا من حيث العلاقات التاريخية القديمة والجغرافيا السياسية لشرق البحر الأبيض المتوسط. وكلا البلدين يريدان نهاية كاملة للصراعات هناك، والاستقرار مع الحل السياسي. كما أن مسار العلاقات بين البلدين سيؤثر بشكل إيجابي في مصير ليبيا، حيث يرتبط أساس الاتفاق الذي ينهي انقسام المحور الغربي الشرقي في ليبيا بشكل مباشر بمصالح البلدين. ومن الممكن اتخاذ خطوات مهمّة في هذا السياق خلال زيارة الرئيس أردوغان إلى القاهرة.

المحور الفلسطيني الإسرائيلي

تُعَدّ القضية الفلسطينية إحدى القضايا الأساسية التي يمكن أن يجري التوصل إلى سياسة مشتركة بشأنها بين تركيا ومصر. بعد عملية طوفان الأقصى قبل عدوان الإبادة الجماعية الإسرائيلي في غزة برد فعل من كل من تركيا ومصر. ورغم أن حماس لا تزال تشكل تهديداً لمصر¹²، فإن المذبحة التي ترتكبتها «إسرائيل» ضد المدنيين في غزة، ورغبتها في ترحيل سكان غزة إلى شبه جزيرة سيناء- يُنظر إليها على أنها تهديد للأمن القومي. وفي هذا السياق، تتداخل سياسات تركيا ومصر.

وفي أعقاب العدوان الإسرائيلي على غزة، وقفت تركيا ضد «إسرائيل» بشكل أوضح من مصر، وأوقفت عملية تطبيع علاقاتها مع «إسرائيل». وسحبت تركيا و«إسرائيل» سفيريهما بشكل متبادل، وبدأتا في استهداف بعضهما بعضاً بقسوة على المنصات الدولية. وتدهورت العلاقات التركية الإسرائيلية إلى حد كبير مع رفض الرئيس أردوغان تعريف حماس حركة «إرهابية» وعدّها حركة مقاومة تدافع عن شعبها، وتصريحاته بأن «إسرائيل» دولة إرهابية.

وفي حين تكافح تركيا ومصر من أجل تنفيذ وقف دائم لإطلاق النار في غزة في أقرب وقت ممكن، فإنهما قادرتان على اتخاذ خطوات أكثر أهمية معاً بشأن قضية غزة مع تحسن العلاقات الثنائية. كما تدعم تركيا مصر في فتح البوابات الحدودية بين مصر وغزة حتى تتمكن المساعدات الإنسانية من الوصول إلى المنطقة بشكل مكثف.

وبعيداً عن القضية الفلسطينية، فرغم أن مصر تحاول تحسين علاقتها مع «إسرائيل» في السنوات الأخيرة، ولا سيما في شرق البحر الأبيض المتوسط، وهو ما قد يكون على حساب تركيا، إلا أن الأمور لم تسر على النحو المرغوب فيه بين البلدين. وبينما أنشأت مصر «متدى غاز البحر الأبيض المتوسط»، وهي خطوة تستثني تركيا في شرق البحر الأبيض المتوسط، عام 2019، ورغم أن «إسرائيل» عضو في هذا المتدى، إلا أنها عدلت موقفها وطوّرت الارتباطات مع اليونان وقبرص اليونانية من دون إدخال مصر في هذا المتدى. ومن ناحية أخرى، فإن رغبة مصر في أن تصبح مركزاً عالمياً للغاز المسال تتعارض مع طموحات «إسرائيل» المماثلة. كما أن نية «إسرائيل» إنشاء قناة بن غوريون، التي يمكن أن تؤثر سلباً بشكل خطير في قناة السويس أحد أهم مصادر العملة الأجنبية لمصر - تثير أيضاً شكوكاً جديدة.

ومن ناحية أخرى، فإن الضغوط التي تمارسها «إسرائيل» على مصر في القضايا الإقليمية باستخدام بطاقة الغاز الطبيعي لديها، أمر لا ترحّب به الإدارة المصرية بالطبع؛ لأنه عندما بدأت عملية طوفان الأقصى، أعلنت شركة شيفرون الإسرائيلية تعليق تصدير الغاز الطبيعي الإسرائيلي إلى مصر عبر خط أنابيب شرق البحر الأبيض المتوسط¹³. ولذلك فإن هذه الشكوك المصرية تجاه «إسرائيل» قد تعزز التقارب بين تركيا ومصر.

المصالح الاقتصادية المشتركة

إن مصر وتركيا دولتان تتمتعان بمواقع إستراتيجية مهمة للغاية، وتسيطران على طرق بحرية مهمة للغاية (قناة السويس، والدردنيل، والمضيق). ولذلك فإن التعاون اللوجستي بين البلدين مهم، ويعطي قيمة إستراتيجية مهمة لكلا البلدين لطبيعتهما التكاملية بسبب موقعهما الجغرافي؛ لأن مصر تمثل، من ناحية، بوابة شمال وشرق إفريقيا بالنسبة لتركيا.

بالإضافة إلى ذلك، تبدو مصر بمثابة جسر إلى إفريقيا، حيث تزايدت الاستثمارات التركية والحضور التركي في الآونة الأخيرة. ولذلك فإن البنية التحتية اللوجستية وموقع مصر سيسهل على تركيا الوصول إلى أعماق إفريقيا. ومن ناحية أخرى، تُعدّ تركيا بمثابة نافذة لمصر على أوراسيا. وقد يكون لتركيا دور مماثل في تجارة مصر مع أوروبا الشرقية والجمهوريات التركية وروسيا والصين.

ويتمتع البلدان بالقدرة على دعم بعضهما بعضاً في مجال التجارة الدولية. وفي مجال التجارة الثنائية، جرى توقيع اتفاقية التجارة الحرة بين مصر وتركيا عام 2005. ومن أهم بنود الاتفاقية؛ إزالة الحواجز الجمركية وغير الجمركية أمام التجارة في السلع¹⁴. وتشير



هذه الاتفاقيات إلى أن العلاقات الاقتصادية بين مصر وتركيا أصبحت إستراتيجية في عهد حسني مبارك. وبعد عام 2011، وبخاصة في عهد الرئيس مرسي، تطورت العلاقات الاقتصادية بين البلدين في مجالات السياحة والصناعة والتجارة بشكل ملحوظ. ومن أهم الأمثلة على هذا التعاون مذكرة التفاهم بشأن التعاون في مجال النقل البري والعبور، التي دخلت حيز التنفيذ في عام 2012.¹⁵

ورغم أن العلاقات بينهما على المستوى السياسي كانت مضطربة خلال السنوات الخمس الماضية، إلا أن حجم التجارة المتبادلة بين البلدين وصل إلى 15 مليار دولار.¹⁶ بالإضافة إلى ذلك، بلغت قيمة التبادل التجاري بين مصر وتركيا 7.7 مليار دولار في عام 2022 وحده.¹⁷ في الواقع تُعدّ مصر ثاني أكبر دولة عربية مصدرة لتركيا وثالث أكبر دولة مستوردة من تركيا.¹⁸ وأخيراً، تجري المفاوضات بين البلدين لاستخدام العملة المحلية بدلاً من الدولار في التجارة الثنائية. ومن ناحية أخرى، تُعدّ مصر وجهة مهمة للاستثمارات التركية. وخلال فترة الثورة في مصر، وصلت الاستثمارات التركية إلى 2 مليار دولار. ومن المتوقع أن تصبح مصر قاعدة للاستثمارات التركية من جديد، خاصة بعد تحسن العلاقات على المستوى السياسي.¹⁹

التعاون الأمني: التعاون في مجال الاستخبارات وصناعة الدفاع

إن الفوضى وديناميكيات الصراع في جغرافية الشرق الأوسط والتهديد الإرهابي المتزايد - كل ذلك يخلق أساسًا لكلا البلدين للتعاون في مجال الأمن. في حين أن عدم الاستقرار في دول مثل سوريا ولبنان وليبيا والسودان يشكل تهديدًا كبيرًا ويضعف سلطات الدولة، فإن موقف «إسرائيل» العدواني تجاه غزة، الذي وصل إلى الإبادة الجماعية، يجعل من الضروري أن يعمل البلدان معًا في العديد من الحالات الأمنية. ويؤكد التعاون المستمر بين جهاز المخابرات الوطنية التركية والمخابرات العامة المصرية في العديد من الملفات الأمنية أهمية التعاون الأمني بين البلدين. وفي الواقع، لم ينقطع هذا التعاون حتى في أحلك الفترات بين البلدين على المستوى السياسي.

ولذلك فمن المتوقع أن يتزايد التعاون الأمني وخاصة الاستخباراتي بين البلدين في الفترة الجديدة. ومن ملفات التعاون الأمني ذات الإمكانيات العالية بين البلدين، قطاع الصناعة الدفاعية، خاصة فيما يتعلق بالتعاون العسكري. وتبرز تركيا ومصر دولتين تمتلكان أكبر الصناعات الدفاعية في الشرق الأوسط. وعلى الرغم من أن مصر منتج مهم، إلا أنها تريد أيضًا الاستفادة من الاختراق الذي حققته تركيا في تطوير الصناعة العسكرية في السنوات الأخيرة. يمكن لشركات الصناعات الدفاعية التركية أن تنتج قيمة كبيرة لمصر؛ لأن «تنوع موارد الأسلحة» يمثل دائمًا سياسة لا غنى عنها بالنسبة لمصر.²⁰ كما تُعدّ مصر من كبرى الشركات المصنعة للمركبات المدرعة في الشرق الأوسط، وأهمها مركبة «الفهد» المدرعة، التي تصدّرها مصر إلى بعض الدول العربية والإفريقية. وهكذا تنتظر البلدين العديد من ملفات التعاون العسكري. وهناك بعض المؤشرات على أن هذا التعاون العسكري قد بدأ بالفعل. وكانت أولى العلامات لقاء وزير الدولة المصري للإنتاج الحربي محمد صلاح الدين مصطفى، وسفير تركيا بالقاهرة صالح موتلو شان، في 16 يوليو 2023، لبحث سبل التعاون بين الطرفين في المجال العسكري.²¹ ومن ناحية أخرى، حضر وزير الإنتاج الحربي المصري، ورئيس شركة الصناعات الدفاعية التركية، هالوك جورجون، والعديد من شركات الصناعات الدفاعية التركية مثل أسيلسان، وهافيلسان، وتوساش، وروكيتسان، وبيرقدار، وبي إم سي، معرض الصناعات الدفاعية والعسكرية «EDEX 2023» الذي انعقد في القاهرة.

ومن المؤشرات المهمة الأخرى أن وزير الخارجية التركي هاكان فيدان أدلى بتصريح قبل زيارة الرئيس أردوغان إلى القاهرة، ذكر فيه أنه يمكن بيع أسلحة تركية إلى مصر.

وتؤكد التطورات ذات الصلة أن التعاون في مجال الصناعة الدفاعية سيكون مجالاً مهماً للتعاون بين البلدين.

خاتمة

قد تشهد زيارة الرئيس أردوغان إلى القاهرة في 14 فبراير 2024، بداية حقبة جديدة بين البلدين. في نهاية المطاف، بالنسبة لكلا البلدين، تتطلب التحديات الجيوسياسية الإقليمية والمصالح المشتركة العمل معاً، وترك مشكلات الماضي جانباً. تواجه تركيا ومصر، بوصفهما دولتين تزعمان أنهما قوتان إقليميتان في منطقة جغرافية صعبة للغاية - تهديدات مماثلة، وقد يكون من الممكن لهما العمل معاً كشركاء إستراتيجيين مرة أخرى. وفي هذه الفترة الفوضوية حيث تتآكل سلطات الدولة وتنشب حروب أهلية وحروب بالوكالة في الشرق الأوسط وإفريقيا، فمن الأهمية بمكان أن تتمكن كل من تركيا ومصر من إعادة ترسيخ الاستقرار في المنطقة استناداً إلى بنية أمنية. ومن الممكن أن يؤدي التوصل إلى موقف مشترك ضد الإبادة الجماعية التي ترتكبها «إسرائيل» في غزة إلى التقريب بين البلدين.

وبالنسبة لتركيا، فإن تحسين علاقاتها مع مصر قد يمهد لها الطريق لزيادة نفوذها في إفريقيا، وإقامة علاقات أوثق وأكثر جدوى مع العالم العربي، ويكون لها تأثير ملموس في القضية الفلسطينية، وبخاصة في غزة. وستقدم إسهامات مهمة لتحقيق الاستقرار السياسي في ليبيا، وبطبيعة الحال، لحماية مصالحها في شرق البحر الأبيض المتوسط. وبالمثل، بالنسبة لمصر، يمكنها تعزيز يدها ضد التهديدات الجيوسياسية في إفريقيا من خلال الشراكة الإستراتيجية مع تركيا.

قد يمكن الحصول على دعم تركيا في قضايا مثل إثيوبيا والسودان وليبيا من أن تصبح شريكاً اقتصادياً مهماً لمصر مرة أخرى، ويخلق الفرصة للعمل بدعم تركيا ضد التهديدات من «إسرائيل». وبالإضافة إلى ذلك، فإن تطور السياحة في تركيا التي تعاني أيضاً وضعاً صعباً بالنسبة لاقتصادها، سيمهد الطريق أمام تركيا للتصدير إلى الأسواق التي تنشط فيها.

وستؤدي الشراكة التركية المصرية في مجال الصناعة الدفاعية إلى تأثيرات تزيد من قوة الردع العسكري للبلدين. كما قد تؤدي إمكانية استخدام موارد الطاقة الغنية في مصر وشرق البحر الأبيض المتوسط؛ لتحقيق المصالح المشتركة أيضاً - إلى وضع العلاقات بين البلدين على أساس هيكلي ومستقر.

الهوامش والمراجع:

1. Yapıcı belirsizlik “constructive ambiguity” anlayışı öne çıkmış görünmektedir.
2. Abdülnasır, C. (1954). فلسفة الثورة (Devrim felsefesi). Kahire: Dar Al Maaref, s 60.
3. Bu üç ilgi alanına verilen öncelik, zamana ve konjonktüre göre değişmiştir. Nitekim 1970’li yıllardan bu yana Mısır dış politikasının Afrika boyutunun zayıfladığını görüyoruz.
4. Buna en örnek, 1960’lardan itibaren Türkiye’nin “Bağılantısızlar Hareketi” ve “İslam İşbirliği Teşkilatı” örgütlerinde aktif rolüdür.
5. AA. (2022, Aralık 22). Türk yetkili: Afrika’daki Projelerimizin Büyüklüğü 82 Milyar Doları Aştı (مسؤول تركي: حجم مشروعاتنا في إفريقيا تجاوز 82 مليار دولار). [www.aa.com.tr: https://www.aa.com.tr/ar/](https://www.aa.com.tr/ar/) adresinden alınmıştır
6. Said, İ. (2022, Eylül 01). Mısır’ın Afrika’daki Yatırım Hacmi 10,2 Milyar Dolar. [www.youm7.com: https://www.youm7.com/story/2022/9/1/10-2-](https://www.youm7.com/story/2022/9/1/10-2-) adresinden alınmıştır
7. AA. (2022, Aralık 22). Türk yetkili: Afrika’daki Projelerimizin Büyüklüğü 82 Milyar Doları Aştı (مسؤول تركي: حجم مشروعاتنا في إفريقيا تجاوز 82 مليار دولار). [www.aa.com.tr: https://www.aa.com.tr/ar/](https://www.aa.com.tr/ar/) adresinden alınmıştır
8. Ahval. (2023, Nisan 15). مصر تطالب تركيا بسحب قواتها من سوريا (Mısır, Türkiye’ye askerlerini Suriye’den çekme çağrısında bulundu).
9. CNN. (2023, Mart 20). وزير خارجية تركيا يعلق على «عدم ارتياح» مصر لوجود بلاده في ليبيا (Türkiye Dışişleri Bakanı, Mısır’ın ülkesinin Libya’daki varlığından duyduğu “rahatsızlığı” yorumladı). <https://arabic.cnn.com/>: <https://arabic.cnn.com/middle-east/article/2023/03/20/egypt-turkey-sameh-shoukry-libya-greece-mevlut-cavusoglu> adresinden alındı
10. CNN Türk. (2006, Şubat 16). Türkiye Mısır’dan Doğalgaz Alacak. CNN Türk: <https://www.cnnturk.com/ekonomi/genel/turkiye-misirdan-dogalgaz-alacak> adresinden alındı
11. CNN Business Arabic. (2023, Aralık 10). G20 Zirvesi Oturum Aralarında Mısır ve Türkiye Enerji Alanında İşbirliğini Görüştü (على هامش قمة العشرين). [cnnbusinessarabic.com: https://cnnbusinessarabic.com/economy/36631/](https://cnnbusinessarabic.com/) adresinden alınmıştır
12. Mısır’da yaşanan askeri darbeden sonra Müslüman Kardeşler’in bir uzantısı olarak görülen Hamas’a yönelik sert bir pozisyon alınmış, Refah bölgesindeki tünel hatları İsrail ile işbirliği halinde yok edilerek, Gazze ablukasına katkı sağlanmıştır. Yine Mısır’da Hamas’ın terör örgütü olduğuna dair çeşitli yargı kararları alınmıştır.

13. شيفرون» تعلق تصدير الغاز الإسرائيلي إلى مصر عبر (Alarabiya. (2023, Ekim 10). خط أنابيب شرق المتوسط (Chevron, İsrail gazının Doğu Akdeniz boru hattı üzerinden Mısır'a ihracatını askıya aldı). <https://www.alarabiya.net/:https://www.alarabiya.net/aswaq/oil-and-gas/2023/10/10/%D8%B4%D9%8A%D9%81%D8%B1%D9%88%D9%86-%D8%AA% adresinden alındı>
14. Ticaret Bakanlığı. (2023, Eylül 28). Mısır. <https://ticaret.gov.tr/:https://ticaret.gov.tr/dis-iliskiler/serbest-ticaret-anlasmalari/yururlukte-bulunan-stalar/misir#:~:text=27%20Aral%C4%B1k%202005%20tarihinde%20Kahire,Mart%202007%20tarihinde%20y%C3%BCr%C3%BCr%C3%BCr%C4%9Fe%20girmi%C5%9Ftir adresinden alındı>
15. Dışişleri Bakanlığı. (2014, Ekim 28). QA-37, 28 October 2014, Statement of the Spokesman of the Ministry of Foreign Affairs Tanju Bilgiç in Response to a Question Regarding Egypt's Termination of the Memorandum of Understanding on Cooperation on Ro-Ro and Road Transit Transportation. https://www.mfa.gov.tr/:https://www.mfa.gov.tr/qa_37_-28-october-2014_-statement-of-the-spokesman-of-the-ministry-of-foreign-affairs-tanju-bilgi%C3%A7-in-response-to-a-question-regarding-egypt_s-termination-of-the-memorandum-of-understanding.en.mfa adresinden alındı; Bu anlaşma, iki ülke arasındaki ilişkilerin kötüleşmesinin sonucunda Mısır tarafından sonlandırılmıştır. Mısır gerekçesi, anlaşmanın Mısır ticaretine hiçbir katkı sağlamasıdır (Hagagi, 2015).
16. Skynewsarabia. (2023, Ağustos 2). اتفاق بين مصر وتركيا على زيادة التبادل التجاري. (An agreement between Egypt and Turkey to increase trade exchange). <https://www.skynewsarabia.com/:https://www.skynewsarabia.com/video/1641895- adresinden alındı>
17. youm7. (2023, Ekim 15). 33.3 % ارتفاع في قيمة الصادرات المصرية لتركيا خلال 2022.. Infographic). <https://www.youm7.com/:https://www.youm7.com/story/2023/10/15/33-3-%D8%A7%D8%B1%D8%AA%D9%81%D8%A7%D8 adresinden alındı>
18. Fanarturk.com. (tarih yok). تفصيلات عن التجارة بين مصر وتركيا (Mısır ile Türkiye arasındaki ticarete ilişkin ayrıntılar). Kasım 14, 2023 tarihinde <https://fanarturk.com/:https://fanarturk.com/blog/trade-between-egypt-and-turkey adresinden alındı>
19. Mert Kural, G. (2023, Temmuz 9). Türk şirketleri Mısır'ı üretim üssü yapıyor. <https://www.patronlardunyasi.com/:https://www.patronlardunyasi.com/haber/turk-sirketleri-misir-i-uretim-ussu-yapiyor/283394 adresinden alınmıştır>

20. Mısır'ın Rusya'dan Su-35 satın alma girişiminde de bu açıkça görülüyor, nitekim Mısır 2019'da Rusya ile yaklaşık 20 Su-35 savaş uçağı satın almayı amaçlayan iki milyar dolarlık bir anlaşma imzalamıştı ancak anlaşma Amerikan tehdidi nedeniyle askıda kalmıştı (BBC, 2021).

21. مصر وتركيا للتعاون في «التصنيع العسكري». (17 Temmuz 2023, alsharqalawsat. (2023, Temmuz 17). «التصنيع العسكري» بعد استعادة العلاقات (Mısır ve Türkiye, ilişkileri yeniden kurduktan sonra “askeri sanayileşme” konusunda işbirliği yapacak ()). [https://www.elbalad.news/6026133](https://aawsat.com/:https://aawsat.com/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%adresinden alındı; brahim, M. (2023, Aralık 5). Türkiye İlk Kez EDEX Savunma Fuarına Katılıyor ve Modern Savunma Ürünlerini Sergiliyor (أول مرة. تركيا تشارك في معرض إيديكس للسلاح وتعرض منتجات دفاعية حديثة) www.elbalad.news: <a href=) adresinden alındı

الحرب الأمريكية في أفغانستان:

تطور طبيعة الحرب ونسق القوة

صالح حمد صالح حديد*

ملخص: تتناول هذه الدراسة ميزان القوة بين الجيش الأمريكي ومقاتلي طالبان بعد عشرين عامًا من الحرب في أفغانستان، باعتبار أنها كانت صراعًا مركبًا انطوى على تغيير مهم في طبيعة الحرب، وتحول في ديناميات ميزان القوة بين قوى عظمى (الولايات المتحدة وحلفائها)، وحركة اجتماعية ذات مرجعية دينية (طالبان)، وذلك على مستويين: أولاً، المواجهة المسلحة غير المتماثلة بين قوات الطرفين، ثانياً، التنافس الثقافي والفكري بين الجانبين خلال عشرين عامًا من أوج مكافحة الإرهاب وفق التصور الأمريكي، وذروة الجهاد في أبعاده الدينية والوطنية والثقافية وفق المعتقد الطالباني، وتخلص الورقة إلى مجموعة استشرافات عن طبيعة القوة الحاسمة في الحرب المعاصرة. الكلمات المفتاحية: طبيعة الحرب - ميزان القوة - التفوق التكنولوجي - مكافحة الإرهاب - الجهاد - القوة الحاسمة في الحرب.

باحث، أكاديمية
جوعان بن جاسم
للدراستات الدفاعية،
قطر.

The American War in Afghanistan:

An Evolution in the Nature of War and the Paradigm of Power

SALEH HADEED*

ORCID NO :0000-0002-1550-6229

ABSTRACT: This paper probes in analyzing the balance of power at the end of a twenty-year war between the US army and the Taliban fighters, since the war in Afghanistan was a complex conflict that evolved into an important change in the nature of war, and a shift in the dynamics of the balance of power between great powers (the United States and its allies), and a social movement with a religious reference (the Taliban), on two levels: first, the asymmetric armed confrontation between the forces of the two sides, second, the cultural and intellectual competition between the two sides during twenty years of the climax of the fight against terrorism according to the American perception, and the peak of Jihad in its religious, national and cultural dimensions according to the Talabani belief, and the paper concludes with a set of perspectives on the nature of the decisive force in contemporary war.

Keywords: Nature of War - Balance of Power- Technological Superiority- Fight against Terrorism- Jihad- Decisive force in War.

* Researcher,
Joan Bin Jassem
Academy for
Defense Studies,
Qatar.

لايسة فريكية
2024-(1/13)
161 - 188

مقدمة

الحرب في تطورها الراهن إلى حرب غير متماثلة، حرب تجري بين متحاربين تختلف قوتها العسكرية والإستراتيجية بشكل كبير، وهذا يحدث عندما يقابل جيش نظامي محترف حركة تمرد أو حركة مقاومة أو فواعل من غير الدول، ومثل هذه الحرب تقوم بشكل أساسي على إستراتيجيات غير تقليدية، بحيث يقوم الطرف الأضعف بمحاولة استخدام إستراتيجيات معينة لموازنة أوجه الضعف الكمية والنوعية الموجودة عنده، وهذا يمنحه إمكانيات التصدي لجيوش نظامية، وفي ذلك ما يعني فقد أو إضعاف القوة الصلبة تأثيرها في الحرب غير المتماثلة.

خالفت تطورات الواقع الأفغاني في العقدين الأخيرين كلّ الفرضيات التي تقوم عليها النظريات والمفاهيم التي تتبنى المفهوم التقليدي للقوة؛ بدءاً من كاليكلس (Callicles) وثيو سيديس (Thucydides) ومناصريهما في العصور القديمة، وصولاً إلى مورغنتاو (Morgenthau) وميرشايمر (Mearsheimer) ومؤيديهما في العصر الحالي، حيث يسود الاعتقاد أنّ الغلبة في أيّ حرب تكون للجيش الأقوى؛ الذي يمتلك التفوق في القوة والقدرات، والسيطرة على الأرض والجو، لكن المواجهات الميدانية بين الجيش الأمريكي ومسلحي حركة طالبان حادت عن هذا النسق الذي يعتدّ بالتفوق في مستوى القوة بين طرفي الصراع، وأبدت طالبان بمجموعات غير نظامية، وبسلاح تقليدي، الصمود والانتصار ضد أكبر تحالف دولي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية في حرب دامت عقدين من الزمان، ولم تتحقق الغايات الأمريكية منها في القضاء على الحركة، كما لم تستطع إنهاءها بخروج مشرف، رغمًا عن امتلاكها ترسانة من الأسلحة الحديثة فائقة التكنولوجيا.

في التسعينيات عندما كان العالم على أعتاب الألفية الثالثة، حدثت تحولات عالمية كبرى تمثلت في انقلاب سياسي بانتهاء الاتحاد السوفياتي ونهاية الحرب الباردة، وبروز القطبية الأمريكية الأحادية للعالم، وثورة تكنولوجيا حددت السمات الإستراتيجية لعمليات القوة، وهو ما توقعه مؤرخ الحرب الباردة جون لويس غاديس (John Lewis Gaddis) بتغيّر في السياسة الدولية، الذي كتب في عام 1992م نصًّا يقول فيه:

«ومن المرجح أن يشتمل العالم الجديد في حقبة ما بعد الحرب الباردة على القليل من خصائص (الحرب الباردة) هذه، إن وجدت: وهذا مؤشر على مدى تغير الأمور بالفعل منذ انتهاء الحرب الباردة. إننا نقف عند إحدى نقاط «الترقيم» النادرة في التاريخ، حيث انهارت أنماط الاستقرار القديمة ولم تظهر بعد أنماط جديدة لتحل محلها. من المؤكد أن المؤرخين سيعتبرون الأعوام 1991-1989 بمثابة نقطة تحول يمكن مقارنتها

من حيث الأهمية بالأعوام 1794-1789، أو 1918-1917، أو 1947-1945؛ ومع ذلك، فإن ما «تحول» على وجه التحديد هو أقل تأكيداً بكثير. نحن نعلم أن سلسلة من الزلازل الجيوسياسية قد حدثت، لكن ليس من الواضح بعد كيف أعادت هذه الاضطرابات ترتيب المشهد الذي أماننا¹

ومن ثمّ أفرزت المتغيّرات العالمية وتطوّرات التكنولوجيا محدّدات جديدة لإدارة الحرب المعاصرة، يظهر منظومات أسلحة وأدوات قتال مطوّرة،⁽²⁾ وبروز فواعل من غير الدّول⁽³⁾ كجهات ارتأت حمل السلاح وخوض الصراع المسلح ضدّ الدّول تشمل: مليشيات غير نظامية، مرتزقة تخوض الحرب بالوكالة، جماعات إرهابية، وتنظيمات مسلحة قائمة على قوميات عرقية ومعتقدات فكرية وأيديولوجيا متطرّفة، وأفضى ذلك إلى بروز حرب أطراف غير متماثلة⁽⁴⁾ تتصف بسمات جديدة مغايرة تماماً لما كانت عليه الحرب في السابق، مثل نوعية الخصوم كجيوش دول ذات نديّة وتوازن في القوّة، وتشابه في الأساليب والوسائل والأدوات التي تستخدمها، وفي الغايات والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها، وبناءً عليه، تستخدم هذه الدراسة، مصطلح «حرب أطراف غير متماثلة» استناداً إلى توصيف المصطلح وتوظيفه، وإلى الأصل في اللغة الإنكليزية، حيث يُستخدم مصطلح «الحرب غير المتماثلة» (Asymmetric war) لوصف الحرب (حالة الصراع بين دولتين أو قوتين غير متكافئتين)، بينما يجري استخدام مصطلح «حرب أطراف غير متماثلة» (Asymmetric warfare) في توصيف الاحتراب (الصراع المسلح والعمليات القتالية) في إشارة محددة إلى أطراف مشاركة فيها، وليس الحرب.⁽⁵⁾

ومثّلت الحرب الأمريكية في أفغانستان اختباراً لنظرية النّظم⁽⁶⁾ التي ظهرت إبان الثورة الأمريكية في الشؤون العسكرية، وتقوم على الاستفادة من التفاعل الحاصل بين النّظم التي تجمع المعلومات، والنّظم التي تستخدم القوّة العسكرية، بالشكل الذي يؤدّي إلى تحقيق النصر الكامل في الحرب بالحدّ الأدنى من المخاطر للقوات المسلحة والسكان،⁽⁸⁾ وفي نظر كثير من المختصين، تعني وتنصرف الثورة في الشؤون العسكرية إلى التحوّل في طبيعة النزاع نفسه بالكشف عن جوانب جديدة للضعف، وابتكار أساليب جديدة للهجوم، على اعتبار أنّ هناك مجالاً واسعاً من الأهداف أصبح مكشوفاً تماماً للهجوم بواسطة الأسلحة الذكيّة، بالإضافة إلى تراجع الحماية التي كان يوفّرها البعد والحجم والتضاريس والعوامل الجوّية.⁽⁹⁾

وتتبدّى نظرية النّظم التي مثّلت الحرب في أفغانستان اختباراً لها، في ثلاثة أبعادٍ مجازية، هي:

- البعد الأول: اختبار التّصور الأمريكي للثورة في الشؤون العسكرية الذي صاغه الأدميرال ويليام أوينز في ثلاثة نظم متداخلة ومتكاملة لأصول القوة لخوض الحرب.

- البعد الثاني: اختبار المفاهيم الفكرية لنظم الحكم والسياسة بين النّظام الإمبريالي الرأسمالي بمنطق الهيمنة، والنّظام الإسلامي الشوري القائم على المعتقد الديني.

- البعد الثالث: اختبار مناظير القوة الحاسمة في الحرب الماديّة ومضعفاتها المعنويّة، وتمّ اختبار تلك النّظم الثلاثة عبر بُعدي المكان (مسرح عمليات أفغانستان) والزمان (عقدين من القتال).

تجادل الورقة أنّ الحرب الأمريكية في أفغانستان - التي يمكن تصنيفها ضمن فئة الجيل الرابع للحرب - كانت مغايرة في طبيعتها وخصائصها، وأحدثت تغييراً في مفهوم القوة الحاسمة للحرب، بحجّة أنّ الولايات المتحدة بعد عشرين عاماً على حرب غير متماثلة ضد حركة طالبان - لم تتمكن من تحقيق الأهداف المرسومة لها بموازاة الخسائر المالية والسياسية التي نجمت عنها، وهذا أقنعها بفكرة الانسحاب من أفغانستان، فيما عدّه الكثير من المحللين الإستراتيجيين من أمثال روب جونسون (Rob Johnson) «هزيمة مُنيت بها القوّات الأمريكية في أفغانستان»، خاصة بعد الانهيار السريع للحكومة الأفغانية التي كانت تدعمها، ويصف ذلك الأمر بأنه: «قصور النظام» (Systemic Failure)⁽¹⁰⁾

تبنى هذه الدراسة ثلاث فرضيّات متقاربة: أولاً، وجود علاقة ارتباط سالبة بين التبدّلات في طبيعة الحرب غير المتماثلة والتحوّلات في مفهوم تعادل القوة العسكرية، وبين إخفاق المشروع الأمريكي في السيطرة على أفغانستان. وتجادل الثانية بأنّ التوظيف الأمريكي للقوة العسكرية في حرب أطراف غير متماثلة تتميز بعدم احتكار السلطة للقوة - يجعل الفواعل المسلحة غير الدولة والمليشيات ندّاً للسلطة والجيش النظامي. بينما تفترض الثالثة أنّ القراءة الأمريكية للتركيبة القبلية للأفغان من دون اعتبار لخصوصية الأوضاع في أفغانستان الإسلامية، التي طالما خاضت حروبها جهاداً ضد الغزاة - جعلت أمريكا قاصرة عن إدراك مكوّنات قوة طالبان الحقيقية.

تتوخى هذه الدراسة الإسهام في بلورة مفهوم جديد للقوة الحاسمة في الحرب، وذلك من خلال تحديد ماهيّة مكوّنات القوة التي رجّحت الكفّة لمصلحة طالبان، اعتماداً على روافدها المحلية من القوة بتجلياتها كافة، حتى قناعة واشنطن بضرورة الانسحاب من أفغانستان، وتندرج هذه الورقة عبر أربعة محاور: يبحث الأوّل في تغيير في طبيعة حرب الجيل الرابع غير المتماثلة، وأثره في تغيير موازٍ في مفهوم القوة في النّظرية التقليدية،

ويتناول المحور الثاني خلفية الحرب الأفغانية ٩٩ ومواقف الطرفين، بينما يبحث المحور الثالث في تغيير في ميزان القوة في الميدان، الذي نال من دور الولايات المتحدة في التفوق الحاسم في مآل الحرب، ويستقصي المحور الرابع العوامل الماديّة والحوافز غير الماديّة، التي عززت دور طالبان في النديّة والصمود.

التكتيك هو فن استخدام
القوات العسكرية في
المعركة بينما الإستراتيجية
هي فن استخدام المعارك
لتحقيق هدف الحرب
٦٦

أولاً: مدخل نظري حول تطور الحرب ونسق القوة

(1) ظاهرة الحرب: بين الفن والعلم

تتبع جدليّة الصراع في الغالب، اتّجاه الحرب وميلها دوماً إلى التّصعيد إلى الحدود القصوى، حيث لا يمكن ربح الحرب إلّا في اللحظة التي يخضع فيها أحد الخصمين لإرادة الآخر، وفق نظريتي اللعبة والمعادلة الصفرية بأن يقبل طرف بالهزيمة أمام فوز الطرف الآخر، ويُبرز هذا العمل التدميري الخاصيّة الأساسيّة للحرب، التي هي اختبار القوة، وتنادي الحرب بامتلاك القوة ببعديها، أو بتعبير أصح، بأثرها الماديّ والمعنوي معاً، فما بين الحرب الشاملة التي تتطلب تدمير القوة المعادية وإبادتها، والحرب المحدودة التي تهدف إلى هزم إرادة القتال لدى العدو والقضاء عليه معنوياً ومادياً، يبقى حشد القوة المتوازنة مطلباً حيويّاً، مع وضوح عقيدة الحرب ووجود إرادة القتال، ويمكن الاعتداد بمقولة: «إنّ الحرب علّمٌ تجريبي تنقصه التجربة»، وبينما يقول المارشال بيتان (Henri Philippe Pétain): «إنّ عقيدة الحرب كائنٌ مستمر، وعلينا أن نغذيه بالتجربة، ونعطيه الحياة بالحسّ الدقيق بالحقيقة»⁽¹¹⁾ فمن المهم التنويه أنّ الأجداد لم يكن لهم فكرٌ عسكري مكتوب ونهجٌ عقائدي مسطور لخوض الحرب، بل اعتمدوا على الفطنة والموهبة والحسّ الفطري بضرورة حشد القوة في المكان والزّمان المناسبين والمباغته والمناورة.

وفي العلاقة بين الحرب والسياسة، يشدّد كلاوزفيتز (Carl Philipp Gottfried von Clausewitz) على أنّ: «الحرب هي امتداد للسياسة ولكن بشكل أعنف»، وهو يرى أنّ المعركة الرئيسة هي أهم الوسائل المميّزة للحرب، وتعتمد على العلاقة بين الوسائل والأهداف، وما يميّز فكر كلاوزفيتز، تلك النظرة الشاملة للدولة والحرب في تعريفه للإستراتيجية والتكتيك، حيث يرى أن التكتيك «هو فن استخدام القوات العسكرية في المعركة» بينما الإستراتيجية، «هي فن استخدام المعارك لتحقيق هدف الحرب»،

ويرى ضرورة توازن مميزات الدفاع بواسطة علاقة جدلية، حيث «الدفاع هو الشكل الأقوى ذو الهدف السلبي، والهجوم هو الشكل الأضعف ذو الهدف الإيجابي»، والمعركة لا تُعدّ خاسرة من الناحية المادية، إلا عندما تُهزَم الروح المعنوية، ولذا، «القوة المادية هي المقبض الخشبي، والقوة المعنوية هي النصل اللامع للسيف»⁽¹²⁾

وليس بعيداً عن ذلك، ما قاله الجنرال جان بيريه (Jean-Baptiste Perrée) : «إنَّ الكائن البشري هو صانع الحرب وأداتها الأولى، وهو يضع في خدمة العمل الحربي كل قواه المادية والفكرية والنفسية»⁽¹³⁾ ولكن تطوّر فن الحرب تحت تأثير التقدم العلمي والتقني قلل من أهمية استخدام قوة الإنسان المادية في الحرب، وجعل القوتين الفكرية والمعنوية في الدرجة الأولى، فأفضى ذلك إلى بروز ما يمكن تسميته ظاهرة العسكري الحديث، الذي يعتمد اعتماداً شبيه مطلق على التقنية العالية في آلة الحرب، فلم يعد الجنود مقاتلين ومحاربين، بل أصبحوا اختصاصيين في استخدام الآلات والأدوات، ويقول بيريه: «يبقى الدليل على مكانة الفكر، أنه المصدر الذي تنبثق منه إرادة القتال، وهو الذي يحدّد العلاقة بين العقل والحرب، ويشرح فن إدارتها»⁽¹⁴⁾ وهو ما يثير تساؤلاً حول قدرة التفوق التكنولوجي وحده على حسم الحرب القادمة.

يقول فوتاو (John F. Votaw): «يتأثر فنُّ القتال بمتغيّرات عدّة بدءاً بما تفرزه الحروب من دروس وعبر، وما يجري على ساحات القتال العسكرية من مخترعات وتحسينات، وما يتمخض عن المدارس الفكرية العسكرية من عقائد ومبادئ وإستراتيجيات، والقتال أكثر أنواع النشاط الإنساني اعتماداً على العلم والمعنويات، وأشدّها حاجة إلى الإبداع والابتكار، وأعظمها تأثيراً على مصالح ومصائر البشر، هكذا كان شأنه في الماضي، وهكذا سيكون في المستقبل»⁽¹⁵⁾ والانتماء للعصر الحاضر يعني العلم والتقانة والتطوير والتحديث، إذ أعلن عن انتهاء حرب العصر الصناعي وبدء حرب عصر التقانة؛ حرب القيادة والسيطرة والتحكم الآلي، والاستخدام الواسع للأقمار الاصطناعية لأغراض الاستطلاع والتنصت على الاتصالات والسيطرة وتبادل المعلومات، الحرب التي تُستخدم فيها أسلحة وقنابل ذكيّة لها قدرة أكبر على التمييز والوصول إلى أهداف أبعد وبقوة تدمير أكبر ضمن القوة الجوّية والصاروخية.

ويعدّ اكتشاف البارود ودخول السلاح الناري أرض المعارك علامة فارقة في مسار الحروب، ثمّ في بروز مدوّ أعلن السلاح النووي عن نفسه، فأبرزت خواصه الثورية انتفاء العلاقة بين القوة والعدد، ثمّ تسبّبت تكنولوجيا المعلومات في إحداث تغييرات جوهرية في مجال التسليح، ففي الماضي، كانت المادّة والطاقة، هما المكوّنات الأساسيان



للأسلحة، وتجسّدت نتائجهما في قابلية الحركة وقوّة التدمير، ولكن نتيجة لتكنولوجيا المعلومات، تحقّق دمج الطّاقة والمادّة وعنصر المعلومات، فنتجت عن ذلك أسلحة ذكيّة محكمة دخلت بها أمريكا حربها في أفغانستان.

(2) الأسس النظرية لخصائص الحرب غير المتماثلة

يطلق الباحثون والخبراء على الجيل الرابع من الحرب مصطلح حرب الأطراف غير المتماثلة (Asymmetric Warfare)، وأبسط تعريف قدمه ماكس مانوارينج (Max Manwaring) لمفهومها أنها: «حرب يكون أحد أطرافها الرئيسة ليس دولة، بل كيان فاعل عنيف غير دولة، يقوم على ضرب الدّولة من الداخل من خلال إثارة القلاقل والتمرد، والتشجيع على الحرب الأهلية، والطائفية والعرقية»¹⁶، ومن خصائص هذه الحرب أنها غير مركّزية، ولا تتبع خطوط واضحة فاصلة بين الحرب والسياسة، والمقاتلين والمدنيين، وفي حالة الحرب الأمريكية في أفغانستان، فهي صراع بين دولة (أمريكا) وفاعل من غير الدّولة (طالبان) يتصف بعدم وجود خصائص مشتركة، أو تشابه في القدرات العسكرية بين طرفيه، إضافةً إلى استخدام

وسائل وأدوات قتالية ومناورة غير متماثلة في ذلك الصراع، تجمع بين التقليدية وغير التقليدية فيما يعرف بالحرب الهجينة¹⁷، ما يهم أنّها وفّرت لحركة طالبان بيئة قتالية مثالية لمقاتليها - بحسب قوّتهم الذاتية وقدراتهم المتاحة لهم - لتصبح قوتهم ندّاً للقوّّة الأمريكية في معظم فترات الحرب.

وتتسم الحروب غير المتماثلة بتعقّد التحالفات التي ترتبط بها بحسب مصالح الأطراف المنخرطة فيها، وعلى هذا المستوى، لم تكن القوّات المسلّحة الأمريكية أو النظامية وحدها صاحبة الدور الرئيس في الحرب في أفغانستان، حيث وُجد أكثر من تحالف ضمّ أطرافاً متنوعة، مثل الدّول والكيانات من غير الدّول، والكيانات العابرة للحدود القومية والشبكات والجماعات، ولجأ كلّ من طرفي الحرب إلى تشكيل تحالفات داعمة له صريحة أم غير معلنة⁽¹⁸⁾، فمن جانب، هناك تحالف الناتو الداعم لأمريكا، ومن جانب آخر، هناك دول الجوار؛ وبخاصة باكستان وإيران لدعم أفغانستان.

كانت لتلك التحالفات تداعيات وتأثيرات واضحة في مجريات الحرب ونتائجها، لعل أبرزها إطالة أمدّ الحرب، وهذا أدّى إلى عدم قدرة أمريكا وحلفائها على حسمها بالصورة المطلوبة وفي التوقيت المناسب لهم، بينما دُعِمت موقف طالبان بسبب مساندة دول الجوار اللوجستي وتوفير الملاذ الآمن، الذي أخلّ بالقوّّة المفترضة لمصلحة أمريكا، وأعاد توازن القوّّة في ميادين القتال.

أتّبع في الحرب في أفغانستان تكتيكات تجمع بين استخدام القوات المسلّحة التقليدية والقوات غير النظامية، مثل مجموعة بلاك ووتر والقوّات الحكومية الأفغانية من جانب أمريكا، وشملت توظيف فاعلين من الدّول ومن غير الدّول من جانب طالبان والقاعدة اللذين سعيا لتحقيق هدف سياسي أو أيديولوجي مشترك، وفي الحرب في أفغانستان انتقلت التقنية العصرية إلى الأحرار والجبال، لترتبط حركة طالبان وتنظيم القاعدة (الفواعل المسلّحة من غير الدّول) بالعالم أجمع، وأصبح تعريف من هو محارب، ومن هو غير محارب صعباً وشائكاً، فخصوم أمريكا (طالبان والقاعدة) مقاتلون غير نظاميين، وهم قادرون على الانتشار والتواصل، ولا تحدّهم حدود ضمن حيزي المكان والزّمان أو الفضاء السايبري، وصاروا مقاتلي أحرار متمرسين، وخبراء رقميّة مقتدرين⁽¹⁹⁾.

كما أن الحروب غير المتماثلة تتّصف بخصوصية على مستوى موازين المواجهة العسكرية، فهي حرب بلا قيود استُخدمت فيها وسائل مختلفة لإجبار الخصم على الرضوخ، وتمثل أهميتها وخطورتها في تأسيس تحالفات شبكية تضم الدّول والفواعل

المسلّحة من غير الدّول، وتقوم على المصالح المشتركة بدلاً عن الأهداف الأيديولوجية أو الوطنية، ففي حالة الحرب الأمريكية في أفغانستان، حشدت الولايات المتحدة الأمريكية العديد من الدول حتى من خارج حلف الناتو في حربها في أفغانستان، أولاً لإكسابها المشروعية المفتقدة خارج قرارات المنظمة الأممية، وثانياً لتوزيع الأعباء القتالية وكلفة الحرب الماديّة بين الحلفاء والشركاء، ويمكن القول: إنّ هذه الحرب هي الأخطر؛ لأنها اتّسمت بخصائص وسمات معينة، أثّرت في موازين المواجهة العسكرية في جانبين مهمين في المفهوم العمليّاتي، وحاسمين في سير الحرب ونتائجها.⁽²⁰⁾

وأهم ما يميّز الحروب الهجينة كذلك هو تلاشي حدود أرض المعركة، حيث تغيّرت سمات أرض المعركة وحدودها المعروفة في السابق، وذلك بانتقال الحرب إلى داخل المدن لتكون ساحات للمعارك وإدارة الصراع المسلح بين الأطراف المتحاربة، ففي حالة الحرب الأمريكية في أفغانستان، أضحت مرافق الدّولة في أفغانستان ومنشأتها الجوية كافة أهدافاً للقوّة الأمريكية، مع التعرض الكبير لأهداف البنية الأساسية⁽²¹⁾، والتعامل معها بوصفها أهدافاً متزامنة يجري الاشتباك معها في وقت واحد، بدلاً من أهداف يجري التعامل معها بصورة متتالية بحسب الأولوية (الأهمية والخطورة)، وتحقّقت نسبة نجاح عالية بسبب القصف الدقيق واستخدام ذخائر ذكية، كما أنّ القوّة الأمريكية استخدمت قواعدها العسكرية البريّة من خارج أفغانستان فضلاً عن حاملات الطائرات البحرية لقصف أهداف داخل أفغانستان وخارجها.

كما أنّ الحروب الهجينة تختلف عن الحروب النظامية على مستوى مجالات الاستهداف، حيث يُستخلص نظريّاً من واقع الحرب الأمريكية في أفغانستان، وجود تعددية في أهم الوسائل ومهددات الأمن ذات الصبغة غير العسكرية التي اتبعتها طالبان، شملت خطوات ومحاولات خلق عدم الاستقرار السياسي، وتزكية النعرات القبلية وسط الشعب وإثارتها؛ لخلق نوع من الفوضى في البلاد، و(رعاية أعمال الإرهاب والتخريب)، وكل ما من شأنه خلق وإظهار الدّولة الفاشلة (الحكومة الأفغانية تحت رعاية أمريكا)، وأدّى تعدد المشاركين فيها -بحسب المصالح وأهداف خوض الحرب وإستراتيجياتها- إلى تعدد مجالات الاستهداف بالنسبة لكل طرف مشارك.⁽²²⁾

وأخيراً، تتميّن الحروب غير المتماثلة بانتشار المناطق الرمادية، وعلى هذا المستوى، اتسمت الحرب في أفغانستان في معظم مراحلها -باستثناء المرحلة الافتتاحية- بوجود غموض حول طبيعة الصراع، والأطراف المنخرطة فيه، فضلاً عن عدم اليقين حيال السياسة المناسبة التي يجب اتباعها في ظل ضبابية المواقف، التي لا تقتصر على عدم

معرفة مواقع القوات والأسلحة وأنواعها، بل تشمل الخطط والنوايا، والتفاعلات التنافسية بين الفواعل وداخلها من الدول ومن غير الدول، وهي مناطق رمادية تقع في منطقة وسط بين «ثنائية الحرب والسلام»⁽²³⁾، وذلك بسبب التداخل القبلي عبر الحدود، والتشابه الداخلي وصعوبة التفريق بين مقاتلي طالبان وأفراد الشعب الأفغاني، إذ ليس لطالبان زي عسكري مخالف لزي الشعب الأفغاني التقليدي، وهذا في مجمله صَبَّ في مصلحة حركة طالبان، ووفر لها مجالاً للحركة والمناورة، وبالنسبة للقوات الأمريكية وحلفائها خلق معضلة ضبابية في المواقف وصعوبة في اتخاذ القرار.

ثانياً: الحرب غير المتماثلة في أفغانستان: أمريكا في مواجهة حركة طالبان

(1) أفغانستان

على مدى ما يقارب نصف قرن من الزمان، كانت أفغانستان عالقَةً في دوامة الحروب،⁽²⁴⁾ تبدأ بصراع دمويٍّ داخلي على السلطة وحكومة فاشلة تستدعي قوة خارجية لغزو البلاد، ثم بصراع نضاليٍّ ضد الغزو يؤدي إلى إفشال حكومة أخرى، وهكذا أصبحت أفغانستان في دائرة الرفع والخفض في الصراع المسلح ضد قوى خارجية سوفياتية غازية، والتنافس الداخلي بين جزيئات التركيبة القومية للشعب الأفغاني، التي تتدافع وتتجاذب بحسب المصالح في بحثها عن القوة والسلطة والحكم، حتى سيطرة طالبان على العاصمة كابول في 27 سبتمبر 1996م، وإعلان قيام الإمارة الإسلامية في أفغانستان بزعامة المُلّا محمد عمر.⁽²⁵⁾

كانت الأهداف والمصالح المركزية العليا للإمارة الناشئة تتمثل في الحفاظ على كينونة الدولة وحققها في الوجود والبقاء حرة وذات سيادة ضمن الحضور العالمي الإيجابي وفق النظام السياسي الذي تختاره، وأن تنعم داخلياً بالسلام والأمن والاستقرار والعيش الكريم والرفاه الاجتماعي،⁽²⁶⁾ لكن البيئة الإستراتيجية بيئة متقلبة وتمر دائماً بالتوترات والأزمات، وتشهد نزاعاتٍ مسلحة وحروباً من حين لآخر لأسباب حقيقية أو مفتعلة، وبناءً على مخاوف ومحاذير ماثلة أو متوهمة ضمن نظام دولي ظَلَّت تسوده مفاهيم التوازن والفوضى،⁽²⁷⁾ حتى طالته تحديات القطبية الأحادية وغياب توازن القوى، وتفرد أمريكا بالزعامة العالمية مع نهايات القرن الماضي.

(2) الغزو الأمريكي لأفغانستان

بدون مُسوِّغٍ قانوني يستند إلى قرارٍ من الأمم المتحدة يجسّد الشرعية الدولية - قامت

الولايات المتحدة بغزو أفغانستان في 7 أكتوبر 2001م، في أعقاب أحداث 11 سبتمبر 2001م، وتفجير برج التجارة العالمية في مدينة نيويورك، وذلك بحجة تنحية طالبان عن السلطة وحرمان القاعدة من اتخاذ مقر عملياتي آمن في أفغانستان، وجاء الغزو الأمريكي لأفغانستان اعتداءً صارخاً، بل إعلاناً للعالم أجمع بمقولة الرئيس جورج بوش الابن ومن خلفه المحافظون الجدد: «من ليس معنا، فهو ضدنا»⁽²⁸⁾ ولتسويغ الحرب على أفغانستان، زعمت إدارة بوش أنّ أفغانستان هددت سيادة بلاد أخرى، وأنّ سيادتها انتقائية، وأنّ التدخل كان ضرورياً للدفاع عن حرية العالم ضد إرهاب تنظيم القاعدة تحت حماية طالبان.⁽²⁹⁾

جاءت الولايات المتحدة الأمريكية من بعيد من خارج المجال الإقليمي؛ لتعمل على إعادة صياغة الوضع الأمني والسياسي والعسكري والاقتصادي والمدني للدولة الأفغانية قسراً، واحتواء أيّ مشروع نهضوي مستقل يرفع من شأن تلك الدولة ودورها على الصعيد الأممي، والعمل على إنهاء نفوذ بعض الدول في تلك المنطقة، مثل إيران والهند وباكستان وروسيا والصين، أو إرغامها على قبول بعض الأدوار الثانوية في إطار أجندتها الإستراتيجية تجاه تلك المنطقة، معلنةً نهاية القطبية الثنائية العالمية، وتفردا بزعامة العالم كقطب أوحد، ادّعت -من دون إظهار حقيقة دوافعها من غزو أفغانستان- أنّ تدخلها إنّما جاء حماية للحرية والديمقراطية في العالم.

وجاء الغزو الأمريكي لأفغانستان مستفيداً من الثورة الأمريكية الأخيرة في الشؤون العسكرية، التي حدثت في تحوّل اقتضته المصلحة والضرورة، وجاءت لبشر بانقلاب حادّ في نظريات القتال وأساليب إدارة الحرب، اعتماداً على التطوّر الملحوظ في الصناعات العسكرية الذي نتج عن التقدم الهائل في العلوم والتكنولوجيا، الأمر الذي استتبع بالضرورة، تطوّر الحرب إلى حرب غير متكافئة يكون فيها لأحد طرفي النزاع (دولة كبرى) التفوق من حيث القدرات والقوة العسكرية والتكنولوجيا على الطرف الآخر (دولة صغيرة)، وإلى حرب أطراف غير متماثلة يكون فيها أحد طرفي النزاع دولة والطرف الآخر فاعل أو فواعل من غير الدول، مع وجود فوارق في الإمكانيات والقدرات والأساليب المستخدمة³⁰.

وعززت النجاحات والإنجازات التي جرى تحقيقها بواسطة القوات الأمريكية الجوية والصاروخية التي اضطلعت بالدور الأعظم في الحروب الأخيرة- التفاوض بدء عصر التقانة، ولكن يصعب عدّها أساساً لمستقبل الحرب، لأنها تَمّت في ظل حالة من عدم التكافؤ نادرة في التاريخ العسكري، ويصعب أخذها قاعدة للقياس والبناء، بل يصعب

عدّها جاهزة للاقتباس والتكرار في المستقبل، أو في مواجهة خصم آخر يكون ميزان القوة معه أكثر تكافؤاً، وهو ما لا ينطبق على الحرب الأمريكية في أفغانستان التي جرت بين جيش في عصر ثورة التقنية، وجماعة مسلحة ما تزال في عصر الثورة الزراعية.

3) الإستراتيجية العسكرية الأمريكية وطريقة إدارة الحرب

اشتملت الحرب على أفغانستان على عمليتين عسكريتين جاءتا بسقوف زمنية مفتوحة وإستراتيجيات متغيرة خارج الإرادة الأمريكية على النحو الآتي: (31)

العملية الأولى «عملية الحرية الدائمة»:

التي بدأت يوم 7 أكتوبر 2001م، وشتتها الولايات المتحدة بمشاركة دول أخرى، وكان الهدف منها السيطرة على الدولة الأفغانية وتنحية طالبان، والقضاء على تنظيم القاعدة، وكان النطاق الجغرافي لهذه العملية هو الجزء الشرقي والجزء الجنوبي من أفغانستان والحدود الأفغانية مع باكستان، وبلغ عدد الجنود من القوات الأمريكية ما يقارب 28800 جندي، وفي ديسمبر 2001م، وبعد تحقيق الأهداف الأولية، انضم تحالف دولي إلى الولايات المتحدة في حربها، وسرعان ما تمت الإطاحة بطالبان من السلطة، وفي عام 2003م انضمت قوات المساعدة الدولية لإرساء الأمن في أفغانستان «إيساف» (ISAF) إلى حلف الناتو، وهي قوات أنشئت بالقرار رقم 1386 من مجلس الأمن³²، وأنهى التحالف الدولي مهمته القتالية في عام 2014م.

العملية الثانية «عملية حارس الحرية»:

التي بدأت في الأول من يناير 2015م، وشتتها قوات «إيساف»، المتحالفة من أكثر من 42 دولة (هي جميع دول حلف الناتو بالإضافة إلى أستراليا ونيوزيلندا وسنغافورة وأذربيجان)، وهي مهمة أمنية استهدفت التنظيمات الإرهابية، مثل تنظيم القاعدة، كما استهدفت بناء جيش أفغاني قادر على محاربة طالبان، ونطاقها الجغرافي العاصمة الأفغانية كابول والمناطق المحيطة بها، وكانت لقوات «إيساف» قرابة 64500 جندي مع إمدادات مستمرة من الناتو مركز قيادة هذه العملية، وبلغ عدد الجنود من الولايات المتحدة في قوات «إيساف» قرابة 29950 جندياً⁽³³⁾.

وبحلول ديسمبر 2001م بانضمام التحالف الدولي إلى صف الولايات المتحدة، تحققت الأهداف الأولية والإطاحة بطالبان من السلطة، لكن حركة طالبان تحولت إلى قوة متمردة تتوغل وتشن هجمات مميتة ضد القوات التي تقودها الولايات المتحدة، وضد الجيش



الأفغاني والمسؤولين بالحكومة الأفغانية، حيث أعاد قائدها الملاً عمر تنظيمها، وشنت عام 2003م، موجة تمرد على الحكومة الأفغانية وقوات المساعدة الدولية، مستفيدة من أخطاء أمريكا وتناقضات الحلفاء، وموظفة مصادر قوتها المنبثقة من جغرافيتها السياسية، وخبرتها المكتسبة عبر تاريخها النضالي، المركزة على عقيدتها القتالية الجهادية.

وفي تحليل مسار الحرب ونتائجها، جادل القادة العسكريون والمحللون الإستراتيجيون في أمريكا مثل روب جونسون: «أنّ أمريكا ارتكبت أخطاءً إستراتيجية في تحديد الغاية والأسلوب، وأنّ الحرب لم تكن لتُربح بالطريقة التي جرى خوضها بها»⁽³⁴⁾ وهذا يبخس طالبان حقها، ويلغي دورها في هزيمة أمريكا، وجاءت أبرز أسباب الإخفاق حول: لماذا جرى خوض الحرب؟ وكيف؟ بتسوية إجابة هذا السؤال: لماذا ضلّ الغرب طريقه في أفغانستان؟ إذ يرى طود قرين تري ((Tod Greentree “أنّ جهود الولايات المتحدة الأمريكية أخفقت في مكافحة التمرد في أفغانستان بسبب عدم قدرتها على تحديد أهداف قابلة للتحقيق؛ فلم تكن الأهداف العسكرية محددة وواضحة، بينما كانت الأهداف السياسية فضفاضة وغير واقعية، ولم يكن الفشل الإستراتيجي في الحرب الأفغانية هو حالة انتصار الضعيف، ولكن كيف خسر القوي؟ وعلى الرغم من الضرورة الملحة لمكافحة الإرهاب، فإنّ شن الحرب على حركة طالبان كان إخفاقاً في التقدير، لا في المصلحة الوطنية»⁽³⁵⁾

بسبب مجمل التحوّلات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي نجمت عن طول أمد الحرب في أفغانستان، أضحت جماعة طالبان قادرة على توليد قوّة مدمرة لشن هجومها المضاد، ولإعادة هيبتها واعتباريتها كرمز الدولة الأفغانية، وهذا ما ظهر جلياً في سيطرتها على معظم الأقاليم بدون قتال، وبسبب العولمة وتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، صار العديد من أفراد الشعب الأفغاني أكثر ارتباطاً بالمشكلات الحقيقية لمجتمعاتهم بما تجري إثارته على شبكة الإنترنت ومنصات التواصل الاجتماعي، مما أدّى إلى اتجاههم لنقل ولائهم⁽³⁶⁾ من الحكومة القائمة المفروضة من الخارج، إلى الولاء لجماعة طالبان ذات العقيدة والقضايا المشتركة، وأدّى تطوّر أدوات الاتصالات، إلى بروز جماعة طالبان وازدياد تجاوب أفراد الشعب الأفغاني معها بما يربطهم معاً دفاعهم عن أفغانستان وعقيدتها الإسلامية.

أخفقت جميع محاولات الهيمنة السياسية الأمريكية لفرض الوصاية السيادية، وخلق الاستقرار السياسي، وتجارب صيغ اقتصادية للتنمية؛ وذلك بسبب الفساد وسوء الإدارة الحكومية، وبسبب النهج الذي اتبعته طالبان ضد أنظمة الحكم المتعاقبة، بإثارة النزعات القبلية وسط الشعب لخلق نوع من الفوضى في البلاد، واستغلال خلل التركيبة السكانية، والحرب الإعلامية، و(محاولات القيام بأعمال الإرهاب والتخريب ورعايتها)، وخلق الضغوط على الحكومات الأفغانية المتعاقبة، وكل ما من شأنه خلق وإظهار الدولة الفاشلة⁽³⁷⁾، وفي ذلك أوضحت أحقيتها بحكم أفغانستان، بدل حكومة مجلوبة من الخارج تفرضها أمريكا.

ثالثاً: الانسحاب الأمريكي وسيطرة طالبان على الحكم

1) الانسحاب الأمريكي: حدود القوة المادية والتفوق التكنولوجي العسكري

راجت بعض التفسيرات والتعليقات الأمريكية للإخفاق في أفغانستان، مثل ما توصل إليه كريستوفر كوليندا (Christopher D. Kolenda) "أنّ إصرار الإدارة الأمريكية على النصر بالهزيمة الكاملة للعدو (Zero-Sum Victory) هو السبب في الإخفاق في تحقيق نتائج حاسمة ودائمة"، ناسباً ذلك إلى ثلاث معضلات مصاحبة أو ناتجة عن ذلك المفهوم، هي: 1) «أنّ الحكومة الأمريكية لا تملك طريقة لقياس نجاح النتائج سوى النصر العسكري الحاسم»، 2) «وأنّها بطيئة للغاية في اكتشاف الإستراتيجيات الفاشلة ومحاولة تعديلها أو التخلي عنها»، 3) «وأنّها عندما تقرر الانسحاب، فإنّ تفاوض عدم التماثل والانفصال في الإستراتيجية، يقوّض احتمالات نجاح الانتقال أو التوصل إلى نتيجة تفاوضية»⁽³⁸⁾

ومن الصعب تحديد سبب واحد واضح لإخفاق الولايات المتحدة في أفغانستان على مر السنوات، ودفع في النهاية إلى انسحاب القوات الأمريكية من البلاد في عام 2021م بعد تصاعد الأحداث، ولكن يمكن رصد عدد من العوامل التي أدت إلى هذا الإخفاق، هناك بعض العوامل الرئيسة في الجانب الأفغاني التي أسهمت في إخفاق الجهود الأمريكية في تحقيق الاستقرار والأمان في أفغانستان، أهمها: (39)

◆ تعقيد الوضع المحلي: كانت أفغانستان تعاني تاريخاً طويلاً من النزاعات والصراعات الداخلية والانقسامات القومية والعشائرية، وهذا الوضع المعقد جعل من الصعب تحقيق الاستقرار والوحدة الوطنية.

◆ الطبيعة العقائدية للصراع: كانت طبيعة الصراع في أفغانستان دينية وقومية، وهذا صعب القبول بوجود قوّات أجنبية وزاد من تعقيدات الوضع، وقدمت الولايات المتحدة الدعم للحكومة الأفغانية في محاربة جماعات عقائدية مثل طالبان وتنظيم القاعدة، وهي جماعات كانت تمتلك قوة إقناع كبيرة، واستطاعت استغلال الشعور بالعدالة والمقاومة ضد الاحتلال الأجنبي، وتلك المجموعات المتمردة خاصة طالبان كانت تتمتع بدعم كبير من بعض العناصر المحلية والإقليمية، وكانت هذه المجموعات تستخدم تكتيكات غير تقليدية وتمتلك مهارات قتالية جيدة، وهذا جعل من الصعب هزيمتها بسرعة.

◆ تأثير الجيران والتدخلات الإقليمية: دخلت دول مثل باكستان وإيران وروسيا وغيرها في الصراع الأفغاني على مرّ السنوات، وهذا أدّى إلى تعقيد الوضع وزيادة الصعوبات التي واجهت الولايات المتحدة، وأدّت دوراً ما في الصراع، بتقديم الدعم المادي والمعنوي والإعلامي وحتى الملاذ الآمن.

وعلى الجانب الأمريكي، أسهمت العديد من العوامل في إخفاق الولايات المتحدة في تحقيق أهدافها في أفغانستان أهمها: (40)

◆ الزمن والتكلفة: إذ استمرت حرب أفغانستان نحو عقدين من الزمن، وهذا جعلها إحدى الحروب الأطول في تاريخ الولايات المتحدة، استدعت جهوداً كبيرة، وتكاليف مالية هائلة، وتغييرات في السياسة الأمريكية تجاه أفغانستان، وإستراتيجيات القتال على مر السنين، وذلك أدّى إلى تقليل التزام الولايات المتحدة بالصراع، وزيادة عدم اليقين بشأن الدعم المستقبلي للحكومة الأفغانية.

◆ الإخفاق في بناء مؤسسات أفغانية: فلم تنجح الولايات المتحدة وحلفاؤها في بناء مؤسسات حكومية قوية وفعّالة في أفغانستان، وهذا أدّى إلى خلق فراغ سياسي وعسكري.

◆ الإخفاق في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية: حيث لم تحقق الولايات المتحدة تقدماً كبيراً في تحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للشعب الأفغاني، وهذا زاد من استياء السكان المحليين ومن دعمهم للقاعدة وطالبان.

◆ الفساد وضعف إدارة الحكومة: حيث كانت الحكومة الأفغانية تعاني مشكلات كبيرة فيما يتعلق بالفساد وضعف الإدارة، وهذا أثر سلباً في ثقة الشعب الأفغاني بالحكومة، وزاد من تأييد طالبان والجماعات المتمردة الأخرى.

◆ وأخيراً المجهود المجزأ للتحالف الغربي: لم تدخل قوات الحلفاء الحرب بفكر واحد وإستراتيجية موحدة، وكانت مشاركتها واسهاماتها غير متساوية وغير منسجمة بحسب مناطق مسؤولياتها ومهامها القتالية وأدوارها الأخرى، فجاء المجهود ضعيفاً ومجزأ، ولا يخدم المجهود الحربي، وهذا كله أضعف النتائج والمخرجات.

2) الانتصار العسكري لحركة طالبان: القوة غير المادية في الحرب غير المتماثلة

يقول حقاني: «ليس لحركة طالبان لائحة داخلية تنظم شؤونها، ولا يوجد لديها نظام عضويتها، ومع ذلك فهي حركة متماسكة من الداخل»⁽⁴¹⁾ وربما يرجع ذلك إلى الخلفية الفكرية الموحدة لعناصرها، إذ إن معظمهم تخرج في مدارس دينية واحدة تنتمي إلى المدارس «الديوبندية» التي تعارض التيارات الفكرية التجديدية، ويقول: «إنهم مخلصون لفكرتهم ومقتنعون بها ويعتبرون العمل من أجلها جهاداً في سبيل الله، ويتمتع أمير الحركة بنوع من السيطرة الروحية على الأفراد الذين يعتبرون مخالفته معصية شرعية»⁽⁴²⁾، وساعد في ذلك أيضاً قيام الحركة بعقوبات فورية للمخالفين، وتغيير مستمر في المناصب حتى لا تتشكل جيوب داخلية في الحركة أو مراكز قوى، كما أنهم لا يقبلون أفراد الأحزاب الأفغانية الأخرى، وبالأخص في المناصب الكبيرة ومراكز اتخاذ القرار.

في توضيح فكر طالبان، يقول ضعيف وهو أحد رموز طالبان: «تؤمن حركة طالبان بالشورى مُعلمة فقط وليست مُلزمة، وترفض استعمال لفظ الديمقراطية؛ لأنها تمنح حق التشريع للشعب وليس لله»، ويوضح منهج إدارة الدولة بالقول: «لا ترى الحركة أهمية لوضع دستور أو لائحة لتنظيم شؤون الدولة، لأن القرآن والسنة هما دستور الدولة الإسلامية»، ويضيف: «ولا تقبل الأحزاب الموجودة كما لا تسمح بتشكيل أحزاب سياسية جديدة؛ لأنها تقوم على أسس عرقية وقبلية ولغوية، وهي نوع من العصبية الجاهلية»، ويختم بالقول: «تعتبر الحركة أمير المؤمنين بمثابة الخليفة ويتخبه أهل الحل

والعقد، ولا توجد مدة محددة لتولي منصب أمير المؤمنين، ويتمّ تغييره فقط في حالة العجز أو الموت، أو عزله إذا أتى بما يخالف الدين»⁽⁴³⁾.

يقول عصام دراز: (44) «تستند عملية إعداد المقاتل في الفكر الأفغاني إلى البناء العقائدي والمعنوي للمقاتل المسلم، من خلال كل ما يزيد ويقوّي الناحية الإيمانية لديه، خاصة في موضوع العقيدة القتالية، بناءً على أنّ القتال في الإسلام هو جهادٌ في سبيل الله، ودفاعٌ عن الدعوة، ودفعٌ للظلم والعدوان»، وفي تفسيره لروحية الجهاد، يقول: «عندما يتمتع المقاتل المسلم ببناء عقائدي سليم، فإنّ ذلك يعني امتلاكه لتلك الرؤية الإيمانية، بأن قتاله هو جهادٌ في سبيل الله يكتسب مشروعيته وقانونيته بل وأخلاقياته من تكليف رباني مقدس، فينعكس تأثير تلك القناعة والرؤية الإيمانية في أداء المقاتل المسلم المتفرد بذلاً وعطاءً، والسامي غايةً وهدفًا، بأنه باع رابحاً نفسه لله سبحانه وتعالى، وأنّ الله اشترى تلك النفس الطاهرة، وأنه موعود بإحدى الحسينين، إمّا النصر أو الشهادة، التي جائزتها الجنة بنص الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾» (التوبة: الآية 111).

وبتلك القناعة، وفي مقابلة مع تيسير علوني مراسل قناة الجزيرة⁴⁵، لخصّ المُلّا وكيل أحمد متوكل وزير الخارجية موقف طالبان من الغزو الأمريكي القادم لا محالة مستشهداً بالآية الكريمة قائلاً: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران: الآية ١٧٣)، وقال: «هو موقف لم تسع له طالبان، ولم تكن جاهزة له، ولكنها وطنت نفسها لخوضه لقناعة إيمانية بالنصر أو الشهادة؛ لأنها ترى العقيدة القتالية الإسلامية رؤية ذات هدف سماوي تُحوّل قضية الحرب إلى هدف سامي هو الجهاد في سبيل الله، بنص الآية: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ (الحج: الآية 78)، بيقين أنّ نصر الله قادم، بنص الآية: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾» (الروم: الآية 47).

وعلى الرغم من أنّ الهجوم العسكري الأول أدّى إلى إبعاد طالبان عن السلطة بعد انهزامها في بداية الغزو، إلّا أنّ قواتها استعادت بعد ذلك قوتها، وأعاد قائدها المُلّا عمر تنظيمها، وشنّ بدءاً من عام 2003م، موجة تمرد على الحكومة الأفغانية وقوات المساعدة الدولية، يقول مطيع الله تائب: «إنّ طالبان صعدت عملياتها وأساليبها القتالية مستغلة

خبرة الحرب ضد السوفييت، ومستحدثة تكتيكات جديدة، وإن انتشارها الجغرافي جاء متطابقاً مع تواجد العرق البشتوني في الجنوب والشرق حيث تبسط سيطرتها بحضور مستمر، وفي بقية المناطق بحضور خاطف مؤقت، مستخدمة أساليب قتال جديدة هي العمليات الفدائية، وزرع الألغام والمفخخات، والكمائن والهجمات المباغتة، واختطاف الأجانب ومهاجمة المراكز الحكومية⁽⁴⁶⁾، ويقول أيضاً: «أصبحت طالبان من يحدد إيقاع العمليات في انتشار مضطرد رغمًا عن وجود القوات الدولية وعملياتها في أفغانستان».⁽⁴⁷⁾

هذا المزج الرائع بين القوة المعنوية الإيمانية والقوة المادية القتالية، هي التركيبة السحرية التي أبقت جذوة النضال مشتعلة طوال تاريخ أفغانستان الحديث ضد الغزاة كافة، وعبر خبرتهم القتالية الطويلة عبر التاريخ النضالي، اكتسبوا دربة ومهارة في تطويع تضاريس الجغرافيا السياسية لمصلحة قضيتهم، وهذا مكّن طالبان من الندبة والصمود ضد القوات الأمريكية وحلفائها طوال عقدين من الزمان في أطول حرب خاضتها، وقاد كل ذلك إلى عدم تحقيق أمريكا من حربها في أفغانستان النجاح في تدمير أو تقييد تحركات تنظيم القاعدة، كما لم يتحقق الهدف الأهم المتوقع بهزيمة طالبان والقضاء عليها، والمطلوب بسرعة وبصورة نهائية.

3) حرب أفغانستان وتعقيدات الحروب غير المتماثلة

شكّلت حرب أفغانستان بشكل عام، درساً مهماً حول تعقيدات الحروب الحديثة وتغيّرات طبيعة النزاعات الدولية، وكيف يجب على القوى العسكرية التكيف مع هذه التحديات المتجددة، بصرف النظر عن مدى قوتها وتطور آلتها العسكرية؛ لأنّ الجمود ضد حركة التاريخ، ربما يجعل تلك القوى غير ذات فاعلية. وقدمت حرب أفغانستان العديد من الجوانب التي تشير إلى تغيّر في طبيعة الحرب المعاصرة.

أهم هذه التغيّرات هي أن الحروب غير المتماثلة حروب طويلة الأمد: فحرب أفغانستان لم تحقق النجاح المنشود وبالسّعة المطلوبة، بل استمرت لفترة طويلة جداً، وهذا يظهر التّحدّي الذي تشكّله الحروب طويلة الأمد على القوى العسكرية التقليدية، والتكتيكات المستخدمة فيها التي تسعى لإنهاء العمليات القتالية في أقصر وقت، وحسم الحرب سريعاً.

كما أنها حروب غير تقليدية: فحرب أفغانستان كانت حرباً غير تقليدية، حيث كان الخصم الأفغاني غالباً مجموعات متشددة وتنظيمات مسلّحة بدلاً من دولة معينة، وهذا



يعني أنها كانت حرباً ضد جماعات مسلحة متفرقة تعمل بشكل غير تقليدي، وتعتمد على تكتيكات الحرب غير التقليدية، مثل الهجمات الانتحارية والإغارة والكمائن. وتُسمّى هذه الحروب بطابع هجين: احتوت حرب أفغانستان على عناصر من الحرب الهجينة التي تعتمد على القوات الخاصة والعمليات الخفية بشكل أكبر، وتمّ استخدام تكتيكات مثل الاغتيالات المستهدفة، وعمليات الاستخبارات بشكل كبير في هذه الحرب. كما أنها تتميز بالتغيّر في الإستراتيجيات: أجبرت حرب أفغانستان القوات المسلحة على إعادة تقييم إستراتيجياتها، وتطوير تكتيكات جديدة لمواجهة التحديات الفريدة المقدمة من قبل الجماعات المتشددة والتنظيمات المسلحة، خصوصاً عندما استطالت الحرب، وباتت تعمل بردود الأفعال، ولا تأخذ بزمام المبادرة، واعتمدت التكنولوجيا بشكل كبير، حيث تمّ استخدام أجهزة الاستشعار البعيدة المدى، وأنظمة المراقبة الجوية والتصوير الفضائي لتعقب ومراقبة الأهداف والتحكم في العمليات العسكرية.

ومثلت الحرب الأمريكية في أفغانستان تطوّرًا في نسق القوة: فالناظر في الشأن الأفغاني لا بدّ أن يميز أنّ للأزمة الأفغانية بعدين متداخلين: بعداً متعلق بتعقيدات المشهد الداخلي المتمثلة في المكوّن العرقي القبلي وتعدّداته، والمكوّن الديني المذهبي وتبايناته، واختلاف الرؤى حول الملف السياسي والإدارة والحكم، وملف الاقتصاد والثروة

وتقاسمهما، وبعدها خارجياً متداخلاً في الشأن الأفغاني بنفس المكونات العرقية والدينية والملفات السياسية والاقتصادية بحكم تداخل الجغرافيا والتاريخ. بتعبير آخر، داخلياً هناك نزاع سيادي قبلي وخلاف رؤية إسلامية في الحكم، وخارجياً تضارب مصالح سياسية بدعم قبلي وحزبي، ومصالح أمنية ضد جماعات متطرفة وإرهابية، ومصالح اقتصادية حول موارد الطاقة والمخدرات، وهي أزمة لا يمكن تجزئتها، وتستدعي حلاً شاملاً لا حلاً عسكرياً فقط.

جاءت مدخلات الحرب الأمريكية في أفغانستان من الجانب الأفغاني مخلةً بنسق القوة المفترضة لمصلحة أمريكا، ويمكن تبين هذه المدخلات على النحو الآتي:

- السمة الأبرز في الشأن السياسي الأفغاني، هي تدخل القوى الخارجية في كيفية إدارة شؤون البلاد، وهو ما خلق تضارباً في المصالح بالنسبة للقوى الخارجية، وجعل أفغانستان الخاسر الأكبر في لعبة الأمم تلك، فكل دولة في الجوار الإقليمي، لجأت لاستقطاب أحد الأطراف الداخلية ليكون البيدق الذي تُناور به في رقعة الشطرنج الأفغانية بما يحقق مصالحها، وبالنسبة للقوى الكبرى فقد وضح لها جلياً إخفاق الحلول الجاهزة المستوردة من الخارج بحسب المفهوم الغربي، ومحاولة تنزيلها قسراً على الواقع الوطني الأفغاني المعقد، بتركيته ذات التعددية القبلية، و(عقيدته الإسلامية السلفية).

- يبقى أحد ثوابت الموقف، أنّ الأطراف الخارجية تمثل أحد أهم أسباب الصراع الأفغاني واستمراره عبر العقود، وما تزال أفغانستان مرشحة لأن تكون ساحة لمواجهة إقليمية ودولية قادمة في ضوء عدم الاستقرار الذي تشهده منطقة الجوار الأفغاني برمتها، بسبب تعارض المصالح والأهداف لمختلف الفواعل في منطقة وسط آسيا، وهو الأمر الذي ربما يوازن القوة أو يخل بها في معظم الأوقات وبحسب الظروف والمستجدات.

- لعل أبرز ناتج قومي من التدخل العسكري الأجنبي -سواء الغزو السوفيتي الإلحادي الشيوعي، أم الغزو الأمريكي الكاثوليكي الإمبريالي- هو تماسك الجبهة الداخلية للشعب الأفغاني المسلم بقبائله وطوائفه كافة، وتوحدته في الجهاد ضد العدو الغازي لأرض الإسلام، وصلابة اللحمة الوطنية واشتعال جذوة الشعور الوطني، وإرادة الصمود والقتال دفاعاً عن العقيدة والوطن، برغم آلة الحرب المتفوقة للقوات الأجنبية الغازية، وهذا ما يخلق دوماً رافعة معنوية للقوة الأفغانية (طالبان).

وتعدّ ثورة المعلومات في الشؤون العسكرية التي انتهجتها الولايات المتحدة الأمريكية تعبيراً عن تفوقها العسكري ميدانياً من خلال طريقتها في خوض الحرب

(American Way of War)، وذلك عبر تغيير خاصية القتال والاعتماد على التكنولوجيا العسكرية والمفاهيم الإستراتيجية، الأمر الذي أدّى إلى خلق فجوة في موازين القوى في مختلف مراحل الحرب، لكن الاعتماد على الحرب غير المتكافئة وعلى أسلوب حرب العصابات الذي لا يعتمد على قواعد اللعبة في الحرب، أسهم في إضعاف محتوى ثورة المعلومات في الشؤون العسكرية التي اعتمد عليها الجيش الأمريكي، كما أدّى إلى استنزاف قدراته وموارده القائمة أساساً على التفوق التكنولوجي في مجال الأمن والدفاع.

وبين أوهام القوة والتفوق العسكري الأمريكي والخطأ في تقدير قوة الجهاد الأفغاني وروح الصمود والقتال لديه - عانت أمريكا والكتلة الغربية الكلفة المادية للحرب في أفغانستان والخسائر في الأرواح، وطوال عمر الحرب، ظلت أمريكا تبحث عن مخرج يحفظ ماء الوجه في حرب غير محسومة، ومستعصية على الحل العسكري لا أحد فيها منتصر والكل خاسر، وباتّ الوضع بالغ التعقيد، فعدم الخروج أطال أمد الحرب وزاد حجم الخسائر ومعاناة الجميع، بينما الخروج الكامل غير المرتب فجرّ الوضع الأمني في ظل قيادات موضوعة من الخارج لا تجد القبول من الداخل، وأظهرت الحرب في أفغانستان أوجهاً جديدة للحرب ومجالات للقوة.

خاتمة

توصلت الدراسة إلى استنتاجات حول مسار الحرب ومآلها بالنسبة لطرفيها على النحو الآتي:

(1) قدرة طالبان على الصمود والنصر: وقد نتج ذلك عن العوامل الآتية: خوض الحرب بروحية الجهاد وطلب الشهادة، واستنهاض الشعور الوطني الأفغاني الرافض للوجود الأجنبي، وتوظيف مصالح القوى الإقليمية المعارضة لأمريكا في توفير الملاذات الآمنة والدعم اللوجستي والمعنوي، والبناء على ضعف الحكومة الأفغانية التي فرضتها أمريكا وفسادها، والاعتماد على الخبرة القتالية المكتسبة عبر النضال الطويل ضد الاحتلال السوفيتي السابق، واتباع إستراتيجية الاستنزاف باستطالة أمد الحرب، وأخيراً استغلال خصائص الحرب غير التماثلية والحرب الهجينة.

(2) عدم قدرة أمريكا على التفوق الحاسم للحرب: وقد نتج عنه العوامل الآتية: التبديل في طبيعة الحرب ونسق القوة في الحرب غير التماثلية، وخوض حرب طويلة الأمد بسقف زمني مفتوح تغيرت فيها الأهداف والإستراتيجيات المتبعة، والتوظيف غير السليم للقوة الأمريكية بناء على معطيات القوة المادية، والقراءة الخاطئة للواقع الأفغاني والبعد

القومي والديني لقوة طالبان المعنوية الروحية، وتعارض مصالح القوى الإقليمية وخطأ وضعها خارج المعادلة، وخطأ الاعتماد على حرب الوكالة ببعديها الخارجي (الناتو) والداخلي (الحكومة الأفغانية).

تلخص مقولتان شهيرتان الحكمة المستخلصة من الحرب الأمريكية في أفغانستان بأخطائها وإخفاها:

أولاً: مقولة جاكوب بوركهاردت (Jacob Burckhardt): إن القيمة الحقيقية للتاريخ -عسكرياً أو مدنياً- لا تجعل الرجال أذكاء في المرة القادمة، بل تجعلهم حكما إلى الأبد». ومقولة ألبرت أينشتاين (Albert Einstein): "لا يمكننا حل مشكلتنا بالتفكير نفسه الذي استخدمناه عندما أنشأناها". حيث لم تُع أمريكا دروس التاريخ في تجنب تكرار أخطاء إستراتيجية فادحة، مثل درس فيتنام الذي حشرت فيه قواتها المسلحة المتفوقة عدداً وعتاداً في حيز قتالي بيئي ضيق ليست معدة له بينما يُتقن خصمها توظيف خصائصه الجغرافية السياسية لمصلحته في الصمود والاستنزاف وأخرجها خاسرة، والدرس الأفغاني الذي وفّره لها قوى عظمى سبقته في محاولة غزو الشعب الأفغاني وإخضاعه وخرجت منهقرة أيضاً، فكررت أخطاء الماضي نفسها بالفكر السابق نفسه، ولم تُحز الحكمة في تجنب الحرب الخاسرة.

وقد أثبتت الدراسة صحة الفرضيات الثلاث: وجود علاقة ارتباط سلبية بين التبدلات في طبيعة الحرب غير المتماثلة والتحوّلات في مفهوم تعادل القوة العسكري، وبين إخفاق المشروع الأمريكي في السيطرة على أفغانستان، وأنّ التوظيف الخاطئ للقوة العسكرية الأمريكية في حرب أطراف غير متماثلة تتميز بعدم احتكار السلطة للقوة - جعل الفواعل المسلحة غير الدولة والمليشيات ندّاً للسلطة والجيش النظامي، وأنّ القراءة الأمريكية للتركيبة القبلية للأفغان من دون اعتداد بخصوصية الأوضاع في أفغانستان الإسلامية التي طالما خاضت حروبها جهاداً ضد الغزاة - جعلت أمريكا قاصرة عن إدراك مكونات قوة طالبان الحقيقية.

وفي المجال النظري بينت الدراسة -في ظل ظاهرة تطوّر الأحداث وصناعتها لأهداف إستراتيجية آنية مرتجلة، وظهور عوامل خارج الحسابات والتحكم- أنّ الفكر الإستراتيجي، أصبح يميل إلى توجيه الأحداث نحو أهداف إستراتيجية تخدم سياسات الهيمنة والسيطرة ووضع سيناريوهات غير مؤكدة النتائج وفق معطيات وقناعات سابقة، على عكس فترة ما قبل القطبية الأحادية المضطربة، حيث كانت الدراسات في مجال العلاقات الدولية والمجالات الأمنية والعسكرية الإستراتيجية تعمل وفق جدول زمني،

وإنتاج فكري ونظري، ووضع سياسي دولي يتميز بحالة من الاستقرار النسبي في المفاهيم وأنساق الإنتاج الفكري، وهو ما كان يساعد على طول فترة سريان النظرية في العلاقات الدولية والفكر السياسي، ويعطيها فرصة لتأكيد نتائجها واستنتاجاتها.

وأخيرًا، يمكن القول: إنَّ النقاش الإستراتيجي حول أفغانستان يكتسب زخمًا في وقت بات فيه فن قرع طبول الحرب وإشعالها صنعةً لكثير من الجهات، فمن لا يتمكن من تبني قرارات حكيمة لتفادي تلك الحروب، سينتهي به المطاف خاسرًا ومنهزمًا، وإنَّ المصير الإستراتيجي لأي دولة صغرى، يتأرجح بين بصيص أمل وهاجس رعب، فالكثير من الفرص، التي إذا جرى التعامل معها بشكل حصيف، سيحدّد مسار مستقبلها وفق آمال شعوبها، وقد يطول انتظار العالم لمعرفة نتائج حرب مستقبلية يكون سيدها الوقت، وتحديد مَنْ الفائز وَمَنْ الخاسر؛ بين خصم قوي مادّيًا (تكنولوجيا قتال) يسبق الوقت، وآخر قوي معنويًا (إرادة قتال) يديم الوقت.

الهوامش والمراجع

1. John Lewis Gaddis. The Cold War, the Long Peace, and the Future, Diplomatic History, 16/2, (1992): p 235.
2. T. X. Hammes, Technologies Converge and Power Diffuses, The Evolution of Small, Smart, and Cheap Weapons, (Washington: Cato institute, January 2016, p. 22.
3. صفية إدري، آلية صيانة الأمن الإنساني بين مسؤولية الدولة وتمكين الفواعل غير الدول، رسالة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2018، ص16.
4. عبد الوهاب القصاب، الحرب غير المتماثلة: نمط متجدد من أنماط الحروب، نظرة في إدراك الولايات المتحدة للحرب غير المتماثلة، بغداد، (2002)، ص2.
5. Oxford Dictionary <https://www.oxfordlearnersdictionaries.com/definition/english/asymmetric>
6. يعود مصطلح "نظام" (System) في الأصل إلى عالمي الاجتماع الفرنسي إميل دوركهايم (Émile Durkheim) والأمريكي تالكوت بارسونز (Talcott Parsons) في السياق الاجتماعي، وتأثر التفكير بمنطق النظام أيضًا بكتابات عالم الأحياء لودفيج فون بيرتالانفي (Ludwig von Bertalanffy) والتعديلات اللاحقة التي أجراها عالم النفس الاجتماعي يوري برونفنبيرنر (Uri Bronfenbrenner)، الذي فحص النظم البيولوجية البشرية داخل السياق البيئي.
7. Bruce D. Friedmann, and Karen Allen, Systems Theory, in Essentials of Clinical Social Work, Edited by Jerrold R. Brandell, SAGE Publications, 2017 p. 3.

8. الأدميرال ويليام أوينز، نائب رئيس هيئة الأركان المشتركة الأسبق، حدد مجالات ثلاثة متداخلة لأصول القوة: 1. العملية الاستخبارية (الجمع والتحليل والاستنتاج) 2. القيادة والسيطرة والاتصالات 3. القوة الدقيقة (الأسلحة الذكية).
9. إسراء أحمد إسماعيل، تأثيرات التكنولوجيا على تحولات القوة العسكرية، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 2017. ص12.
10. Rob Johnson, Systemic Failure, University of Oxford, Changing Character of War Centre, <https://www.ccw.ox.ac.uk/books/articles>.
11. جان بيرييه، الذكاء والقيم المعنوية في الحرب، تعريب أكرم ديري والهيثم الأيوبي، (ط1)، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981، ص35.
12. إدوارد ميد إيرل، صانعو الإستراتيجية الحديثة، ترجمة العميد الركن صبحي الجابي، دمشق، مركز الدراسات والأبحاث العسكرية، 1981، ص124.
13. أكرم ديري، آراء في الحرب والإستراتيجية وطريقة القيادة، (ط 3)، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1984، ص26.
14. المرجع نفسه، ص28.
15. جون فوتاو، مدخل لدراسة التاريخ العسكري، تعريب محمد سيد خطاب، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1992، ص46.
16. محاضرة البروفيسور ماكس مانوارينج في المؤتمر السنوي لأمّن نصف الأرض الغربي، معهد دراسات الأمن القومي في "إسرائيل" بتاريخ 2012/8/13م.
17. ترى إليزابيث براو، من معهد "أمريكان إنتربرايز"، أي أعمال تقع تحت الخط الواضح للعمل العسكري في نطاق "عدوان المنطقة الرمادية" التي تعرفها على أنها "استخدام الأعمال العدائية خارج نطاق النزاع المسلح لإضعاف دولة أو كيان أو تحالف منافس"، وإذا مزجت هذه الإجراءات مع أعمال قتالية تصبح هناك "حرب هجينة".
18. شادي عبد الوهاب منصور، حروب الجيل الخامس أساليب التفجير من الداخل على الساحة الدولية، القاهرة، دار العربي للنشر والتوزيع، 2019م، ص134.
19. بيتر فابر، ثورتنا الأخيرة في الشؤون العسكرية، ورقة مقدمة في كلية الحرب الأمريكية، مايو 1996.
20. منصور، ص 134.
21. فوزي حسن الزبيدي، منهجية تقييم مخاطر الأمن القومي، مجلة رؤية إستراتيجية، العدد 11، 2015.
22. الزبيدي، 2015.
23. Philip, "The Gray Zone" (PDF), www.soc.mil. United States Kapusta Special Operations Command, 2021.
24. صلاح عبود العامري، تاريخ أفغانستان وتطورها السياسي، (ط1)، القاهرة، العربي للتوزيع والنشر، 2012، ص35.
25. مولوي حفيظ الله حقاني، طالبان من حلم الملا إلى إمارة المؤمنين، معهد الدراسات السياسية، إسلام آباد، باكستان، (ط1)، 1997. ص22.

26. عبد السلام ضعيف، حياتي مع طالبان، (ط3)، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2017، ص70.
27. كينيث والتز، الواقعية البنوية بعد الحرب الباردة: الأمن العالمي، ترجمة أحمد قاسم حسين، مجلة سياسات عربية، العدد59، المجلد 10، 2022.
28. خطاب الرئيس جورج دبليو بوش أمام الكونغرس الأمريكي يوم 23 سبتمبر 2001م.
29. المرجع نفسه.
30. قال الجنرال جوردن ر. سوليفان رئيس أركان الجيش الأمريكي الأسبق: "علينا أن نعد أنفسنا لحروب لم نرها بعد، ولا نفهمها، فنحن لا نغير فقط ماذا نفكر، بل نغير كيف نفكر أيضًا".
31. ويليام مالي، الحروب الأفغانية، ترجمة الدار العربية للعلوم، لند (ط2)، بالجريف ماكميلان، 2009، ص168.
32. قوات أنشئت بالقرار رقم 1386 من مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، المتخذ بالإجماع في 20 ديسمبر 2001، بعد إعادة تأكيد جميع القرارات المتعلقة بالحالة في أفغانستان، ولاسيما القرارات 1378 (2001) و1383 (2001)، حيث أذن المجلس بإنشاء قوات المساعدة الدولية لإرساء الأمن في أفغانستان لمساعدة السلطة الأفغانية المؤقتة في الحفاظ على الأمن في كابول والمناطق المحيطة بها.
33. مالي، ص170.
34. Johnson, Systemic Failure. p. 2.
35. تود قرينتري، ما الخطأ الذي حدث في أفغانستان؟ كلية الحرب الأمريكية، المجلة الربعية، المجلد 51، 2021.
36. إسماعيل، ص17.
37. نعوم تشومسكي، الدول الفاشلة، دار الكتاب العربي، بيروت، 2007، ص137.
38. Christopher Kolenda, Zero-Sum Victory: What We're Getting Wrong 7.. p. About War, The University Press of Kentucky, 2021
39. قرينتري، 2021.
40. قرينتري، 2021.
41. أحمد رشيد، طالبان، (ط2)، مطابع جامعة يال، الولايات المتحدة الأمريكية، 2010، ص250.
42. المرجع نفسه، ص251.
43. ضعيف، ص78.
44. عصام دراز، ملحمة المجاهدين العرب في أفغانستان، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، 1989، ص65.
45. مقابلة وزير الخارجية في حكومة طالبان المُلّا وكيل أحمد متوكل مع تيسير علوني مراسل قناة الجزيرة بتاريخ 1 أكتوبر 2001م.

46. مطيع الله نائب، أفغانستان: عودة طالبان واحتمالات المستقبل، الدوحة، (ط1)، مركز الجزيرة للدراسات، 2008، ص63.
47. المرجع نفسه، ص64.

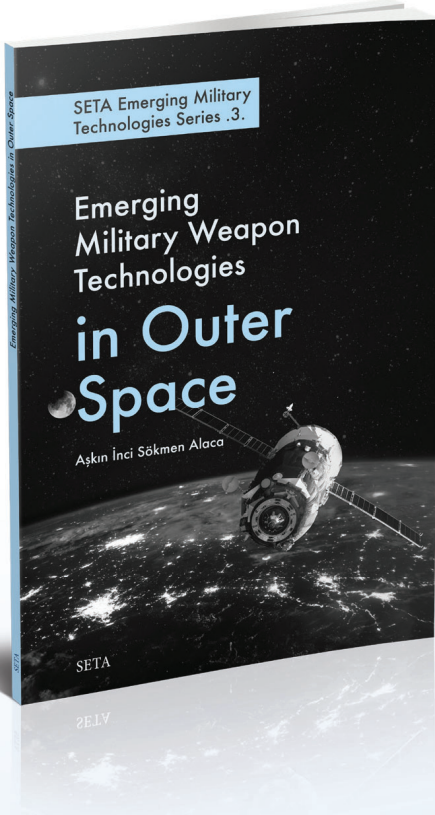
INSIGHT

T U R K E Y



Challenging ideas on Turkish politics and international affairs

An insightful reference for 23 years



Emerging Military Weapon Technologies in Outer Space | SETA Emerging Military Technologies Series .3.

Aşkın İnci Sökmen Alaca

Outer space and the related studies emerged once again as a strategically important domain in a military sense among countries with access to space. In this regard, space technologies and the ability to access space are viewed as a kind of force multiplier in the military terminology.

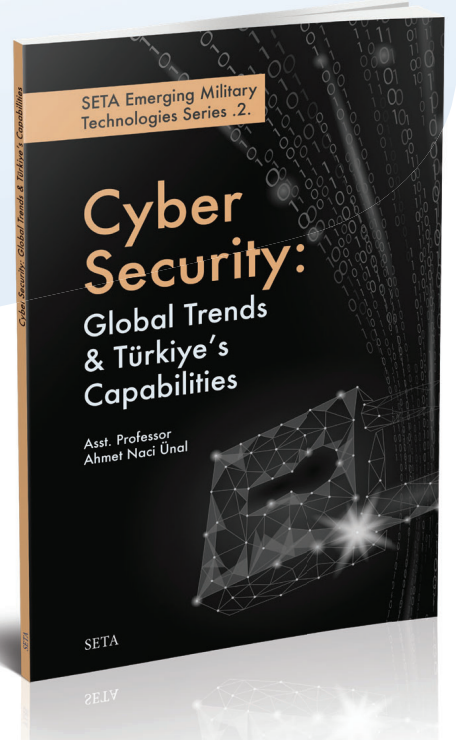


Read
Online

Cyber Security: Global Trends & Türkiye's Capabilities Report | SETA Emerging Military Technologies Series .2.

Ahmet Naci Ünal

The quantification of fronts began to attract interest in the late twentieth century with the development of new concepts like the electronic order of battle, electronic warfare, information warfare and network-centered operations.



Read
Online

الكارثة المناخية في ليبيا وأثرها السياسي (إعصار دانيال وفيضان درنة)

مراد فياض*

ملخص: تتناول هذه الورقة حثيات الكارثة المناخية التي حلت بليبيا في شهر أيلول (سبتمبر) سنة 2023، وما نتج عنها من سيول وفيضانات أحدثت دماراً غير مسبوق، تجاوزت ارتداداتها البعد الإنساني المحض لتمتد إلى أبعاد سوسيوسياسية لا تزال تبعاتها تنكشف يوماً بعد يوم. تكشف الدراسة عن المستويات المتعددة لآثار الحدث المدويّ سواء الإنساني منها أم الاقتصادي أم الخدمي وفق منظور سياسي. هذا المنظور الذي يبين جذور الأزمة وما يتعلق بها بغياب الحوكمة، الذي لولاه ما كانت نتائج الإعصار لتكون بهذه الكارثية. كما أن ما أسفرت عنه هذه الحادثة من تفاعلات سياسية تجاوزت المستوى المحلي، لتتعداه إلى مستويات إقليمية ودولية كانت تركيا أحد أبرز عناصرها. الكلمات المفتاحية: إعصار دانيال، فيضان درنة، ليبيا، البعد الإنساني.

*باحث، ليبيا

The Climate Disaster in Libya and its Political Impact: Storm Daniel and the Derna flood

MURAD FAYAD*

ORCID NO :0000-0002-2610-3986

ABSTRACT: This paper discusses the circumstances of the climate disaster that struck Libya in September 2023, and the resulting torrents and floods that caused unprecedented devastation, the repercussions of which went beyond the purely humanitarian dimension to extend to socio-political dimensions, the consequences of which are still being revealed day after day. The study reveals the multiple levels of the effects of the resounding event, whether humanitarian, economical or serviceal, according to a political perspective. This perspective explained the roots of the crisis and what relates to it in lack of governance, with which the results of the hurricane would not have been so disastrous. Also the political interactions that resulted from this incident went beyond the local scope to regional and international spheres, of which Turkey was one of the most prominent elements.

Keywords: Hurricane Daniel, Derna flood, Libya, the human dimension.

*Researcher,
Libya.

رئيسة، نوكسية،
2024-(1/13)
189 - 208

المقدمة

ضرب إعصار دانيال مدن الشمال الشرقي من ليبيا في العاشر من أيلول (سبتمبر) 2023 مخلفاً دماراً غير مسبوق في الأملاك، وفقداً في الأرواح لم تعدده ليبيا جراء الكوارث الطبيعية. إلا أن الكارثة الكبرى التي سببها الإعصار كانت في اليوم التالي يوم الحادي عشر من سبتمبر 2023 عندما أدت المياه المتجمعة بسبب الإعصار إلى انهيار سدّي مدينة درنة، الذي نتج عنه فيضان كان أشبه بالتسونامي. فيضان وصل ارتفاعه عشرات الأمتار على الأقل، كان ولا يزال استيعاب حيثياته وطبيعته يفوقان قدرات الغالبية على الإدراك أو التخيل.

ضرب مركز الإعصار منطقة الجبل الأخضر في شرق البلاد، وهو الجبل الذي تقع مدينة درنة على حافته الشمالية ممتدة بين ساحل البحر الأبيض المتوسط وسفح الجبل. وكانت رياح العاصفة وأمطارها قد تسببت يوم الأحد الموافق للعاشر من سبتمبر بأضرار متفرقة بمختلف مدن وقرى الجبل الأخضر، أبرزها بالإضافة إلى درنة مناطق البيضاء وضواحيها، والمرج، وسوسة، وشحات، وقندولة، والمخيلي وغيرها.¹ ومن المفارقة أن اليوم الأول من العاصفة لم يسجل وفيات في مدينة درنة عكس بعض المناطق الأخرى التي شهدت عدداً من الوفيات ودماراً بالغاً في المساكن والممتلكات في ذلك اليوم. إلا أن انهيار سدّي مدينة درنة في فجر اليوم اللاحق نحا بالكارثة إلى مستويات ماحقة شبهها الناجون بالقيامة. ففي خلال دقائق من انهيار السد في درنة ارتفع عدد الوفيات من عشرات القتلى في كامل الجبل الأخضر إلى الآلاف في درنة وحدها، وقُدِّر إجمالي المباني المتضررة بمختلف المدن بالمئات تقريباً في أول يوم، ليجد الليبيون أنفسهم أمام أحياء كاملة مُحيت من على وجه الأرض في مدينة درنة، وما بقي منها من أحياء قد تغيرت ملامحها إلى الأبد.²

وإذا كان هول الكارثة في مدينة درنة قد أخذ جُلّ الاهتمام والتركيز في الأخبار، فإن حجم المأساة في باقي المناطق قد يقل عنها كمّاً لكن لا يختلف عنها كثيراً نوعاً. فالسيول التي شهدتها مناطق مثل سوسة والبيضاء وغيرها من مناطق وسط الجبل الأخضر تسببت في قتلى وجرحى ومفقودين صعب حصرهم أياماً عديدة.³ بل إن منطقة المخيلي الصحراوية جنوب الجبل قد غير الإعصار طبيعة تضاريسها، فالمناطق التي كانت منبسطة وجافة تكونت بها بحيرة ضخمة ممتدة في الآفاق على مد البصر لا يمكن رؤية أطرافها وضفافها.

البعد الانساني

يُعدّ موقع مدينة درنة الجغرافي أحد أبرز خصائصها التي طالما جعلتها مفخرة لدى أهلها. فالمدينة التي اختارها عدد من الأسر الأندلسية المهاجرة شرقاً مستقرّاً لها، والتي احتوت على مرّات عشرات الصحابة والتابعين التي بُني بجانبها مسجد الصحابة الشهير، تتمركز على ساحل البحر الأبيض المتوسط، بينما يطل من خلفها الجبل الأخضر بشكل ملاصق. ومن وسط سفح الجبل يخترقها وادي درنة الذي يقسم المدينة نصفين ماراً بمركزها لينتهي على شواطئها.

إلا أن هذه الخصائص الجغرافية المميزة كانت من ضمن أسباب الكارثة التي حلت بدرنة، في ظل سوء الإدارة والتسيب فيما يتعلق بإدارة سدود وادي المدينة، كما سيتضح لاحقاً. إذ قامت الدولة الليبية في النصف الثاني من القرن العشرين ببناء سدّين في مجرى الوادي، الأول -وهو الأساسي- يبلغ ارتفاعه 75 متراً بعرض 300 متر، أما عرض الأساس فهو 104 أمتار وسعته التخزينية تصل إلى 18 مليون متر مكعب، ويقع وسط المنطقة الجبلية المحاذية للمدينة، حيث يبعد عن وسط المدينة عدة كيلومترات. ويُسمّى هذا السد بسد بومنصور. أما الثاني التابع له فيُسمّى سد البلاد حيث يبعد عن وسط المدينة كيلومتراً واحداً و يصل ارتفاعه إلى 45 متراً وعرضه 130 متراً بسعة تخزينية تصل 1.5 مليون متر مكعب.⁴

انخفاض مدينة درنة وموقعها أسفل منطقة الجبل الأخضر، وفي نهاية مجرى الأودية التي تجتمع فيها معظم مياه الأمطار المتساقطة على جغرافيا الجبل الأخضر - كل ذلك كان أمراً مفصلياً في انهيار السد بقسميه (سيدي بومنصور والبلاد). فالضغط على السد كان كبيراً، والنتيجة كانت ارتفاع مياه الأمطار والظمي إلى مستويات فاقت القدرة على التحمل، خصوصاً مع الانسداد الحاصل في السد، والتشققات السفلية فيه منذ سنوات طويلة.⁵

هذا الانهيار كان يمكن تجنبه بسهولة لو أن السد لم يكن مهملاً تماماً. فإلى جانب غياب الصيانة الدورية رغم الملايين التي خُصّصت لهذا الغرض، فإن عملية إدارة تفريغ السد ولو بشكل دوري كانت غائبة كذلك منذ سنوات. ورغم وجود دراسات أكاديمية محلية حديثة حدّرت من الخطر الذي يمثله السدّ بوضعه ذاك، ورغم الفعاليات التي نظمتها بعض المؤسسات الأهلية قبل الإعصار بأيام تحذّر من احتمالية وقوع كارثة بالمدينة، إلا أن كل ذلك لم يجد إلا مزيداً من التجاهل والإهمال من قبل الجهات المسيطرة على تلك المنطقة سياسياً وأمنياً وخدمياً.

يُمكننا استحضار هذه الأبعاد المختلفة -نسبيًا- من محاولة تصور المستوى المهول للحادثة، فحجم المياه المتدفقة فاق 18 مليون متر مكعب وهو سعة السد الأكبر. ومع ما نقله ناجون عن ارتفاع السيل إلى مستوى عمارات وبنيات متعددة الأدوار التي قد أُزيل الكثير منها كليًا أو جزئيًا، في حين أن بعضها حملها السيل لينقلها كاملة إلى مواضع جديدة، أو يُلقى بها في البحر تمامًا. عمليًا كان فيضان درنة عبارة عن تسونامي فوقيّ قادم من أعلى الجبل، وهذا جعله أحد أكبر الكوارث الطبيعية في العصر الحديث.

حجم الخسائر البشرية والمادية التي حلت بالمدينة لم تكن كأي حادثة أخرى عاشتها ليبيا، فمع ورود الأخبار عن انهيار سدود مدينة درنة التي انقطع عنها الاتصال بطبيعة الحال في أول يوم نتيجة الفيضان، بدأت تقديرات الوفيات في الاضطراب بشكل كبير. تسبب الإعصار في قطع الطرق المؤدية إلى المدينة، ومع دخول أولى الفرق الرسمية والأهلية إلى المدينة بشكل متأخر يوم الاثنين الموافق لـ 11 من سبتمبر، بدأ حجم الكارثة ينكشف رويدًا رويدًا. ومع مرور الساعات كانت فداحة المأساة تتجلى، وترتفع معها تقديرات الوفيات لدى الجهات الرسمية والإعلامية بشكل أسّي، حيث بدأت ببضع مئات في بداية اليوم الأول، لتتجاوز لاحقًا عشرة آلاف بعد أيام قليلة. ومع التسييس الذي صاحب الكارثة في تلك الأيام، شهدت التقديرات تأرجحًا استقر فيما بعد في حدود 3000-5000 من الموتى المشتبهين، فيما قُدِّر عدد المفقودين بضعف ذلك تقريبًا.⁶

وقد نشرت شبكة أي نيوز البريطانية تقريرًا عن الحادثة بعد وقوعها بأسبوعين وصف درنة بمدينة الموتى، حيث أصبح ميناؤها البحري يشهد يوميًا تدفقًا مستمرًا لجثامين جرفتها أمواج البحر من ضحايا الفيضان الذي ضرب المدينة.⁷

ووفق ما نشرته بعثة الأمم المتحدة للدعم في ليبيا قبيل نهاية شهر سبتمبر الذي وقعت فيه الكارثة، نقلًا عن منظمة الصحة العالمية، فإن عدد الوفيات في شرق ليبيا جراء الإعصار وتبعاته تجاوز 4200، فيما رصدت عدد المفقودين بأكثر من 8500، في الوقت الذي لا تزال الاحتياجات الإنسانية في المنطقة كبيرة⁸، كما أعلنت الهيئة الليبية للإغاثة أن عدد الجرحى تجاوز 7000 مصاب.

أما منظمة الهجرة الدولية التابعة للأمم المتحدة فقد بيّنت قبل ذلك بأيام أن أكثر من 43000 شخص في شرق ليبيا اضطروا إلى النزوح بعد ما ضرب الإعصار منطقة الجبل الأخضر. وقد كانت الغالبية الساحقة من هؤلاء النازحين من مدينة درنة المنكوبة. وفي حين تمكن بعض سكان المدينة من الانتقال إلى أجزاء أخرى أكثر أمنًا نسبيًا في ضواحي المدينة، فإن أفواجًا من آلاف الأسر اضطرت للنزوح إلى مناطق ومدن أخرى في شرق

99 البلاد وغربها. وقد شكلت هذه الإزاحة السكانية الضخمة والمفائجة تحديًا جديدًا للسلطات، في ظل هشاشة موجودة مسبقًا على مستوى خدمات الدولة جراء عقود من الاستبداد والفساد فيما مضى، بالإضافة إلى العقد الأخير وما شهدته من انقسام سياسي وأمني وصراعات منذ عام 2014، صار يلقي بظلاله على فاعلية وكفاءة مؤسسات الدولة الرسمية. وقد حذرت منظمة الهجرة الدولية عند صدور تقريرها من أن أعداد النازحين قد تشهد تزايدًا ملحوظًا بسبب نقص إمدادات المياه، وهذا يعني أنه من الوارد جدًّا أن يكون عدد النازحين فعليًّا قد تجاوز حاجر 50000 على الأقل. إذ كان المركز الوطني لمكافحة الأمراض قد طلب من سكان مدينة درنة على وجه الخصوص عدم استخدام شبكات المياه الجوفية التي تعرضت لنسب تلوث معتبرة جرّاء السيول التي اجتاحت المدينة. وقد كان تزويد سكان المدينة بالمياه الصالحة للشرب أحد أبرز أولويات فرق الإغاثة الأهلية التي سارعت نحو درنة لتقديم المساعدات العاجلة للناجين.

وبعد مطالبة المركز الوطني لمكافحة الأمراض بأيام قليلة، أعلنت فرق الإصحاح البيئي التابعة لوزارة الحكم المحلي أن جميع مصادر المياه الجوفية العامة والخاصة بالمدينة قد طالها تلوث جرثومي وفق تحاليل العينات التي أجريت. وقد شملت التحاليل التي قامت بها فرق الإصحاح، المياه القادمة من البحر نحو محطة التحلية الموجودة بمدينة درنة، حيث ثبت أن مياه البحر كذلك قد تعرضت إلى تلوث جرثومي وكيميائي إثر تدفق مياه الصرف الصحي باتجاهها جراء الفيضان، وكذلك بسبب تحليل الجثث وسط مياه البحر.

البعد الاقتصادي والخدمي

كارثة مناخية وإنسانية بهذا الحجم، وفي منطقة جغرافية ذات تحديات خاصة- أسفرت حقيقةً عن ارتدادات اقتصادية لا تقل فداحة. فآلاف المباني، بل الشوارع والأحياء التي دُمّرت بشكل كلي أو جزئي يعني بكل تأكيد أن الخسائر المادية المباشرة لوحدها ستكون بمليارات الدولارات. فعملية إعادة بناء السدود المدمرة ابتداءً قد تصل تكلفتها إلى 20 مليون دولار وفق خبراء محليين.⁹ وقد ذكر صحفيون ومسؤولون أن حجم الدمار بمدينة درنة، التي يُقدّر عدد سكانها بحوالي 150 ألف نسمة، يعادل تقريبًا ربع مساحة المدينة، وهذا يجعل عملية حصر عدد المباني المنهارة بشكل دقيق عملية

معقدة قد تستغرق أشهراً وربما تمتد سنوات. ولذلك فإن عملية إعادة الإعمار في درنة لم تبدأ ملامحها الفعلية بعد.

وقد ذكرت مصلحة الطرق والجسور بحكومة الوحدة الوطنية خلال الأسبوع الأول من الفيضان أن شبكة الطرق والجسور في درنة قد انهارت بشكل كلي. وذكر حينها رئيس مصلحة الطرق والجسور أن تكلفة إعمار هذه الطرق جرى تقديرها بحوالي 300 مليون دينار، وهذا يتجاوز 65 مليون دولار. وكانت الطرق المؤدية إلى مدينة درنة من ناحية الجبل قد تعرضت جميعها إلى الانسداد جراء العاصفة، باستثناء طريق واحد، ظل حينها المدخل الوحيد إلى المدينة المنكوبة، وهو ما زاد من الأعباء الاقتصادية بشكل عام، إلى جانب الأعباء اللوجستية في عمليات الإنقاذ.

ويزيد من تعقيد الوضع العام بطبيعة الحال الانقسام السياسي والأمني في ظل وجود حكومة معترف بها رسمياً، وأخرى في شرق البلاد، حيث وقعت الكارثة، والأخيرة تسعى إلى فرض نفوذها هناك وإثبات وجودها. ورغم تسارع مختلف الأطراف إلى تبني مشروع إعادة الإعمار، إلا أن هذه الأبعاد المتداخلة تظل معوقاً يزيد من تعقد المشهد.

وقد خصصت السلطات المختلفة موارد ضخمة مبدئياً للتعاطي مع تبعات الفيضان في درنة وغيرها من المدن المتضررة. حيث أصدر رئيس حكومة الوحدة الوطنية عبد الحميد الدبيبة تعليماته لوزارة الحكم المحلي بشكل مستعجل بعد الكارثة بصرف 60 مليون دينار، وتحويلها للبلديات المتضررة في شرق البلاد. فيما بعد قامت الحكومة بتخصيص مبلغ ملياري دينار من صندوق إعمار مدينتي بنغازي ودرنة، لإعادة إعمار البلديات المنكوبة في المنطقة الشرقية.

كما أعلنت وزارة الاقتصاد والتجارة بالحكومة عن مبادرة إسكان خلال اجتماع للوزير مع رئيس لجنة دعم وتنسيق جهود الإغاثة بالوزارة. وأمر الوزير بإنشاء حساب مصرفي يهدف إلى توفير وحدات سكنية جديدة للأسر الناجية في مدينة درنة وغيرها من المدن المتأثرة بإعصار دانيال. وأشارت الوزارة إلى أن الهدف من هذه الخطوة هو أن تكون ضمن إطار تشاركي مع الغرف التجارية ومجلس أصحاب الأعمال، بحيث يكون التنفيذ بالتعاون مع الغرف التجارية بالمناطق المنكوبة، ومن خلال إشراف مباشر من قبل لجنة الوزارة المعنية بتنسيق جهود الإغاثة.

من جانبه، ادّعى مجلس النواب الموجود في شرق البلاد، أنه خصّص ميزانية للطوارئ وإعمار المدن المنكوبة بقيمة 10 مليارات دينار،¹⁰ فيما قالت الحكومة الموازية التابعة



للمجلس، برئاسة أسامة حماد، في الأيام الأولى للكارثة: إنها ستخصّص 200 مليون دينار للبلديات والمدن والمناطق المتضررة من السيول والفيضانات.

وعلى مستوى العجلة الاقتصادية لمدينة درنة وما حولها، والارتدادات التجارية المؤثرة في السكان، فإنه من المهم الإشارة إلى أن أكثر مناطق المدينة تأثراً كان وسطها حيث المركز التجاري للمدينة الذي يُعدّ الشريان الحيوي لها وللمناطق المجاورة. وقد أدى فيضان وادي درنة إلى زوال عشرات الأسواق التجارية ومئات المحلات، وهذا يعني خسائر بمئات الملايين على مستوى المعاملات التجارية، إلى جانب الأصول التي ستصل الخسائر فيها إلى المليارات. وتشير تقديرات الخبراء إلى أن السوق المحلي في درنة كان يستهدف 400 ألف مستهلك من داخل المدينة وخارجها¹¹، وهذا يشير إلى اهتزاز جذري في التبادل التجاري في أجزاء كبيرة من منطقة الجبل الأخضر الذي تقع مدينة درنة في وسطه من ناحية الشمال.

وبالإضافة إلى الأضرار التجارية الواقعة بمدينة درنة، فإن المناطق الأخرى المتضررة بالجبل الأخضر قد شهدت خسائر نوعية، إذ ذكرت الجهات المعنية بالمنطقة الشرقية

أن خسائر المراعي في عموم منطقة الجبل الأخضر جراء العاصفة تجاوزت 30 ألف رأس ماشية. هذا ويُعدّ قطاع المراعي أهم القطاعات الاقتصادية بمنطقة الجبل الأخضر المشهورة بتربية المواشي والأغنام. وعليه فإن ضربة بهذا الحجم في قطاع حيوي بهذه المنطقة، يعني تبعات على العرض والطلب تمتد آثاره إلى كامل الاقتصاد الوطني الليبي، لا إلى المناطق المتضررة فقط.

ومن أهم القطاعات الخدمية الحيوية التي تأثرت بشكل جوهري جرّاء الفيضان ويجب تسليط الضوء عليها في مثل هذه الكارثة- القطاع الصحي الذي تطلّب استنفاراً كبيراً، خصوصاً خلال الأزمة، إذ تسبب الإعصار في خروج عدد من المؤسسات والمراكز الصحية عن الخدمة. ومع وصول عدد الوفيات والمصابين إلى عدة آلاف في ساعات قليلة، أصبح العبء الواقع على ما تبقى من مستشفيات ومراكز صحية يتعدى قدرتها الاستيعابية بمراحل. و بالنظر إلى الحالة المتواضعة التي كانت عليها هذه المؤسسات الصحية أساساً قبل الكارثة، فقد وصل العجز ذروته خلال الأزمة. وقد كان مستشفى الهريش الذي يُعدّ المستشفى الرئيس بمدينة درنة، قد خرج عن الخدمة قبل الإعصار بسنوات، إثر إطلاق عمليات صيانة لم تنته إلى اليوم. في حين أن مستشفى الوحدة ومركز شيخا الطبي شهدا عجزاً واضحاً خلال الأزمة بعد وقوع إصابات ووفيات بالآلاف. ومما زاد من التحدي إلى جانب كثرة الإصابات وقلة الإمكانيات المادية، النقص المفاجئ في الكادر البشري جراء إصابة أو وفاة العديد من العاملين في القطاع الصحي نتيجة للإعصار، إذ أفادت منظمة الصحة العالمية أن أكثر من 100 شخص ممّن يعملون في المجال الطبي في درنة والجبل الأخضر قد لقوا حتفهم نتيجة إعصار دانيال في المنطقة، حيث إن عدداً من العناصر الطبية قد وافقهم المنيّة خلال أداء مهامهم في مواجهة الإعصار وتداعياته، في حين أن البعض الآخر كان من ضمن ضحايا الفيضان الذين قضوا في منازلهم.

وإلى جانب ما جرى في درنة، فقد واجه المركز الطبي بمدينة البيضاء تحدياً مشابهاً إثر وفود عشرات الوفيات إلى المستشفى خلال يومين فقط، حيث كان المستشفى المركز الأساسي لاستقبال المصابين؛ لا من المدينة فقط، إنما من القرى والبلدات المحيطة بالبيضاء التي غمرتها سيول الإعصار أيضاً. كما أدت السيول إلى خروج المركز الطبي في منطقة المخيلي جنوب الجبل الأخضر عن الخدمة تماماً.

أمّا بالنسبة لقطاع التعليم الذي يمكن عدّه ثاني القطاعات أهمية بعد القطاع الصحي، فقد شهد تبعات مزلزلة جراء السيول التي ضربت عدداً من مدن الجبل الأخضر.

وسجلت الحكومة ما مجموعه 117 مدرسة ومؤسسة تعليمية تعرضت لأضرار مختلفة، موزعة على 15 مدينة في شرق البلاد. هذا بالإضافة إلى اضطراب السلطات المحلية إلى استعمال عدة مدارس في مدن الجوار المختلفة مراكز لإيواء الأسر النازحة. كل ذلك مثل عبئاً جديداً على القطاع التعليمي الحكومي ومرفقاته، الواقع أصلاً تحت أعباء عقود من سوء الإدارة والإهمال. ولمعالجة الأضرار الناجمة عن الإعصار، فقد أصدرت حكومة الوحدة الوطنية قراراً بتخصيص 92.8 مليون دينار لصيانة تلك المؤسسات التعليمية المتضررة في مختلف المدن، نصف تلك القيمة تقريباً خصص لصيانة المدارس الواقعة في مدينة درنة، أكثر المناطق تضرراً.

البعد السياسي

نظرًا إلى حجم الكارثة، فقد فرض الجانب الإنساني في التعاطي مع الحدث نفسه في الساعات والأيام الأولى التي تلت الإعصار، وقد شهدت الأزمة تكاتف الجهود وبروز حالة من الإخاء الوطني، أجبرت في بداية الأمر الفواعل السياسية على التعاطي مع الأزمة بنفس الإيجابية الشعبية. إلا أن ظهور التساؤلات بعد انقشاع الصدمة الأولى، عمّن يتحمل المسؤولية في انهيار سد وادي درنة، أشعل الاستقطاب السياسي من جديد. ومما زاد كذلك من حالة الاستقطاب، نظر بعض الأطراف إلى سياق جهود الإغاثة من منظور الرصيد السياسي الذي سيُحسب لكل طرف.

ولعل أبرز محطات هذا التحول السياسي كانت المظاهرة الحاشدة في مركز مدينة درنة ووسط ركام مبانيها المنهارة بعد أسبوع من الفيضان، أمام مسجد الصحابة المتضرر جزئياً. وقد شهدت المظاهرات تنديداً بالمسؤولين ومطالبات بالمحاسبة، حيث كان أبرز المستهدفين من هتافات المظاهرات عقيلة صالح رئيس مجلس النواب المنعقد في الشرق، حيث إن عميد بلدية درنة هو أحد أقارب عقيلة صالح الذي عيّنته السلطات في شرق البلاد لرئاسة المجلس البلدي درنة دون إجراء انتخابات يختار فيها أهالي المدينة من يتولى إدارة شؤون بلديتهم، التي من ضمنها متابعة صيانة سدود المدينة.

ولاحتواء الاحتقان الشعبي، عزلت الحكومة التابعة للنواب المجلس البلدي في درنة، كما جرت إحالة أعضائه للتحقيق. من جهته كذلك، شرع النائب العام الصديق الصور في فتح تحقيق لكشف المتورطين في التسبب بانهايار سد وادي درنة، وقد شمل التحقيق تحريات بحثت في حيثيات تعود لعقود مضت، لكون الإهمال امتد لفترات طويلة سبقت الإعصار، تصل إلى أكثر من عشرين سنة.

وقد تفاوتت تعاطي السلطات الأمنية، بقيادة خليفة حفتر، المسيطرة فعلياً على شرق البلاد، تجاه مختلف الأطراف السياسية وتفاعلها في قضية درنة. فمن ناحية سُمح لفرق الإنقاذ والبحث والخدمات التابعة لحكومة الوحدة الوطنية التي يرأسها الدبيبة بالدخول إلى درنة، رغم عدم اعتراف حفتر والنواب بهذه الحكومة، وتشكيلهم حكومة موازية لها برئاسة أسامة حماد. وفي هذا الجانب يمثل الاعتراف الدولي الذي تحظى به حكومة الدبيبة والقدرة الفعلية على إدارة معظم مؤسسات الدولة من العاصمة، عاملاً مهماً في هذا الجانب؛ ولكن من جانب آخر مُنِع الفريق الحكومي الرسمي المكلف بإدارة الأزمة في حكومة الدبيبة، الذي كان برئاسة وزير الحكم المحلي بدر الدين التومي - بالقوة من الدخول إلى مدن الشرق، وقد احتجزت الأجهزة الأمنية التابعة لحفتر التومي ووضعت تحت الإقامة الجبرية، ثم أُجبر هو ورفاقه على العودة إلى طرابلس.

وعلى صعيد الحراك الذي شهدته مدينة درنة بعد الفيضان بأسبوع، فإنه رغم صدور قرار بعزل أعضاء بلدية درنة وإحالتهم للتحقيق، وما تمثله هذه الخطوة من مسابرة نسبية مع مطالبات المتظاهرين، إلا أن هذه الخطوة صاحبها خطوات أمنية تلت المظاهرة، استهدفت الحراك ومنسقيه؛ لمنع استمراره وإيقاف زخمه. وتزامنت هذه الخطوة مع قطع الاتصالات عن مدينة درنة، رغم ما صرحت به بعض الجهات الحكومية من أن الانقطاع في ذلك اليوم كان لأسباب فنية، إلا أن أطرافاً رسمية أخرى أكدت ارتباط هذا الانقطاع بالتحرك الأمني لقوات حفتر داخل درنة في ذلك اليوم.

وفي السياق ذاته، أكد صحفيون دوليون في ذات اليوم، أن جهات عسكرية أبلغتهم رسمياً بضرورة خروجهم من المدينة، وعدم السماح لهم بأي تغطية صحفية منذ تلك اللحظة، إلا أن تلك الخطوة سرعان ما جرى تخفيفها لتعود التغطية الصحفية المحلية والدولية بشيء من الحذر.

في وسط هذا التعاطي المزدوج، خرجت أصوات سياسية وإعلامية موالية لحفتر، تشكك في بعض الشخصيات والجهات التي قُدمت لإغاثة درنة من مدن غرب البلاد التي لا سلطة لحفتر عليها. وتطورت حملة التشكيك في دوافع هذه الجهات إلى حالة استعداء، دفعت بعض الناشطين للرجوع إلى مدنها، في حين أكد آخرون أنه قد سُمح لهم بالاستمرار في عملهم وتقديم الخدمات اللازمة.

وفيما يتعلق بتحقيقات النائب العام، فقد كان قدومه من العاصمة إلى شرق البلاد لإجراء التحقيقات التي أعلن عنها، المتعلقة بالفساد والإهمال في صيانة سدود درنة أمراً لاقي استحساناً من ناحية مبدئية. وعلاقة النائب العام الصديق للصور مع السلطات



السياسية المرتبطة بحفتر علاقة يصعب تفكيكها. فبعيداً عن الفصل النظري بين سلطات الإدعاء والقضاء والجهات التنفيذية والتشريعية، إلا أن التداخل الفعلي بينها بدرجة أو أخرى في أي دولة لا يمكن تجاهله. وعند الحديث عن وضعية كالتي تعيشها ليبيا حالياً، حيث تُعدّ الحالة الدستورية المدنية حالة جنينية غير مكتملة، تؤثر فيها الوقائع الأمنية والاجتماعية والمناطقية والقبلية والسياسية المتداخلة، فإن تجاهل هذا التداخل بين تلك السلطات يكاد يصبح مستحيلاً. ومن هنا فإن ما يمكن أن نسميه بالسياق السياسي للنائب العام الحالي الصديق الصور هو سياق مركب لا يتوفر للكثيرين في المشهد السياسي الليبي. فهو من ناحية ابن مدينة مصراتة المحسوبة في عمومها على المعسكر المضاد لحفتر، ويمارس عمله من العاصمة الواقعة خارج سلطة حفتر. إلا أن تكليفه جاء برضى من مجلس النواب المرتبط عضوياً بحفتر، بالإضافة إلى ما يُتداول عن علاقته بفتحي باشاغا الذي قدمه مجلس النواب بديلاً للدبيبة قبل أن يستقر على أسامة حماد حالياً. ومن جانب آخر فإن علاقة النائب العام مع الدبيبة تُعدّ مستقرة، وتفاعل حكومته معه من ناحية الإجراءات القانونية يُعدّ إيجابياً. هذا السياق المركب، على ما فيه من تناقضات قد تبدو ظاهرة، ربما يكون أحد أسباب تساهل السلطات الأمنية في شرق البلاد في فتح الأبواب

للنائب العام بإطلاق تحقیقاته تجاه قضية سد درنة الواقعة تحت سيطرتها، بل التعاطي معه حتى في احتجاز المتهمين. ومع ذلك، كما لا يمكن تجاهل أن قوائم المتهمين التي أصدرها مكتب النائب العام، الذين جرى إيقاف جزء كبير منهم واعتقالهم - لم تشمل مسؤولين من الصف الأول. هذه النقطة تزداد أهميتها عند إدراك أن مسؤولية الشخصيات السياسية والأمنية بأعلى الهرم لا تتعلق فقط بسلطتهم الفعلية كأمر واقع، بل إن المسؤولية القانونية الواقعة عليهم ترتبط بالقرارات الصادرة عنهم بشكل رسمي.

وأهم تلك القرارات هو قرار حكومة مجلس النواب برئاسة أسامة حماد الذي نص على تشكيل "لجنة عليا للطوارئ والاستجابة السريعة"، الذي صدر قبل الإغصار بثلاثة أيام فقط.¹² وقد تضمن القرار ترأس حماد للجنة بشكل مباشر، وهذا يعني مسؤوليته عن عملية إدارة الأزمة خلال فترة الإغصار. بالإضافة إلى ذلك، شمل قرار تشكيل اللجنة اثنين من أبناء حفر بصفاتهم الأمنية والعسكرية الحالية. وعليه فإن هذه اللجنة التي قصرت بوضوح في المهام التي ألزمت بها نفسها فيما يتعلق بالاستعداد لكارثة الإغصار، قد أثار تفلتها من المحاسبة تساؤل المراقبين.¹³ وقد يُفهم من هذا أن تحقیقات النائب العام لها سقف لن تتجاوزه، رغم ما حركته من مياه راكدة، طال ركودها عشرين عامًا فيما يتعلق بهذه القضية تحديدًا.

على المستوى الإقليمي تداعى عدد من دول الجوار إلى تقديم المساعدة لليبيا من خلال إرسال فرق الإنقاذ والبحث وفرق الدعم الهندسي وإرسال قوافل إغاثية عاجلة، لعل أبرزها: تركيا ومصر وقطر والإمارات والجزائر وتونس والكويت وغيرها، بالإضافة إلى عدد من الدول الأوروبية. وقد كان من الملاحظ أنه كما وحدثت الأزمة نسبيًا، ولو مؤقتًا، الأطراف السياسية المحلية على ضرورة مواجهة التبعات الإنسانية للإغصار، فقد كان تفاعل الدول الإقليمية المتنافسة في ليبيا خلال هذه الأزمة متجاوزًا للخلافات الجيوسياسية. وإذا كان حجم الكارثة الإنسانية وطبيعة الاحتياج العاجل قد فرض نفسها على اللاعبين المحليين والإقليميين، فإن حالة التهدة التي تشهدها المنطقة في السنوات الأخيرة بشكل عام، فيما يتعلق بالخلاف حول الملف الليبي بشكل خاص - ربما كان لها دور مهم كذلك في حالة التعاطي الإيجابي مع الاحتياج الليبي خلال هذه الأزمة.

وقد شهدت العلاقات التركية المصرية على وجه الخصوص تغيرات مهمة في آخر بضع سنين، وإن كانت متدرجة وبطيئة. ومن أهم الملفات التي كانت تمثل خلافًا بين حكومتي البلدين الملف الليبي والصراع الدائر فيها. ومع التقارب النسبي والتفاهات الطارئة في بعض الجزئيات في هذا الباب، جاءت كارثة درنة لتمثل فرصة في تفعيل

أطر التفاهم بشكل أكبر. وكما هو معلوم فإن شرق ليبيا الذي تقع فيه مدينة درنة خاضع بدرجة كبيرة للنفوذ العسكري المصري منذ سيطرة ما سُمّي بعملية الكرامة العسكرية. وعليه فإن أي وجود مُعتبر لدولة إقليمية ما في شرق ليبيا، سواء كان على المستوى الاقتصادي أم السياسي أم غيرهما، فإنه لا يمكن إلا أن يتم بضوء أخضر مصري أو على الأقل بتغافل منها، ولاسيما إن كانت هذه الدولة تُعدّ منافسة للسلطات المصرية، كما هو الحال مع تركيا. وقد مثّلت الترتيبات الحاصلة مؤخراً بإعادة افتتاح القنصلية التركية في بنغازي - مؤشرات مهمة في إطار هذا الضوء الأخضر، وعلى شيء من التفاهات النسبية بين الطرفين المصري والتركي حول الملف الليبي. ومن ثمّ جاء الدور التركي البارز في تقديم المساعدات لدرنة، وقد تضمن هذا الدور وجوداً لوجستياً كبيراً لتركيا والمؤسسات التابعة لها في شرق ليبيا، وهو مؤشر جديد ومهمّ على مستوى ترتيبات بناء الثقة الجارية بين الطرفين. خصوصاً أن هذا الحضور اللوجستي، إلى جانب إرسال فرق متعددة إلى شرق ليبيا - شمل أيضاً تجهيز مستشفى ميداني تركي متكامل في درنة، بل وإرسال عدة سفن وبواخر تركية، بعضها بوارج، لنقل المساعدات الإنسانية العاجلة إلى شرق ليبيا، حيث رست هذه السفن في موانئ شرق البلاد، تحديداً في مدينة طبرق الملاصقة للحدود المصرية. هذه الإجراءات كانت تُعدّ من المستحيلات قبل سنوات قليلة، وهي بلا شك نتيجة التواصل الدبلوماسي والأمني المتدرج في السنوات الأخيرة، التي جاءت الكارثة المناخية الأخيرة لتسرّع من وتيرتها.

من جانب آخر فقد صعدت مصر من وجودها العسكري المباشر خلال أزمة الإعصار الأخيرة، وقد تناقلت وسائل الإعلام تسيير المساعدات المصرية إلى درنة من خلال فرق عسكرية مصرية عبرت الحدود بين البلدين، بلغ قوامها أكثر من 3000 عسكري، بالإضافة إلى نقل حاملة طائرات وسفينة حربية من البحر الأحمر إلى الساحل الليبي¹⁴، وهو ما أثار حفيظة أطراف سياسية محلية تتخوف من النفوذ المصري الكبير أصلاً في شرق ليبيا.

ولا أشد من الدلالة على تلطف الأجواء السياسية بين الطرفين إلى حد كبير فيما يتعلق بالملف الليبي، من دعوة السفير التركي في ليبيا للمشاركة في مؤتمر إعمار درنة الذي دعت له الحكومة الموازية المكلفة من البرلمان، والمحسوبة بطبيعة الحال على الطرف المصري.

في البعد الدولي لم يكن التفاعل بين القوى الكبرى المتنافسة في ذات الاتجاه. حيث كانت صحيفة وول ستري جورنال الأمريكية قد أكدت بعد أيام قليلة من فيضان درنة توجس الولايات المتحدة من استغلال روسيا للحادثة من أجل وضع موطئ قدم جديد

لها في مياه البحر المتوسط من خلال التمرکز بشکل صريح على الساحل الليبي، وأنه يُتَوَقَّع زيارة مسؤولين أمريكيين للبييا للضغط ضد الوجود الروسي.¹⁵

وسائل إعلام فرنسية كذلك أشارت إلى ذات القضية بمزيد من التفصيل والتحليلات المرافقة من قبل محللين وخبراء في الشأن الليبي، مشددة على التخوفات التي يمثلها تمرکز روسي من هذا النوع على ضفاف المتوسط، مقابل الحافة الجنوبية لفضاء حلف شمال الأطلسي (الناتو) وأوروبا.

وخلال يومين فقط من نشر تقرير وول ستريت جورنال المحذّر من التوظيف الروسي للحادثة، قام نائب وزير الدفاع الروسي، يونسبيك يفكروف، فعلاً بزيارة مدينة بنغازي بتاريخ 17 من سبتمبر لملاقة خليفة حفتر. يفكروف كان قد قام بزيارة مشابهة لحفتر قبل أقل من شهر فقط، في اليوم الذي تلا مقتل زعيم الفاعنر يفعيني بريغوجين في شهر أغسطس الماضي، فيما عُدَّت حينها زيارته لإعادة ضبط ترتيبات العلاقة مع حفتر في مرحلة ما بعد بريغوجين. وفي السياق ذاته، وبعد حوالي عشرة أيام فقط من زيارة يفكروف الثانية، قام حفتر بمبادلة الزيارة، حيث كان نائب وزير الدفاع في استقبال حفتر شخصياً، فيما تحدثت وسائل إعلام عن مقابلة حفتر لاحقاً لكل من الرئيس الروسي فلاديمير بوتين ووزير دفاعه. إن الرحلات المكوكية خلال فترة قصيرة من وقوع كارثة الإعصار في الشرق الليبي، تشير إلى أن التخوفات التي نقلتها وول ستريت جورنال كانت مبنية على أسس متينة.

تقرير وول ستريت فيما يبدو كان مصيباً أيضاً بخصوص زيارة مرتقبة لمسؤولين أمريكيين إلى ليبيا لعرقلة الجهود الروسية، ففي يوم 21 سبتمبر، أي تحديداً في الأسبوع الذي توسط زيارة يفكروف الثانية إلى شرق ليبيا وزيارة حفتر إلى موسكو، قام قائد قيادة الأفريكوم الأمريكية الجنرال مايكل لانجلي رفقة المبعوث الأمريكي الخاص إلى ليبيا ريتشارد نورلاند بزيارة موسعة إلى ليبيا. وبعد عقد لقاءات مع مسؤولين حكوميين في العاصمة طرابلس، حط الوفد الأمريكي في بنغازي شرق ليبيا لمقابلة خليفة حفتر لمناقشة عدد من القضايا، أهمها إخراج المرتزقة الأجانب، كما أفادت السفارة الأمريكية. وهي رسالة لا يمكن فهمها إلا كإشارة مباشرة إلى الأذرع الروسية في ليبيا.

دور المؤسسات التركية

حجم الكارثة التي حلت بليبيا حين ضربها الإعصار دانيال، وخصوصاً ما تسبب به من فيضانات نتيجة انهيار السدود في مدينة درنة - كان بلا شك أكبر من قدرة أي دولة



نامية أن تواجهه بمفردها. وقد تفاعل المجتمع المدني الليبي بمبادرات أهلية سريعة لسد الاحتياج العاجل الذي ما كان لمؤسسات الدولة الرسمية أن تواجهه لوحدها؛ إلا أن هذا التكتاف الداخلي بشقيه الأهلي والرسمي على أهميته ومحوريته، لم يكن ليتمكن من التعامل مع الدمار المهول، والاحتياج الكبير لعمليات الإنقاذ المحترفة دون دعم دولي من مختلف بلدان العالم.

وقد كانت المؤسسات التركية بما لديها من خبرة في هذا المجال، في مقدمة الجهات الفاعلة التي بادرت مبكرًا لتقديم المساعدات اللازمة للشرق الليبي، وعلى رأس هذه المؤسسات أدت إدارة الطوارئ والكوارث التركية (آفاد) دورًا مركزيًا في هذا الصدد، إلى جانب جهات أخرى كاللهالال الأحمر التركي الذي لم يكتف بتقديم الإغاثة الإنسانية العاجلة والخدمات الإسعافية للمصابين، بل اهتم أيضًا بتقديم البرامج المتعلقة بالخدمات النفسية لحالات ما بعد الصدمة للمجتمع المتضرر، بالتعاون مع الهالال الأحمر الليبي.

وقد شارك من إدارة الطوارئ والكوارث التركية (آفاد) لوحدها أكثر من 160 عنصرًا على الأرض في ليبيا، قَدِمُوا على ثلاث مجموعات، كانت بينهم طواقم بحث تحت الماء، إلى جانب فرق البحث الأخرى.¹⁶ وكانت آفاد من ضمن أوائل الجهات الدولية التي وصلت إلى شرق ليبيا عقب فيضان درنة، حيث أعلنت عن وصول فرقها رسميًا

خلال 48 ساعة تقريباً من وقوع الكارثة، من أجل المباشرة في عمليات البحث والإنقاذ. ولم تكتفِ آفاد بأن تكون ضمن أوائل من قَدِمَ لتقديم خبرتها في هذا المجال، بل أكَّد ممثلون عن ميناء مدينة درنة لجهات إعلامية محلية بعد أكثر من شهر من بدء الأزمة، أن الفريق التركي المشارك في عمليات انتشال الجثث هو الوحيد من ضمن الفرق الدولية الذي لم يغادر ميناء درنة، ولا يزال يعمل إلى جانب العناصر الليبية، بالإضافة إلى شركة مصرية ظلت تعمل خارج الميناء.

وخلال الأيام العشر الأولى فقط من الفيضان، كانت قد وصلت إلى الموانئ الليبية أربع سفن تركية لتقلِّ الاحتياجات اللازمة. وبالإضافة إلى عناصر آفاد المشار إليهم آنفاً، فقد نقلت السفينتين الأوليين من السفن التركية 200 عنصر آخرين من مؤسسات مختلفة، من ضمنها عاصر من خفر السواحل التركي ووزارة الصحة وفرق الإطفاء وجمعية أكوت للبحث والإنقاذ. كما أن هذه القوافل البحرية شملت أكثر من 120 مركبة آلية، كسيارات الإسعاف وأليات التدخل والإنقاذ، إلى جانب 3 مستشفيات ميدانية ظلت تعمل على تقديم الخدمات الصحية لمتضرري المناطق المنكوبة. هذا بالإضافة إلى ما حوته هذه البواخر من أطنان من الشحنات الغذائية والمستلزمات الطبية والبيوت المتنقلة.

الخاتمة

تُعَدُّ كارثة سيول درنة وما جاورها، الناتجة عن إعصار دانيال الذي ضرب مناطق مختلفة من البحر المتوسط في النصف الأول من شهر سبتمبر -2023 إحدى الكوارث الطبيعية الكبرى في العصر الحديث. وهي بلا شك أكبر كارثة مناخية شهدتها ليبيا في تاريخها المعاصر، من حيث الدمار الحاصل والفقد في الأرواح والخسائر المادية. بل إن أياً من الحروب التي شهدتها ليبيا في العقد الأخير، لم تسبب دماراً وقتلاً بهذا الحجم خلال مدة زمنية قصيرة كهذه. وإذا كان ظاهره السياق العام لهذه الفاجعة أنها كارثة طبيعية، فإن حقيقة مسبباتها الفعلية لا تخفى على أحد، وهي تراكمات الفساد السياسي والإداري لعقود طويلة، كانت نتيجتها إهمال وتسبب كامل في ما يتعلق بالبنية التحتية بشكل عام، وبالسدود المائية بشكل خاص. هذه الحقيقة هي ما دفعت الناجين من كارثة درنة إلى الخروج في مظاهرة حاشدة بعد أيام من الفيضان، مطالبين بمحاسبة المسؤولين عن التقصير والإهمال الذي أدى إلى فاجعة بهذا الحجم، هذا الإدراك نطق به أيضاً مسؤولون معنيون من الأمم المتحدة وكذلك بعثتها الخاصة إلى ليبيا، وأشاروا إلى العجز الكامل لدى الجهات الحاكمة في ليبيا، الذي كشفت عنه كارثة درنة.

وإذا كان التكاتف الشعبي والتعاون النسبي بين مختلف الأطراف السياسية في ليبيا خلال الأيام الأولى للكارثة قد أدى إلى شيوع حالة تفاؤل بإمكانية تجاوز الخلافات- فإن ما تلاهما من اتضاح حجم الفساد المؤدي إلى الكارثة والتنصل من المسؤولية؛ بالإضافة إلى الحسابات السياسية الضيقة التي ظهرت من بعض الأطراف لمحاولة توظيف الأزمة- كل ذلك كشف أن التغيير الجذري للواقع القائم حاليًا ضرورة لا مناص منها.

وربما يكون التفاهم الإيجابي (الحذر) بين القوى الإقليمية في إدارة عمليات الدعم والإنقاذ في شرق ليبيا- أبرز الجوانب المضيئة القليلة وسط عتمة هذه الفادحة؛ خصوصًا ما يتعلق بالدور التركي المتصدر في عمليات الدعم والإنقاذ، وما صاحبه من حضور من العيار الثقيل على المستويين الرسمي والأهلي في منطقة شرق ليبيا الخاضعة منذ تسع سنوات للنفوذ المصري المباشر، وما يعكسه ذلك من تهدة سياسية لأهم فاعلين إقليميين في المشهد الليبي في الوقت الحالي، وقد ينبنى عليه الوصول إلى صيغ سياسية تجنب ليبيا الولوج في نفق حروب جديدة، كالتى شهدتها سابقًا من أجل التمكين لحكم الفرد، الذي وإن تعددت أسماؤه بحسب الحقبة الحالية أو السابقة، فإنه يظل هو الجذر الحقيقي لحالة الانسداد السياسي الليبي، وحالة الفساد المؤسسي المتراكم الذي أدى في النهاية إلى هذه الكارثة البشرية، بعجزه عن رعاية بنى تحتية حيوية، كالسدود المائية التي كان انهيارها مجرد انعكاس لحالة الانهيار العميق في المشهد السياسي والأمني والبيوقراطي في الدولة الليبية، وهو انهيار أثبتت تحقيقات النيابة العامة أنه يمتد لعقود، ويُفترض ألا تكون محاولة معالجته بالأدوات بنفسها التي أدت إلى نشوئه.

الهوامش والمراجع

1. محمد خليل الزروق، العبور من وادي درنة، مركز علي الغرياني، سبتمبر- 2023
https://drive.google.com/file/d/1Z8IEKYt-7BqW-QM9laEFdYdzAR_-JIIP/view
2. يوسف لطفي، مأساة درنة الكاشفة، مركز علي الغرياني، سبتمبر- 2023
<https://ar.libyaobserver.ly/article/25264>
3. فاجعة درنة... أسبوع من السباق ضد الزمن، ليبيا الأحرار، 2023-9-18، فاجعة درنة.. أسبوع من السباق ضد الزمن- ليبيا الأحرار (libyaalahrar.tv)
4. كيف انهار سد وادي درنة؟ ليبيا الأحرار، 2023-9-17، كيف انهار سد وادي درنة؟- ليبيا الأحرار (libyaalahrar.tv)
5. طوبوغرافيا وادي درنة في مواجهة إعصار دانيال، المركز الليبي للدراسات الأمنية والعسكرية، 2023-9-16
<https://lcsms.info/topography-of-wadi-derna-in-the-face-of-hurricane-daniel/>

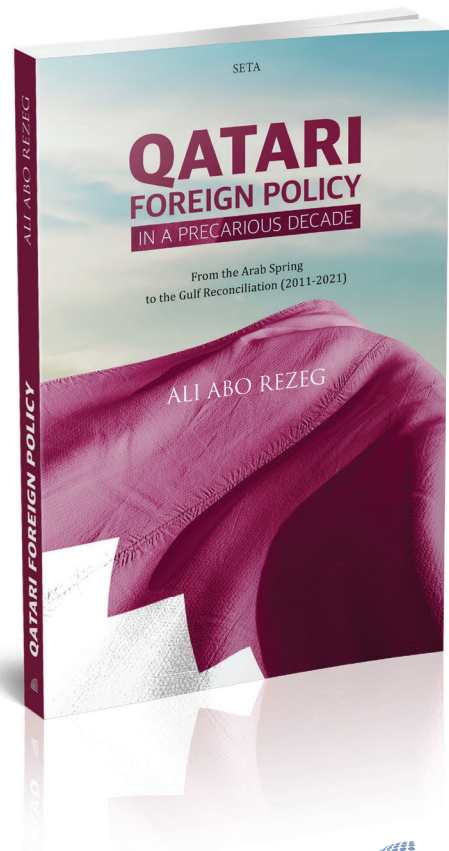
6. Libya floods: Conflicting death tolls, Greek aid workers die in crash, Al Jazeera, 18 Sep 2023, Libya floods: Conflicting death tolls, Greek aid workers die in crash | Floods News | Al Jazeera
7. Jomanah Karadsheh, Derna is a city of the dead, those who survived are struggling to comprehend unfathomable loss, 24 Sep 2023, <https://inews.co.uk/news/world/derna-city-dead-survived-struggling-comprehend-loss-2639101>
8. Two weeks since floods in eastern Libya, UN teams remain on the ground providing humanitarian assistance and supporting early recovery, UNOCHA, 27 Sep 2023, Two weeks since floods in eastern Libya, UN teams remain on the ground, providing humanitarian assistance and supporting early recovery [EN/AR] | OCHA (unocha.org)
9. عبد العزيز الوصلي، ما التكلفة الاقتصادية لكارثة درنة؟ الجزيرة، 17-9-2023، ما التكلفة الاقتصادية لكارثة درنة؟ | اقتصاد | الجزيرة نت (aljazeera.net)
10. النواب الليبي يقر ميزانية طوارئ بملياري دولار لمواجهة الكوارث والشارع يرفضها، سبوتنيك، 15-9-2023، النواب الليبي يقر ميزانية طوارئ بملياري دولار لمواجهة الكوارث والشارع يرفضها، 15.09.2023، سبوتنيك عربي (sputnikarabic.ae)
11. عبد العزيز الوصلي، ما التكلفة الاقتصادية لكارثة درنة؟ الجزيرة، 17-9-2023، ما التكلفة الاقتصادية لكارثة درنة؟ | اقتصاد | الجزيرة نت (aljazeera.net)
12. قرار حماد بتشكيل لجنة عليا للطوارئ يُحمل حكومته المسؤولية الكبرى في كارثة درنة. المركز الليبي للدراسات الأمنية والعسكرية، 1-10-2023
13. كارثة درنة... على عاتق من تقع المسؤولية السياسية؟ المركز الليبي للدراسات الأمنية والعسكرية، 3-10-2023
/https://lcsms.info/the-derna-disaster-who-bears-the-political-responsibility
14. قراءة للدور المصري في ليبيا، المركز الليبي للدراسات الأمنية والعسكرية، 30-9-2023
/https://lcsms.info/a-reading-of-the-egyptian-role-in-libya
15. Benoit Faucon, Russia Seeks to Expand Naval Presence in the Mediterranean, 15 Sep 2023, Russia Seeks to Expand Naval Presence in the Mediterranean - WSJ
16. «الوضع سيئ جداً»... نائب رئيس «آفاد» التركية يشبه ما أحدثته الفيضانات بآثار زلزال، ليبيا الأحرار، 17-9-2023، «الوضع سيئ جداً..» نائب رئيس «آفاد» التركية يشبه ما أحدثته الفيضانات بآثار زلزال- ليبيا الأحرار (libyaalahrar.tv)

QATARI FOREIGN POLICY

IN A PRECARIOUS DECADE

From the Arab Spring
to the Gulf Reconciliation (2011-2021)

ALI ABO REZEG





الاستثنائية الإسرائيلية: منطق الصهيونية الهدام

Israeli Exceptionalism: The Destabilizing Logic of Zionism

Author: Mohammed Shahid Alam

تحرير: محمد شهيد علم

Publisher: Takween, 2021

الناشر: تكوين، 2021 م

Reviewed by: Asem Mahamid

مراجعة: عاصم محاميد

Pages: 424

عدد الصفحات: 424

ينطلق الكتاب من سؤال محدد واضح، هو: لماذا حققت الصهيونية في الحقبة التاريخية التي حددها والمترسخ في أهمية وجود هذه الدولة بالنسبة للصهاينة.

في أغسطس 1897م اقترح مؤسس الصهيونية خطة جديدة لتحرير أمة لم تكن موجودة في ذلك الوقت. لقد دعوا إلى تحرير اليهود الأوروبيين وجمعهم في فلسطين لا في أوروبا. إن خطة استعمارية بلغت هذا الحد من الطموح والجرأة -بل والخيال- يجب أن يدافع عنها بأساطير لا تقل جموحًا عن طموحات الصهاينة.



هذا النجاح الذي لم يكن متوقعًا في ذلك الوقت؟ يبدأ الكاتب بسرد تحليل مفصل للاستثنائية الإسرائيلية التي حققت عدة نجاحات في تلك الفترة؛ من حيث تجيش الدول الغربية لتبني المشروع الصهيوني، وتطويع رغبة يهود العالم في الهجرة إلى فلسطين بشكل إجباري.

قسّم الكاتب كتابه ثلاثة أجزاء، كل جزء يضم عدة فصول، سنتطرق إليها تباعًا.

الجزء الأول: الاستثنائية الإسرائيلية:

يؤكد الكاتب أننا لا نعاني -في الحقيقة- قلة أو صعوبة في الحصول على السرديات التاريخية والتحليلات النفسية للصهيونية ومؤسسيها، فهذه المصادر تملأ بسهولة مكتبة كبيرة! إن اهتمام هذا الكتاب يتقاطع مع هذه الأدبيات، ولكنه ينظر أيضًا إلى المسألة الصهيونية بطريقة مختلفة. نحن نركز على أصل الفكرة الصهيونية وطموحها الأساسي

يستعرض الكاتب هنا الحالة الاستثنائية للكيان الصهيوني، وكيف أوجد لنفسه أرضية تمكنه من الاتكاء عليها، وفرض طموحه بلغة القوة. تقول غولدا مائير: «قمة الأخلاقية -بالنسبة لي- هي أن للشعب اليهودي الحق في الوجود، وإذا لم يكن فلا أخلاق في العالم» وهنا نرى التصميم الجلي

-الذي يمكن ملاحظتهما بوضوح منذ إطلاقها- لإنشاء دولة يهودية في الشرق الأوسط من خلال إبادة السكان الأصليين، وإذا أراد هذا الاحتلال الذي لا يعرف الرحمة أن ينجح، فعليه أن يُطلق العنان لمنطق هدام مزعزع للاستقرار، ولا يمكنه أن يتقدم إلا من خلال خلق الصراعات وتعزيزها بين الغرب والمجتمعات الإسلامية، ومنذ تدشينه دفع هذا المنطق الدولة اليهودية إلى تعميق هذا الصراع. لقد وُلدت الصهيونية من رحم الطموح الجامح، لكن المنطق الهدام لهذه الفكرة هو ما عمل على تطويرها واستدامتها.

صُنعت بعض أشكال الاستثنائية الإسرائيلية لتأمين الدعم الغربي لـ«إسرائيل»، وتعتمد «إسرائيل» -بشكل كبير- على الدعم العسكري والمالي والدبلوماسي من الولايات المتحدة الأمريكية حتى يومنا هذا، ونظرًا للاعتماد الكبير على الولايات المتحدة يمتلك الصهاينة مفاتيح ضغط واسع ومتعدد الطبقات؛ لضمان عدم تراجع الدعم الأمريكي لـ«إسرائيل»، حيث تعمل كتائب اللوبي الإسرائيلي -بلا كلل- من أجل تلميع صورة «إسرائيل»، وزرع الصهاينة صورة «إسرائيل» على أنها موقع غربي محاصر في قلب الحواضر الإسلامية؛ لكسب التعاطف الغربي، كما أنهم روجوا لكونها (الديمقراطية) الوحيدة في الشرق الأوسط، فهي البلد الصغير المناضل المضطر لأن يكون في حالة دفاع دائم عن نفسه ضد الهجمات الإرهابية التي يشنّها المسلمون، وقد أسهمت هذه الصور -المزروعة بعناية- للاستثنائية الإسرائيلية في دفع الأمريكيين للتماهي مع «إسرائيل»، وعدّها فريدة من نوعها، والاعتزاز بها، ثم دعمها سياسيًا.

الجزء الثاني: المنطق الصهيوني الهدام

تعتمد الصهاينة -بشكل عام- الاعتقاد بأن الفلسطينيين ليسوا شعبًا، ولا لديهم ارتباط بأرضهم، وليس لهم هوية وطنية، ولا تطلعات قومية؛ ومن ثمّ يمكننا أخذ أرضهم منهم. والمفارقة في كل هذا واضحة؛ فاليهود الذين لم يكونوا شعبًا بعد؛ لعدم امتلاكهم أرضًا يمكنهم أن يدّعوا أنها أرضهم أكّدوا أن الفلسطينيين الذين لديهم أرضهم ليسوا شعبًا! إن هذا الخداع الفجّ ليس له سوى نهاية واحدة، هي: يمكن لشعب بدون أرض أن يسرق أرض شعب آخر.

إن أفضل وصف للصهيونية هو أنها قومية «استثنائية»؛ وقد أنتجت هذه الحقيقة الفريدة تاريخًا من الصراعات العميقة بين «إسرائيل» بالتحالف مع المجتمعات الغربية وبين المجتمع الإسلامي بشكل عام. كانت القومية اليهودية حالة غريبة لكونها كانت بلا أرض؛ أي لم يكن لها وطن، فلم يكن يهود أوروبا يشكّلون أغلبية في أي منطقة يمكن أن تصبح أساسًا لدولة يهودية أو حتى السيطرة عليها، ولا نعرف حركة قومية أخرى في الذاكرة الحديثة بدأت بمثل هذا العجز: أمة بلا وطن.

ونظرًا لأن الصهيونية كانت قومية بلا وطن وبلا أمة، فقد تعيّن على من تولّوا كبرها خلق الاثنين. ولتعويض النقص الأول، تعيّن على الصهاينة الحصول على وطن، وفي سبيل ذلك سيضطرون إلى مصادرة الأراضي التي تخصّ شعبًا آخر. بعبارة أخرى: كانت القومية المشدّدة تقتضي بالضرورة شنّ حرب، ولكونها إقصائية فعليها الشروع في عمليات تطهير عرقي. وفي الوقت نفسه، تعيّن على الصهاينة البدء في تكوين أمة يهودية من التكتلات اليهودية

الطاقات السلبية في الغرب يمكنهم تسخيرها لمشروعهم الخاص. ربّما كان تقارب مصالحهم مع مصالح معاداة السامية هو الأكثر ملاءمة، فقد كان أعداء السامية يريدون خروج اليهود من أوروبا، وهو عين ما أراده الصهاينة؛ لذا أصبحت معاداة السامية هي الوقود الأساسي للقومية اليهودية التي سعى الصهاينة إلى خلقها. بالإضافة إلى ذلك، يمكن للصهاينة حشد الدعم لمشروعهم من خلال اللعب على وتر التعصب الديني الغربي ضد المسلمين، وكذلك تحيزهم العنصري ضد العرب بوصفهم «أراذل»؛ لأنهم ليسوا بيضاً.

الجزء الثالث: إقامة علاقة خاصّة

إذا نظرنا إلى قائمة الفاعلين السياسيين الذين كان لهم أكثر من مجرد ارتباط عابر بالمشروع الصهيوني، والذين تأثروا بهذا المشروع في وقت أو آخر - سنجد أولاً، الفصائل الصهيونية المختلفة، والشتات اليهودي، ولاحقاً دولة «إسرائيل». هذه الكيانات متداخلة مع تغير في درجات التداخل بينها بمرور الوقت. المجموعة الثانية من الممثلين تتكوّن من القوى الغربية وخاصة الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، ومن الصهاينة المسيحيين وبخاصة في الولايات المتحدة، والاتحاد السوفيتي وحلفائه في أوروبا الشرقية. وأخيراً، هناك ممثلون هم الضحايا المباشرين، وغير المباشرين للمشروع الصهيوني، أولئك الذين دفعوا تكاليف النجاح الصهيوني؛ إنهم يشكلون أربع دوائر متحدة المركز حول «إسرائيل» تضم: الفلسطينيين، والعرب، والشرق الأوسط، والعالم الإسلامي الأوسع. تشكل هذه المجموعات الثلاث الشخصيات الدرامية في مأساة المشروع الصهيوني التي تتكشف لنا بمرور الوقت.

غير المتجانسة التي ستشكل حجر أساس وطنهم الجديد على الأقل. وفي هذه الحال سيتوجب عليهم خلق نواة من اليهود الذين كانوا على استعداد للاستقرار في فلسطين، وملتزمين بإنشاء البنية التحتية لمجتمع ودولة اليهود في فلسطين. وقد بقيت هذه النواة صغيرة سنوات عديدة؛ لأن اليهود بأغلبية ساحقة - فضّلوا سلوك طريق الاندماج، أو الثورة في أوروبا على احتلال فلسطين.

استبدلت بالقومية العربية -بطء- مقاومة أخرى تستند إلى الجذور الإسلامية. إن هذه العودة إلى الأفكار والهياكل الأصلية للإسلام ستضع أسس مقاومة متعددة الطبقات، ستكون أوسع وأعمق وأكثر مرونة من سابقتها. إن الطموحات الاحتلالية لـ«إسرائيل» بترسيخ هيمنتها على الأراضي المركزية للعالم الإسلامي هي ضمن ظهور هذا اللون الجديد من المقاومة؛ حيث أدى التفهق السريع الذي مُنيت به المقاومة القومية العربية في وجه الانتصارات الإسرائيلية إلى ظهور رد فعل إسلامي أعمق؛ ونتيجة لذلك، تواجه «إسرائيل» اليوم بالتحالف مع الحكام العرب غضب العالم الإسلامي بأكمله، تلك الكتلة الكبيرة من الطاقات البشرية، العازمة على إفساد هذا التحالف. إذا تذكر المرء أن العالم الإسلامي أضحى الآن مجتمعاً عالمياً، يتمتع بهيمنة ديموغرافية في منطقة تمتد من موريتانيا إلى مينداناو، وتضم الآن أكثر من مليار ونصف شخص، يتجاوز معدل نموهم معدل أي مجموعة أخرى؛ يمكن للمرء بسهولة - البدء في فهم الحجم النهائي لهذه المقاومة الإسلامية ضد الهيمنة الصهيونية.

لعلّه بالصدفة -على ما يبدو- وجَد اليهود المؤيدون للصهيونية في متناول أيديهم مجموعة غنية من

من الواضح أن عدد الفاعلين المتورطين، وتنوعهم، والقوة متعددة الطبقات التي يحتكم عليها الصهاينة وحلفاؤهم - كل ذلك يشير إلى أن الصهيونية ليست مجرد ظاهرة تاريخية عارضة، فمن جانب لدينا تلك المشاركة المباشرة للكثير والكثير من العالم الغربي، ولدينا على الجانب الآخر العالم الإسلامي الذي سيشكل سكانه قريباً ربع سكان العالم.

يواصل الصهاينة تسويق مشروعهم الاحتلالي على أنه ملاذ لليهود الهاربين من الاضطهاد المعادي للسامية، إلا أن هذا ليس إلا تضليلاً للتعمية عن الحقيقة. بقي اليهود الفارون من الاضطهاد في أوروبا وبأغلبية ساحقة بعيدين عن هذا «الملاذ» طالما كانت البدائل متاحة. والأدهى من ذلك، أن الصهاينة كانوا يعتمدون على دعم أعداء السامية؛ لدفع مشروعهم القومي الاحتلالي! كانوا يعولون على الاضطهاد الذي تقوده معاداة السامية لإرسال المستوطنين اليهود إلى فلسطين، كما كانوا يعتمدون على رغبة الأوروبيين المعادين للسامية في التخلص من اليهود لتجديد القوى الغربية لدعم مشروعهم الاحتلالي في فلسطين. كانت الصهيونية في الأساس حركة قومية سبقت أصولها عودة ظهور معاداة السامية في أواخر القرن التاسع عشر؛ فحتى ذلك الوقت، سعى معظم اليهود إلى محاربة معاداة السامية من خلال الاندماج وحركات الاستقلال الذاتي اليهودي والثورات الاشتراكية، وعندما أجبروا على الهجرة، فضلوا بأغلبية ساحقة وجهات خارج فلسطين. تحسّنت حظوظ الصهيونية فقط عندما أغلقت معظم الدول الغربية أبوابها أمام المهاجرين اليهود. لم يعارض يهود الشتات غلق هذه الأبواب أمام الفارين اليهود في أوائل القرن

العشرين؛ لأن قيادات يهود الشتات حينها تبنت بشكل كامل الأهداف الصهيونية، ولم يكن هناك ضغط منهم لإعادة فتح هذه الأبواب قبل الستينيات. تلقى الصهاينة منذ انطلاق حركتهم دعماً من الشريحة البروتستانتية المهيمنة في المسيحية، التي أعاد لاهوتها استحقاق اليهود لعهدهم مع الله. ونتيجة لذلك، بدأ عدد قليل من البروتستانت في الدعوة إلى إعادة اليهود إلى فلسطين في القرن السابع عشر؛ حينها، نظر اليهود إلى هذه المقترحات بريبة شديدة، لكن منذ القرن التاسع عشر، بدأت مجموعة جديدة من المسيحيين البروتستانت في دعم عودة اليهود؛ لأنهم اعتقدوا أن هذا مقدمة ضرورية للمجيء الثاني. صار هذا التيار البروتستانتي الذي امتد احتفاؤه بالانتصارات الإسرائيلية من موطنه في بريطانيا حتى الولايات المتحدة مصدرًا مهمًا لدعم الصهيونية في الولايات المتحدة.

تضاعف نجاح المشروع الاستعماري الصهيوني إلى حد كبير مع الضعف الذي دبّ في غرب الشرق الأوسط، فعلى عكس الجزائريين في القرن التاسع عشر أو الليبيين بين الحربين العالميتين، كان الفلسطينيون بطيئين في مقاومة الاحتلال اليهودي؛ إذ كانت أول مقاومة جادة في عام 1936، وبمجرد هزيمتهم في عام 1949، لم يتمكنوا من إعادة تنظيم صفوفهم إلا بعد أكثر من عقدين. والأمر الذي كان له تأثير حاسم هو أن الاحتلال اليهودي لفلسطين لم يثر ردة فعل في العالم العربي والإسلامي الأكبر تناسب مع حجم التهديد الصهيوني، فقد تميزت هذه الفترة بغياب أي جهود منسقة في سوريا أو مصر أو العراق أو شبه الجزيرة العربية؛ لمقاومة الاحتلال اليهودي قبل أن يتحول إلى تنين لا يُهزم. ولما بدأ

القوميون العرب بالتحرك كان الأوان قد فات، حيث رسّخت «إسرائيل» قدمها في المنطقة، وأصبحت على بعد خطوات من الوضع الذي سيمكّنها من تحطيمهم قبل أن يتمكنوا من بناء قوتهم.

في الأربعينيات وحتى بعد ذلك كانت صورة الولايات المتحدة حسنة جدًا في العالم العربي، ومشهودًا لها بالنوايا الحسنة، حيث وجهت الحركات الشعبية في العالم العربي عداها المناهض للاستعمار ضد البريطانيين والفرنسيين، لا الأمريكيين. بالإضافة إلى ذلك، فإن السلالات العربية والبرجوازية الصغيرة، الذين كانوا يتوقعون الوصول إلى السلطة بعد رحيل الحكام الذين عيّنهم الاستعمار؛ كانوا سعداء للغاية للعمل مع محتليهم السابقين والولايات المتحدة. لم يكن لدى القوميات العربية والمحلية ضعيفة التأسيس على أي حال توجه راديكالي، ولا يتطلب الأمر سوى القليل من البصيرة لمعرفة أن إقحام «إسرائيل» في قلب الشرق الأوسط سواء كان ذلك يخدم المصالح الاستراتيجية الغربية أم لا من المؤكد أنه سيخلق تهديدات لهذه المصالح لم تكن موجودة من قبل، وبالطبع لم تكن هذه الرؤية غائبة عن واشنطن، فقد رأى المسؤولون في وزارتي الخارجية والدفاع ذلك بوضوح، لكن صوت السياسة الرئاسية كان أعلى.

إذن، يكمن سرّ النجاح الصهيوني في الطريقة التي تغلب بها على الخلل الرئيس في مشروعه، ألا وهو: عدم وجود وطن طبيعي لدعم مشروعه الاحتلالي، فمن خلال كسب دعم يهود الشتات الغربي، وحفزهم على استخدام ثرواتهم وفكرهم ونشاطهم للترويج للقضايا الصهيونية- نجح الصهاينة في استبدال الغرب بالوطن الطبيعي المفقود. ومع

مرور الوقت قدمت كل الدول الغربية الكبرى تقريبًا (مع الاتحاد السوفيتي) مساعدات حاسمة في إنشاء «إسرائيل» وبقائها ونجاحها. والأهم من ذلك أن القوتين الغربيتين الكبيرتين: بريطانيا والولايات المتحدة وضعتا قوتهما العسكرية خلف المشروع الصهيوني على الرغم من الضرر الذي ألحقه ذلك بمصالحهما الحيوية في الشرق الأوسط.

دفعت الولايات المتحدة بالفعل ثمنًا باهظًا لسياساتها المؤيدة للصهيونية منذ عام 1948. وبمرور الوقت شملت هذه التكاليف مئات المليارات من الدولارات من الدعم لـ«إسرائيل» وحلفائها العرب، واكتساب عداوة العالم العربي، وحظر نفطي، ثم شراء النفط بسعر أعلى، وصعود التطرف الإسلامي، وعدة مواجهات مع الاتحاد السوفيتي في الشرق الأوسط. بعد 11 أيلول/ سبتمبر 2001، وتحت ضغط قوي من «إسرائيل» بالتعاون مع حلفائها من المحافظين الجدد شنت الولايات المتحدة حربًا مكلفة - لكنها غير ضرورية- ضد العراق. وفي المقابل حفزت هذه الحرب الراديكاليين الإسلاميين ومنحتهم مسرّعًا جديدًا يمكنهم من خلاله الاحتكاك بالولايات المتحدة. لقد مولت الولايات المتحدة هذه الحرب والحرب في أفغانستان بالاقتراض من الصين والدول العربية الغنية بالنفط. يجب علينا أيضًا أن نضيف نتيجتين أخريين من نتائج حرب العراق لقائمة التكاليف الإسرائيلية على الولايات المتحدة: صعود إيران، والتحدي المتزايد للهيمنة الأمريكية في أمريكا اللاتينية.

على الرغم من أن التدايعات المحلية لتلاشي دولة «إسرائيل» ستكون خطيرة، فإن الخسائر

المتحدة. وبمجرد أن تتخفف القيود الأمريكية الإسرائيلية على المنطقة، فلن يكون من السهل تصميم قيود جديدة مصنوعة في موسكو أو بكين أو بروكسل أو نيودلهي؛ لم يعد العالم الإسلامي اليوم كما كان عليه خلال الحرب العالمية الأولى، إنه أقل ميلاً بشكل ملحوظ للسماح للأجانب بالتخطيط لمصيره ورسم خريطة عالمه.

تمثل أطروحة الكتاب نموذجاً جديداً وسردية مفيدة في تصحيح المعلومة التاريخية لشأ الكيان الصهيوني الغاصب والتناقضات التي لاحقته طيلة فترة احتلاله للأراضي الفلسطينية، كما يمثل الكتاب نموذجاً لفهم أبعاد العلاقة الغربية مع الكيان الصهيوني، ومدى تعمقه على المستويين السياسي والاجتماعي.

الأكثر خطورة للولايات المتحدة ستنبع من تآكل سيطرتها على الدول الغنية بالنفط في خليج فارس، وسيكون من التهور التنبؤ بخطوط الخريطة الجديدة التي ستظهر في نهاية المطاف في الشرق الأوسط والعالم الإسلامي، ومهما كانت الهياكل الجديدة التي ستظهر، فمن المرجح أن تكون هذه التحولات جذرية وعنفية. من ناحية أخرى، سيؤدي التشطي المفروض على العالم الإسلامي إلى خلق مصالح محلية تسعى إلى الحفاظ على الوضع الراهن، وستحدث مواجهات بين هذه المصالح المحلية والحركات الإسلامية التي تسعى إلى إنشاء هياكل أكثر تكاملاً عبر العالم الإسلامي الأوسع. ستكون هذه الصراعات مزعزعة للاستقرار بشكل كبير، حيث قد تختار الهند والصين وأوروبا وروسيا جانباً، فكل منها حريص على استبدال الولايات



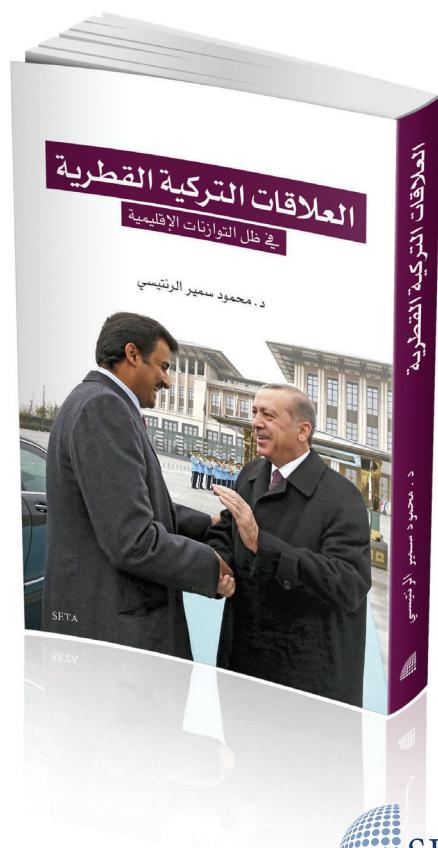
العلاقات التركية القطرية

في ظل التوازنات الإقليمية

محمود سمير الرنتيسي

Turkish-Qatari Relations
In light of the Regional Balances

Mahmoud Al-Rantisi



TURKUVAZ
MEDIA GROUP

Türkiye'nin en iyi gazetesi

SABAH

أنظر إلى العالم عن كتب

نحن نكتب الحقيقة ولا شيء سوى الحقيقة، دون زيادة أو نقصان
نوافيكم بها خالصة كما عودناكم كل يوم
العالم صغير بالنسبة لنا وقوتنا نستمدّها منكم





نحن جميعاً متصلون ببعضنا البعض

نصّلك بدول أكثر من أي شركة طيران أخرى



TURKISH AIRLINES

ISSN 2458 - 8458



9 772458 845007

50.00 ₺